العلامة السيد محمد تقي المدرسي

التحدّي الاسلامي

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

(RECAP)
BP161
.2
.M823
1989

تنويه :

تجدر الاشارة الى ان هذا الكتاب رتبت فصوله وابوابه قبل وفات، الامام الخميني (قدس سره) لذا اقتضى التنويه .

اسم الكتاب : التحدي الاسلامي
المؤلف : العلامة السيد محمد تقي المدرسي
الناشر : مكتب العلامة المدرسي
الطبعة الاولى : جمادي الاول ١٤١٠ هـ
عدد النسخ : ٥٠٠٠ نسخة
الثمن : ٦٠٠ ريال

PRINCETON UNIVERSITY
02101 02860547

الفصل الاول :

من اجل الانسان الرسالي

* الرسالي .. أولا .
* الرسالي قمة تضيء .
* الرسالي بناء مبارك .
* الرسالي دور متميز

الرسالي .. أوّلاً

هنالك جانبان لشخصية الانسان ، ظاهر وخفي ، والجانب الخفي هو الذي يحدد الملامح الظاهرية في الشخصية .

وحسب التعبير القرآني ..

« قل كل يعمل على شاكلته » .

(الاسراء / ٨٤)

أي على نيّته وصبغته وصياغة شخصيته الداخلية ، أو كما يقول الامام علي (ع) :

« المرء بأصغريه : قلبه ولسانه » .

و بالطبع فان قلب الانسان هو جوهر شخصيته الخفية .

والرسالي محور الحركة الرسالية ، وقطب الرحى لكل ثورة اسلامية ، وحجر الزاوية في بناء الأمة لأن شخصيته الداخلية تتميّز بمجموعة من الصفات التي قد لا يتوصل الى عمقها المحلل النفسي ، الا أن نصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، بالاضافة الى التجارب الشخصية تحدد جانباً من ملامح الشخصية الرسالية لترسم لنا هدفين :

الهدف الأول : معرفة ملامح الثورة الاسلامية وهدفيتها :

ان بعض الحركات الاسلامية التي تريد أن تحقق قيم الاسلام ، تتعامل مع القضية بارتجال ، فهي تجهل المكونات الشخصية للداعية المسلم ، فينتهي ذلك الى تورطها في اقتباس الأفكار والبرامج التربوية والحركية من الشرق حيناً ومن الغرب حيناً آخر ،

ولذلك فهي تسقط في أخطاء فادحة لا يرضى بها الاسلام .

مثلاً اذا اراد الحزب الغربي أن يفجر طاقات أبنائه في تحرك سياسي او اقتصادي ، يتوسل لذلك بمبدأ التناقض والصراع والتنافس غير الشريف ، فيذكي الصراع الطبقي ، وصراع الأجيال ، كما يعمق الهوة بين الحكام والمحكومين ، و يثير الاحساس بالذاتية في الأفراد ليشجع الجميع بهذا الاسلوب الى التقدم والسبق .

وفي ساحة العمل الاسلامي يحاول بعض الموجهين الحركيين اقتباس ذات الأسلوب ، فيحرك الأحاسيس المادية والنعرات الذاتية التي يرفضها الاسلام في نفوس تابعيه وافراده ، وما ان تنصرم الأ يام الا و يصبح الصراع والتنافس بذاته هدفاً ، وتصبح الغاية هي الوصول الى بعض المكاسب المادية ، وقد بلغ الأمر بالبعض في هذا المجال الى اختلاق الصراع بغية تفجير طاقات أفراده ، رغم عدم وجود مبرر للصراع .

إن أهداف الاسلام سامية ، وغاياته رسالية ، فان نحن ربينا أبناءنا على هذه الأسس الجاهلية من اثارة النعرات المادية وجعل الذاتية محوراً للتحرك اليوم ، فاننا غدا لا نستطيع تطبيق القيم الاسلامية في واقع الامة .

ان الفرد الذي لم تحركه سوى الاحاسيس الجاهلية لا يستطيع تطبيق حكم الله ، لأن أساس تربيته كان خاطئاً ، تماماً كالخطأ الذي وقعت فيه جماعة من القوميين العرب ، اذ زعموا ان القومية العربية ستكون الخطوة الأولى نحو الوحدة الاسلامية ، لأن العرب اول من حمل لواء الاسلام فشكلوا دولة مترامية الأطراف ، وحينما أذكوا روح القومية ، تورطوا فيها اذ لم يستطيعوا أن يقيموا الوحدة العربية فضلاً عن الوحدة الاسلامية ، ففرقوا المسلمين ولم تتحقق أهدافهم وانتهت حركتهم اما الى قومية يمينية غربية ، أو الى قومية يسارية شرقية !

ذلك لأن الوسيلة الخاطئة ما كانت لتؤدي الى الهدف المنشود ، فليس المهم ان تختار الغاية الشريفة ، وانما المهم أن تختار الوسيلة الصحيحة الشريفة أيضاً ، لتضمن وصولك الى الغاية بسلام ، وقد قيل مرة لصدام « يخشى أن لا تصل الى القدس ياصدام فان طريقك يصل بك الى واشنطن » وذلك حينما تشدّق الطاغية : بأن طريق القدس يمر عبر طهران ! وقد تحقق ما قيل له اذ أدّى به الطريق الذي سلكه الى أحضان الرجعية العربية ومن ثم الى واشنطن .

وان كان هدف تلك الحركات سامياً لأنهم فعلاً كانوا مؤمنين بالله ورسوله وشريعته فقد كانت وسيلتهم خاطئة اذ لم تكن لتؤدي لهم الى الغاية التي ينشدون ، حيث ان التمسك بالاساليب الجاهلية والنعرات الذاتية والفئوية الضيقة أو الحزبية النزقة ، لا يمكن ان تؤدي الى بناء العنصر الرسالي المنشود ، وان هذه الحركات ستقف غداً عاجزة عن تجنيد شباب الامة لتطبيق الاسلام بالتضحية بأنفسهم من أجل الأهداف السامية .

كان أحد المنتمين لحركة اسلامية يقول في معرض انتقاده للاساليب التربوية التي اتبعتها تلك الحركة :

ان محور تربيتنا لأ بنائنا كان خاطئاً ، لأننا كنا نربي أفرادنا على أساس ضرورة الابقاء على أنفسهم ، وكأنهم « تحف مقدسة » تحت شعار « الابقاء على الكوادر » ، بينما شاهدنا فيما بعد كيف انتصرت الثورة الاسلامية بسبب أسلوب تربية الثورة لأ بنائها حيث كان قائماً على اساس التضحية والفداء والبذل والعطاء وكان محورها قائماً على فلسفة الشهادة ، وليس على محور بقاء الذات .

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

(البقرة / ١٩٥)

لقد قام البعض بتحريم الجهاد ضد اسرائيل بحجة ان ذلك يؤدي الى التهلكة ، والى فقدان العناصر الجيدة ، وهذه هي النتيجة الطبيعية المتربية القائمة على الاسس الذاتية ، والاساليب الجاهلية .

من هنا كان من الواجب علينا ــ كحركات اسلامية ــ أن نربي أبناءنا منذ اليوم الأول على أساس التضحية في سبيل الله والذوبان في بوتقة الهدف الأسمى وهو مرضاة الله سبحانه وتعالى ، بعيداً عن اي تمحور حول الذات ، ومن دون تكريس لصنمية التنظيم او الاشخاص ، و بديهي ان الله سبحانه لا يرضى بالشريك .

« ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

(النساء / ٤٨)

و يقول في حديث قدسي :

« من عمل لي ولغيري جعلت عمله كله لغيري » .

فالله جل جلاله ، عزيز جبار متكبر لا يقبل بالشريك أبداً .. فكيف نعمل لله من

جهة ولأنفسنا ، أو جماعتنا ، أو حركتنا من جهة اخرىٰ ؟ ان هذا العمل محبوط يرفضه الله .

وقد يتساءل الطيبون من أولئك المشرفين على بعض الحركات الاسلامية التي أشرنا اليها قائلين :

ان لم نحرك جماهيرنا بالعصبيات والنعرات الذاتية و باثارة الصراعات والتناقضات ، فكيف نحركهم وندفعهم للبذل والعطاء ؟

ويمكن الاجابة على هذا السؤال من خلال العودة الى رحاب الله والنبي لنغترف من المعين الصافي ، ونكتشف الديناميكية التي تطبع الشخصية الرسالية ، وكيف يأمر الله سبحانه وتعالى بتربية الشخصية الثورية اعتماداً على الاساليب الرسالية ، وكيف شهد التاريخ الاسلامي أولئك الذين امتطوا صهوات جيادهم والتهموا الفيافي الشاسعة ليبلغوا أقصى المعمورة نشراً لكلمة الله واعلاء للواء الاسلام خفاقاً لتلهج بعدها الشعوب « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » .

فهل كان تحرك أولئك الأ بطال الفاتحين نابعاً من العصبيات القبلية أو الطموحات الجاهلية ؟ كلا . انما كانت الأهداف السامية والتطلعات الرسالية وراء اندفاعهم اذ كان هدفهم الله سبحانه .

الهدف الثاني : اكتساب تلك الملامح عبر التربية الفردية أو الحركية :

انه ليس بخاف اننا ــ كعناصر اسلامية ــ لم نتلق تربيتنا الاولى على أيد اسلامية ، وانما على أيد لم نخترها وفي ظروف لم ننتخبها ، فأول ما تلقينا تربيتنا في البيت والبيئة ، وفي ظل ظروف غير رسالية ، بل في ظروف التخلف والجهل والتبعية التي كانت ترزح مجتمعاتنا تحت وطأتها ، وأكاد اقول انها كانت بعيدة عن الاسلام ١٠٠٪ لولا القشرة الاسلامية التي كانت تظلل شعوبنا ، ثم تلقفتنا المدارس التي صاغ الاستعمار برامجها التعليمية لتتخرج الأجيال الصاعدة مجبولة على الرضوخ للارادة الاجنبية والقبول بالواقع الاليم .

من هنا فاننا لا نستطيع الاعتماد على ما نحن عليه من التربية ، اذ قد نملك من الرؤى والخلفيات ما يتناقض مع الرؤى الاسلامية .

ولو كنا تربيّنا بارادتنا نحن كما يريد الاسلام لما اخترنا غير الحق ، ولكان لنا حق الادعاء حينئذ بأننا على الحق الا ان الأيدي الأخرى هي التي ربتنا ، وما كلها بنظيفة وطاهرة ، ولا كل النوايا التي خلفها صادقة .

فلنتجرد من ماضينا التربوي ولنقف في هذه المرحلة لنعيد النظر في ذواتنا ورؤانا ومكوّناتنا الداخلية والخارجية ، ثم لنراجع أنفسنا مرة أخرى ونقارن ما نحن عليه من التربية بالبرامج التربوية في الاسلام ، ولتكن لدينا الشجاعة الكافية لتحديد ما لم يتطابق منها مع القرآن والمفاهيم الاسلامية ، ولنفعل ذلك الآن طالما في الوقت متسع ، والفرصة أمامنا سانحة ، والا فاننا لا نستطيع العمل غداً ، حيث يقول ربنا :

« حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي اعمل صالحاً فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » .

(المؤمنون / ٩٩ - ١٠٠)

ان الاقدام على التغير الذاتي نحو الأصلح لا يحتاج سوى عزيمة وقّادة ، ولحظة تصميم حاسمة ، كي نصحح مسيرة سبعين عاماً أو اكثر خلال ساعة تفكير وتأمل فيما عساه ان يصلحنا ، و يصحح أوضاعنا وطريقة عيشنا ، ويجعل خطانا تسير وفق هدى الرسالة ، لقد جاء في الحديث الشريف :

« تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة » .

وهذا دليل على أن الفرصة لا تزال أمامنا كي نصحح رؤانا ومكوناتنا الشخصية ، وهذا الحديث الشريف ينسف ادّعاء من يقول لقد فات الأوان ولا نستطيع الآن تغيير عاداتنا التي نشأنا عليها .

ان القرآن يؤيد الحديث حيث يقول تعالى :

« ليلة القدر خير من ألف شهر » .

(القدر / ٣)

فاذا كانت ليلة واحدة هي خير من عمر انسان يربو على الثمانين عاماً ، فلننتهز الفرصة اذن ، ولنختر من ليالي العمر التي تتكرر علينا كل عام (ليلة القدر) كي نعلن

فيها ثورتنا على الذات والانضواء تحت التعاليم الاسلامية لنصوغ رؤانا من جديد اقتباساً من هدى القرآن الكريم ، عسى الله أن يوفقنا لذلك ، لا سيما وان ليلة القدر تمتاز بأنها « يفرق فيها كل أمر حكيم » .

المكونات الذاتية للشخصية الرسالية :

بعد توضيح هدفي التوجيه الاسلامي في بناء الشخصية الرسالية سنبدأ في استعراض المكونات الذاتية للشخصية الرسالية ، وهي كالآتي :

١ ــ التطلع نحو الهدف الأسمى :

ان أولى المكونات الذاتية في شخصية الرسالي ، أبرزها هي سمة التطلع نحو الأسمى واستهداف الأمور السامية ، وعدم القبول بصغريات الأمور ، لان الرسالي انسان يحترم نفسه ، وأهدافه أسمى من الأهداف الزائفة .

ولا غرو اذا كان الرسالي يتصرف بهذه الروحية ، فالقرآن الكريم يركز على قيمة الانسان المؤمن وكرامته وأفضليته على أكثر المخلوقات حيث تركز البصيرة القرآنية على قدر الانسان ، حينما يقول تعالى :

« لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » .

(التين / ٤)

وقوله تعالى :

« ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » .

(الاسراء / ٧٠)

كذلك يعرف الرسالي قدر نفسه حينما يستمع الى قول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي الشريف :

« عبدي أطعني تكن مثلي أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون » .

وحينما يسمع الحديث الشريف :

« خلقنا للبقاء لا للفناء » .

وحينما يسمع الامام علي في الشعر الذي ينسب اليه :

أتحسب أنك جرم صغير وفيك أنطوى العالم الأكبر

ثم تتجلى البصيرة القرآنية للرسالي في الحديث الشريف ..

« انك فوق ما تتصور ، ولو عرفت نفسك وما أودع الله في نفسك من الامكانات والقدرة لما احتجبت بالماديات عن ربك » .

فالله سبحانه وتعالى يقول :

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

(فصلت / ٥٣)

ومن وصل بيقينه أعلى درجات اليقين ، أحس أنه لم يخلق لهذه الدنيا ، وأن نفسه انما هي ثمن الجنة .

أنفاس عمرك أثمان الجنان فلا تشري بها لهباً في الحشر يشتعل

ان الرسالي يستطيع ان يجيّر لحظات الحياة في حسابه غداً قصوراً وحدائق وحوراً في الجنان . فاذا كانت كلمة « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر » تبني له القصور ، وتغرس له الاشجار ، كما ورد في الحديث عن الرسول الأكرم (ص) ، فلن يتخلى المؤمن الرسالي عن تكرار هذه الكلمة الخفيفة في اللسان الثقيلة في الميزان !

انك تغرس بكلمة واحدة من هذه التسبيحة العظيمة ، شجرة لك في الجنة ، أفلا تحب أن يكون لك ملكاً في الجنة ؟ فلعل الله سبحانه و وتعالى يوصلك الى الجنة بعنوان شجرتك فيها . ان كلمة « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر » مدد الملائكة في بناء قصور المؤمن الذي يتلفظ بها .

اننا حينما ننظر الى فرص الحياة بهذه الرؤية الرسالية فاننا لا نفكر فيما ضاع أو يضيع علينا من الفرص وحسب ، وانما نتطلع نحو تعويض ما فات ونجدّ في السعي نحو الله ، زاهدين في الدنيا بلا كلفة أو تصنّع ، وانما قناعة بأن ما عند الله خير وأبقى ، أما ركائز التطلع فهي : ــ

أ ــ الترفع عن الدنيا :

ان الرسالي يترفع عن الدنيا و يتطلع الى الآخرة ، لأن الدنيا زائلة فانية أما الآخرة فسرمدية باقية ، وما الدنيا الا جسر يقودنا اما الى الجحيم ــ والعياذ بالله ــ أو الى النعيم الذي تتحقق فيه كرامة الانسان ، من هنا فان الرسالي هو من يتحسس كرامة نفسه فيعمل لما يحقق تلك الكرامة في الدارين ، فهو يتطلع نحو الأفضل على طول الخط .

يُروى ان النبي عيسى المسيح (ع) خرج مع ثلاثة من أتباعه الى الصحراء ، وفي الطريق مرّوا بكنز من ذهب ، فاستأذنوه في استخراجه فلم يحبذ ذلك لهم ، وقال : ان الكنز في الآخرة أبقى ، فأصروا عليه ، فتركهم ومضى لشأنه ، فعملوا حتى استخرجوه وقد نال التعب والجوع منهم فطلبوا من أحدهم أن يذهب الى المدينة و يشتري لهم طعاماً ثم يتقاسموا الكنز ، فذهب ليأتي بالطعام فحدثته نفسه أن يدسّ السمّ لصاحبيه ليغنم الكنز كله لنفسه ففعل ذلك ، وما ان أتى بالطعام حتى وثب عليه صاحباه فقتلاه ، اذ كانا قد تأمرا عليه في غيابه ، أن يقتلاه و يستأثرا بالكنز دونه ، فلما أكلا الطعام خرّا ميتين هما أيضاً .

أما المسيح (ع) فانه واصل طريقه ، فالتقى بشاب فلم يعرفه بأنه عيسى بن مريم (ع) وانما رأى عليه سيماء الصالحين فسأله : أيها الرجل انني أريد أن أتزوج ابنة الملك فهل تستطيع أن تدلني على ذلك ؟ فقال له عيسى (ع) : انا لها ، فأرشده الى طريقة مكنته من الزواج من بنت الملك الذي ما كان له ولد سواها ، فما لبث الملك أن مات بعد أيام ، فآل الأمر لذلك الشاب اذ أصبح ملكاً ، و بعد ايام دخل عليه المسيح (ع) فلما رآه الشاب الملك اخذه اليه واجلسه الى جانبه ثم سأله : بالله عليك كيف تستطيع ايصالي الى هذا المنصب (الملك) ثم لا تفعل ذلك لنفسك ، وانما ترضى بما أنت فيه من ثياب رثة و بلا مأوى ، خشونة في الملبس وجشوبة في المطعم ؟

فقال عيسى (ع) : أرأيت ان أتوك بطعام شهي طازج ، واتوك بخبز يابس ، هل كنت تختار الخبز أم الطعام ؟

فقال : بل الطعام !

فقال المسيح (ع) : فان الدنيا بالنسبة لي كما الخبز بالنسبة لك !

فسأله الملك الشاب : وهل يوجد غير الدنيا ؟

فأجاب : الآخرة ونعيمها المقيم ، فردوس وجنان وروح وريحان ورضوان الله تعالى !

فقال : فأنت العاقل وأنا المجنون كيف أصنع بالملك ، وأين تذهب أنت وما تصنع وكيف تتعبد للحصول على الآخرة ؟

قال : فان رغبت فيها فهلمّ معي !

وأخذه من يده وذهب الى حيث قتلى الكنز ورأى كيف أنهم ماتوا فدعا الله تعالى فأحياهم وسألهم خبرهم والشاب يسمع .

فقال المسيح (ع) : من أجل كنز زائف زائل قتلتم أنفسكم ؟ ان الكنز الحقيقي هي مع هذا الشاب حيث ترك الملك وانطلق لله !

أجل ان الكثير من الملوك تركوا أملاكهم وممالكهم في سبيل الله لأنهم عرفوا بأنهم أسمى من المادة ؟

ب ــ محاربة اليأس بالتوكل :

ان طمع الانسان لا حدّ له ، فان وصل الى القمر طمع في الوصول الى المريخ ، ولو ملك الارض رمى بطرفه نحو السماء طمعاً !

وهذه هي طبيعة الانسان ان استسلم لرغباته وشهواته يظل أبداً مريضاً منهوكاً . الا ان المؤمنين يتغلبون على شهواتهم ويحطمون في نفسياتهم روح الطمع ، لكي تنمو بدل ذلك في ذواتهم روح التطلع ، اما غير المؤمنين فسرعان ما يخبو التطلع في نفوسهم ، وذلك حينما تخيب مساعيهم فتتحطم آمالهم و يسيطر اليأس عليهم . بينما المؤمن لا يعرف اليأس اليه سبيلاً ، و يظل بمنأى عن القنوط لما يمتلكه من ملاذ حصين هو التوكل على الله سبحانه وتعالى ، اذ كلما استبدّ به اليأس ارتمى في حصن التوكل فتنقشع عنه غيوم الاحباط والقنوط و يتجدد الأمل و يتجدد معه العزم والنشاط والسعي متطلعاً لوضع أفضل وعمل أقرب لرضا الله سبحانه ، و بذلك تبقى شعلة التطلع وهّاجة في قلب المؤمن

هنالك قناعة لدى المؤمن هي أن كل حركة من حركاته أو سكنة من سكناته مرصودة له لا تتبخر ولا تنتهي بل هي مسجلة له أو عليه .

« وان ليس للانسان الا ما سعى * وان سعيه فسوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى » .

(النجم / ٣٩ ــ ٤١)

و يقول سبحانه وتعالى :

« والله معكم ولن يتركم اعمالكم » .

(محمد / ٣٥)

فلن يقطع ربنا عزّوعلا عمل الانسان ، ولن يفوّت عليه مثقال ذرة من عمله .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

(الزلزلة / ٧)

من هنا اليأس لا يدري كيف يتسلل الى المؤمن ، والخوف من الفشل لا يستطيع أن ينال منه ، لأن المؤمن يدرك أن أعماله لن تذهب سدى ، حتى ولو لم تثمر أو لم تظهر النتائج في حياته ، فما على المؤمن الا أن يعمل ، أما النتيجة فهي عند الله ، وما دام العمل محفوظاً فان النتائج الآنية ، مثل الربح أو الخسارة ، النصر أو الهزيمة ، ليست مهمة في الدنيا ، بل حتى الهزيمة لا يسميها الاسلام كذلك ، وانما يسميها احدى الحسنيين النصر أو الشهادة فقد جاء في القرآن الكريم :

« قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده » .

(التوبة / ٥٢)

فالشهادة للمؤمن حسنى والمحظوظ من ينالها .

« واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » .

(الصف / ١٣)

فالمؤمن يصل الى هدفه سواء في العاجل أو الآجل ، لانه يؤمن بان الله معه ، وعنده يقين بالمستقبل ذلك اليقين الذي يدعم أساس التطلع في نفسه ، و يرسّخ الايمان بالآخرة والذي هو بدوره يذكي روح التطلع في نفس المؤمن

وقد يتبادر الى الذهن سؤال يقول : ما هي ضرورة التطلع لتكوين الشخصية الرسالية ؟

والواقع ان التطلع ضروري ليس للرسالي وحسب ، وانما للانسان كانسان فوق سطح هذا الكوكب ، اذ لولا التطلع الذي حدا بالانسان الى اقتحام الأهوال وركوب الأخطار لظل ذلك الانسان البدائي يرمي بنفسه في ظلام الكهوف كلما داهمته الوحوش المفترسة .

وقد ورد في الحديث الشريف :

« المرء يطير بهمته كما يطير الطائر بجناحيه » .

استطاع الانسان بالهمم العالية ان يصل الى القمر بعد أن ظل آلاف السنين يتغزل به و يناجي فيه معشوقته و يقدمه اليها هدية في أشعاره ، فخيالات الشعراء تحولت الى تطلعات عند العلماء ، وتطلعات العلماء تحولت الى خطوات الرواد فوق سطح القمر ، اذ فتحت المجال للانسان ان يرتاد الفضاء الأرحب لما بعد المريخ .

وما زال التطلع وراء الانسان وهو يجوب اليابسة و يطوف البحار و يقتحم المجاهيل حتى يحقق اهدافه المنشودة ، و يذكر التاريخ أن أديسون قام باثنتي عشرة الف تجربة لكي يخترع المصباح الكهربائي وفي النهاية أفلح .

فالهدف العالي أساسه التطلع ، كما ان الهدف السامي وقود الصعود وقوة تدفع الانسان للعطاء والسعي والعمل . وما أجمل الرواية المنسوبة للامام (ع) حيث يقول :

« ما ضعف بدن عمّا قويت عليه الهمة » .

فانك ان ملكت هدفاً سامياً وهمة عالية استطعت الوصول اليه مهما كان بدنك ضعيفاً ، أما لو خارت عزائمك فان كل شيء ينتهي !

٢ ــ السمو فوق المؤثرات المادية :

كنتيجة حتمية للتطلع نحو الأفضل ونحو ما عند الله سبحانه وتعالى ، فان ميزة أخرى تتولد عند الانسان الرسالي هي سموّه فوق الظروف البيئية والمؤثرات المادية والحتميات الهزيلة .

فالرسالي لا يخشى الظلام ولا يرهب الليل ولا يخاف الوحوش ولا يتهيّب الانواء في الحر والبرد ولا يتشاءم من الوقت بأيام منحوسة وما الى ذلك ، وانما يقتحم الأهوال والصعاب غير عابىء بالرياح الهوجاء ولا حافل بالمرض أو الألم ، لأنه يرى نفسه فوق

المؤثرات الطبيعية والمادية ولا يعوق تحركه عائق طبيعي مهما صعب ، أما غير المؤمن من الناس فانه يخشى أقل الأشياء صعوبة أو ضرراً ، كما يقول الحديث الشريف :

« من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء » .

فكل شيء صغير عند المسلم الحقيقي ، حيث كبر الخالق في قلبه فصغر ما سواه في عينيه ، فهو لا يعرف الا الله ، واذا ذكر الله عنده وجل قلبه وخشعت نفسه واقشعرت بشرته ، وأما ما عدا الله فانه لا يهتم به الا بما ذكره الله سبحانه ، فبالترفع عن الدنيا والاعتدال في الأمور والتوكل على الله سبحانه وتعالى لا يهاب المؤمن أحداً ، بل يهابه كل أحد وما دام كذلك فانه يتحرك بين الناس و يتعامل مع الجميع باعتدال لأنه لا ينطلق من مركب نقص ، بل واثق بنفسه وعمله .

اما أولئك الذيليون الطفيليون فانهم أتباع كل ناعق يدورون مع كل محور كالريشة في مهب العاصفة تتطاير في كل اتجاه فانهم ممن لا ايمان لهم ، بعكس المؤمن الذي لا يخضع لغير الله ، ولا يبدل صورته ووجهه كالحرباء مع كل وجه ، فيوماً بعثي ، و يوماً شيوعي ، وآخر رجعي وامريكي وروسي ، وسلسلة تبدأ ولا تنتهي من التقلبات .

لقد رأينا في واقعنا المعاصر كيف بدّل بطل القادسية الأمريكية اتجاهه فمال مع الرياح الشرقية بعد أن يئس من الرياح الرجعية وتحالف مع اليسار ، ولم يكفه ذلك بل مال اليوم مع الرياح الصهيونية الاسرائيلية بكل صراحة .

فهل يفعل المؤمن الحقيقي مثل ذلك ؟ محال !

ان للمؤمن هيبة لأنه لا يهاب شيئاً الا الله ، يدخل المؤمن على الملك فلا يتأثر لأنه لم يدخل على أحد سوى عبد من عبيد الله .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

(المنافقون / ٨)

« ان اكرمكم عند الله أتقاكم » .

(الحجرات / ٣)

وعجيب أمر المؤمن في حين يدخل على الملك دون أن تطرف له عين ، و يتكبر على المتكبرين ، لأن التكبر على المتكبر تواضع تجده يتواضع مع المساكين واليتامى كأنه

يستحي منهم ، وهذا خلق رفيع ، فان ترفعه على الماديات والمتغطرسين لا يجعله ينسى مسؤولياته تجاه الناس العاديين .

وهكذا نجد ان تواضع المؤمن من جهة واستعلائه على الحتميات المختلفة والمتكبرين من الناس من جهة أخرى تجعله لا يهاب ولا يخشى احداً سوى الله ، مما تخلق منه شجاعاً مقداماً رياديّاً مبادراً خلاقاً قادراً على الابداع في شتى المجالات .

الرسالي قمة تضيء

من الناحية الموضوعية هنالك فرق بين الثورة والثائر، كما ان هنالك فرقاً بين الظروف التي تصنع الثورة و بين العوامل التي تنمّي روح الثورة في الثائر.

فمن هو الثائر ؟

وما هي الثورة ؟

وما هو الفرق بينهما ؟

الثائر : هو الانسان الذي يشكل محور الحياة على هذا الكوكب.

فلولا تطلع الانسان نحو بناء حضارة أفضل، ولولا ثقة الانسان بقدرته على هذا البناء، ولولا قوة التوكل على الله ــ والذي بفضله سينتصر الانسان على العوامل الذاتية والخارجية، التي تكبل الانسان وتحاول حصره في حدود ضيقة ــ لولا كل ذلك لبقي الانسان يعيش في الغابات والكهوف كما كان آباؤنا الأولون، ومن هنا فالثائر اذن قبل الثورة، لان الانسان هو الذي يصنع الثورة.

ولكن هنالك فرق بين انسان يخضع لظروفه، و يستسلم للعوامل المحيطة به معتقداً بالحتميات، (حتمية المجتمع ــ التاريخ ــ الوراثة ــ الاقتصاد)، و بين انسان رفض الخضوع لأي آلهة ما عدا اله الكون الواحد الاحد الذي أعطاه الحرية، وفتح أمامه آفاق الحياة، فملايين البشر من النموذج الاول لا يساوون واحداً من النموذج الثاني، لان ملايين الناس من هذا النوع (النموذج الاول) كما يقول الامام علي(ع):

«همج رعاع اتباع كل ناعق».

لا يدانون في الفضل واحداً ممن يصفه الامام علي (ع) بأنه :

« عالم ربّاني أو متعلم في سبيل نجاة » .

فمن هم الهمج الرعاع .. ؟

تجتمع في بعض البلاد أيام الصيف أنواع من الحشرات تشبه البعوض ، بالملايين ، لكن ما ان تهب ريح عاصفة حتى تتقاذفها ذات اليمين وذات الشمال . والهمج الرعاع من البشر هم مثل أولئك الخاضعين للحتميات ، و يتبعون كل ناعق ، حسب توجيهاته يميناً و يساراً ، وهؤلاء لا يساوون عند الله انساناً من وزن العالم الربّاني الذي يتحدى الحتميات ، و يصنع المستقبل للانسان . ولهذا فان الثائر ليس بحاجة الى ظروف خارجية ليكون ثائراً.

الانسان الثائر هدف الرسالات السماوية :

الثورة بحاجة الى توعية الجماهير ، ورفع مستواهم العقلي ، اعطائهم الثقة بالذات ، توفير التنظيم الكافي ، تعبئة طاقاتهم ، الى غير ذلك من العوامل الموضوعية والذاتية التي يجب ان تتوفر جميعاً ، حتى تتحقق الثورة .

وقد كان للرسالات السماوية هدفان بالنسبة للحياة البشرية والمجتمع الانساني .

الهدف الأول :

خلق الثورة الشاملة ، ثورة على الاوضاع الفاسدة ، ثورة على التخلف والفقر والمرض والجهل ، وعلى سائر المفاسد الاجتماعية الظاهرة منها والباطنة .

الهدف الثاني :

إن الرسالات السماوية تهدف تربية ذرّية تتوارث الرسالة . سلسلة متتابعة من الثوريين ضد الباطل .

فان لم تكن الظروف مناسبة لخلق الثورة ، فلا أقل تكون هناك مجموعة رسالية يتوارثون هذا المشعل ، كيلا يخبو نوره ، و ينتظرون الظروف المناسبة لتفجير الثورة كلما حانت الظروف

هؤلاء يشبهون البذور الطيبة التي تبقى تحت التراب منتظرة المواسم الخيّرة ، فأنت اليوم تحرث الارض وتزرع ، وتبقى البذور مدفونة تحت التراب لا تهتز ولا تتحرك ، وتبقى

هكذا حتى يأمر الله سبحانه وتعالى السحب أن تسقي الارض مطراً . فتتهيأ الظروف لتنبت هذه البذور المودعة في رحم التربة ، وهكذا الانسان الثائر الذي يبقى ينتظر الظروف .

والاحاديث التي سوف نستعرضها فيما بعد ، يهدف اكثرها هذا الهدف المقدس ، وهو ايجاد مجموعة من الناس تنذر نفسها لله ، والآيات الكريمة التي ستمر علينا تتمحور حول هذه النقطة ، وخلال تدبرّنا فيها بعمق نتعرف على حكمة اجتماعية هامة من حكم الاسلام . .

« فاستقم كما أمرت » . (١١٢/سورة هود)

الاستقامة هي المحور الذي تدور حوله سورة هود ، ولا تشر الى هذه الكلمة (الاستقامة) الا في نهاية السورة ، بعد ان تتحدث عن استقامة نوح وابراهيم وهود وصالح وموسى وانبياء آخرين (ع) ومواجهتهم للطغاة والفساد . بعد هذا يقول ربنا سبحانه وتعالى في نهاية السورة مخاطباً رسوله (ص) ، و بالتالي مخاطباً المؤمنين :

« فاستقم كما أمرت ومن تاب معك » .

أي عليك أنت والمجموعة الخيّرة الفاضلة الذين يحومون حولك ، كما تحوم الفراشة حول الشمعة ، عليكم جميعاً ان تستقيموا .

« ولا تطغوا انه بما تعملون بصير» .

وهنا يأمر الباري عزوعلا بالاستقامة في ظروف الانتصار (بعدم الطغيان) وفي حال الهزيمة (بعدم اليأس) فتكونوا أبطالاً تتعالون على الهزيمة كما تتواضعون في حال الانتصار .

« ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار» . (١١٣/سورة هود)

فعلى المجموعة هذه ــ حال الانتصار أو الهزيمة ــ أن تستقل ، بعدم الركون لأي جهة كانت ، لا للشرق خشية الغرب ، ولا للغرب خشية الشرق .

ولا تستمد الدعم من قوة طاغوتية متجبرة ، لاخضاع قوة طاغوتية متجبرة أخرى .

« وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » .

تأكيد بالاستمرار على الاستقامة وطلب النصر من الله ــ ومن الله فقط ــ لا من الشرق حيناً والغرب آخر ، فان الله سوف يكلكم الى انفسكم والى أولياءكم في الشرق

أو الغرب (ثم لا تنصرون) وكيما تبقى جذوة الاستقامة متوهجة في نفوسكم لا بد من الاكثار من الصلاة.

«واقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * واصبر». (١١٤/سورة هود)

تماماً كالآية الاخرى من سورة البقرة:

«واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين».

(البقرة / ٤٥)

عليك ان تتسلح بالصبر، وتتزود بالبصيرة النافذة وان ترى المستقبل البعيد ولا تنظر الى هزيمتك الآن، وانما تنظر الى انتصاراتك غداً.

«فان الله لا يضيع أجر المحسنين». (١٧١/آل عمران)

فلأنك كنت محسناً، فان الله لا يضيع أجرك.

ثم ان السياق يبيِّن ما يتصل بحديثنا هنا.

«فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقيّة ينهون عن الفساد في الارض».

(١١٦/ هود)

اذن إن الحكمة الالهية تقتضي وجود **«أولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض»** مهمتها الاصلاح والنهي عن الفساد في الارض، مجموعة خيّرة رسالية متوارثة **«ذرية طيبة بعضها من بعض»** يحملون مشعل الرسالة، ومشعل الاصلاح، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، واصلاح المجتمع.

«ينهون عن الفساد في الارض الا قليلاً ممن أنجينا منهم».

و[لولا] كلمة تحريض، بمعنى (لماذا لم تكن) و[أولوا بقيّة] في لغتنا اليوم تسمى ثواراً أو (المجموعة المؤمنة التي تبقى) وتستمر مع كل الظروف المعادية والتحديات الصعبة.

«واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون». (١١٦/هود)

اذا وجدت هذه الفئة المخلصة فانها تنقذ القرى الكبيرة من الهلاك التام عن طريق نهيها عن الفساد في الارض.

وهذه الآيات صريحة تقريباً في ضرورة وجود فئة مستقيمة صابرة مصلية تأبى الركون الى الغرب أو الشرق ، باقية على استقامتها وثوريتها في طريق الحق ، مهما تطاولت القرون ، وتكالبت المحن .

اذن فأحد أهداف الرسالات السماوية ، هو ايجاد الانسان الثوري قبل الثورة ، سواء كانت هنالك ثورة أم لم تكن ، وقد سبق القول وأكرّر ان للثورة ظروفها الموضوعية ، لانك لا تستطيع تفجير الثورة وقت ما تشاء .

وعلى سبيل المثال قبل انطلاق الثورة الفرنسية بعشرات السنين ، انطلقت مجموعة من الكتّاب والمنظرين والاداريين والموظفين والضباط ، يساهمون في مجموعة من الانشطة الاجتماعية ، بعضهم في المحافل الماسونية ، و بعضهم في الأندية ، كنادي اليعقوبيين مثلاً : و بعضهم عن طريق كتابة دوائر المعارف أو المسرحيات وما أشبه .. كان هؤلاء جميعاً يحرّضون المجتمع على الثورة ، ولكن متى انبثقت الثورة ؟ بعد عشرات السنين بعد ان نضجت الظروف وتكاملت العوامل ، بعدما فجر الملك الغبي الثورة ضد نفسه ، انطلقت آنئذ شرارة الثورة .. وانتهى أمر الملكية في فرنسا .

كذلك في روسيا ، فقبل ثورة اكتوبر (١٩١٧) بعشرات السنين كانت بذور الثورة موجودة ، كانت هنالك مجموعات تعمل ضد القيصر ، واستمرار مجاميع تعمل في الظلام ، ولا أدل على ذلك مما يقال في مدح لينين بأنه تتلمذ على قدماء الثوّار مما يشير الى ان لينين الذي قضى عشرات السنين يعمل قبل انتصار الثورة البلشفية كان تلميذاً للشبيبة السابقين ، مما يدل على وجود اجيال من العاملين تتابعوا حتى تفجرت الثورة ، و بعد هزيمتين عسكريتين لحقت بـ (روسيا القيصرية) هما هزيمة (١٩٠٥م) امام اليابانيين ، وهزيمة (١٩١٦م) أمام الالمان ، نضجت ظروف الثورة ثم انتصرت .

والحال لا يختلف في ايران ، لم تكن الثورة ناضجة في عام (١٩٦٢م) في (١٥) خرداد أي قبل حوالي عشرين سنة ، بل ان الاوضاع كانت تبدو هادئة حتى عام (١٩٧٢م) وما بعدها لدرجة ان الطاغية البائد (الشاه المقبور) كان يزعم ان ايران جزيرة من الاستقرار والثبات ، في بحر من الفوضى في العالم ، وكانت أموال النفط تغطي سلبيات النظام ، ولكن عوامل الثورة نضجت ، مثلاً :

* اسعار البترول هبطت .

* ازداد التضخم .

* ازدادت بيوت الصفيح حول طهران لا سيّما في الجنوب .

* انتشر الثوار والكتب الثورية والثقافة الثورية بين صفوف الشعب .

* قام الجميع بتحمل مسؤولياتهم .. كالعلماء والخطباء والحوزات العلمية ، والكتّاب والمثقفين والحركات الفدائية ، وذلك تحت لواء المرجعية .

ثم تفاعلت الجهود وتكاملت ، حتى تفجرت الثورة ، بينما العالم وقف مندهشاً يرقب سقوط عرش الطاووس في الهاوية ، وتسلم الشعب زمام اموره .

اما في العراق حينما كانت مجموعة من الاخوة الثوار قبل خمسة عشر عاماً في مدينة كربلاء المقدسة والنجف الاشرف يجلسون و يتحدثون عن الثورة .. كانوا يتحدثون وهم غير مطمئنين اليها ، بل ان هؤلاء الثوار لم يكونوا ليجرؤا على التفوّه بهذه الكلمة (الثورة) للناس ، ولكن ذهب نظام وجاء آخر حتى جاء صدام وأفسد في العراق فساداً لم يسبق له مثيل ، حتى بلغ أوج الحماقة والسفه بشن هذه الحملة الشاذة ، واشعال الحرب ضد الجمهورية الاسلامية في ايران ، والآن شيئاً فشيئاً ، يبدو ان ثمرة الثورة في العراق ناضجة .

اذن فالشروط الموضوعية للثورة ليست بيد الانسان ، ولكن صناعة الانسان الثوري (المؤمن الرسالي) ممكنة في كل وقت ، حتى في أسوأ الظروف ، فبالامكان بناء مجموعة ثورية مؤمنة ، وهذا ما يريده الاسلام ، وترشدنا اليه الروايات المقدسة واما كيف تعمل تلك الروايات ، والى ماذا تدعو؟ فهذا ما سنحاول ان نلقي عليها بعض الضوء لتكون مدخلاً لما يأتي .

كيف يصنع الاسلام الانسان الثائر؟

يقوم الاسلام ببث روح الايمان في النفوس ،ليخلق في النفس البشرية حالة من الاستقلال ، والابتعاد عن الحتميات وعن الشهوات الى درجة يستطيع صاحبها ان يتحدى كل الظروف .

وكما ذكرنا سابقاً ان حقيقة الايمان هي روح الايمان التي يؤيد الله سبحانه بها المؤمن فيتحدى كل الصعاب . ونسجل هنا بعض الاحاديث الشريفة في هذا المجال

لأهميتها .

عن الامام الصادق (ع) أنه قال :

« ان للقلب أذنين ، روح الايمان يسارّه بالخير والشيطان يسارّه بالشر » .

اي هذا يناجيه و يدفعه باتجاه الخير وذلك يوحي له و يدفعه باتجاه الشر ، فأيّهما ظهر على صاحبه غلبه .

وقال ابو عبد الله الصادق (ع) :

« اذا زنى الرجل أخرج الله منه روح الايمان » .

فقلنا :

(اي الرواة الذين سمعوا من الامام هذا الحديث) : الروح التي قال الله تبارك وتعالى عنها **« وايدهم بروح منه »** فقال (ع) نعم .. ثم قال : **« لايزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن ، وانما اعني ما دام على بطنها فاذا توضأ وتاب كان في حال غير ذلك » .**

وفي حديث آخر جاء رجل الى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) فقال : **«يا أمير المؤمنين ان اناساً زعموا ان العبد لايزني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن ، ولا يأكل الربا وهو مؤمن ، ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن ، فقد ثقل عليّ هذا وحرج منه صدري حين ازعم ان هذا العبد يصلي صلاتي و يدعو دعائي ، و يناكحني واناكحه ، و يوارثني وأوارثه ، وقد خرج من الايمان من أجل ذنب يسير أصابه » ؟**

فقال أمير المؤمنين (ع) :

« صدقت سمعت الرسول (ص) يقول : والدليل عليه كتاب الله ، اي ان هذا حديث صحيح عن الرسول (ص) و يدل عليه كتاب الله ، ثم يضيف قول الامام علي (ع) قائلاً : **« خلق الله الناس على ثلاث طبقات وأنزلهم ثلاث منازل ، وذلك قول الله عز وجل في القرآن الحكيم : « اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون » فأما ما ذكره من أمر السابقين فهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين ، جعل الله فيهم خمسة أرواح روح القدس : وهي روح النبوة ، وروح الايمان ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن ، فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين**

وغير مرسلين وبها علموا الاشياء ، وبروح الايمان عبدوا الله لم يشركوا به شيئاً ، وبروح القوة جاهدوا عدوهم وعالجوا معاشهم ، وبروح الشهوة اصابوا لذيذ الطعام ونكحوا الحلال من شباب النساء ، وبروح البدن دبوا ودرجوا » .

وهكذا يوضح الامام (ع) الأرواح المختلفة التي يمتلكها الانسان وفي طليعتها روح القدس وهي روح الانبياء ، ثم روح الايمان التي يزوّد الله سبحانه وتعالى بها المؤمنين من الناس .

وهنالك حديث آخر عن الامام الصادق (ع) أيضاً يقول :

« أرأيت قول النبي لا يزني الزاني وهو مؤمن » قال : **« ينزع منه روح الايمان »** قال : **« ينزع منه روح الايمان ؟! »** قال . قلت فحدثني بروح الايمان ، قال : **« هو شيء لا يمكن ان نفهمه ، يعني هو شيء لا يمكن ان تفهمه »** .. ثم قال : **« هذا أجدر ان تفهمه ، اما رأيت الانسان يهم بالشيء فيعرض بنفسه لشيء يزجره عن ذلك وينهاه ؟** قلت : نعم .. قال : **هو ذاك »** في كثير من الاوقات تدفعك نفسك الى شيء ، ولكن هناك قوة ذاتية في ضميرك تدعوك إلى التوقف عن فعله .

الامام الصادق (ع) يقول تلك القوة هي روح الايمان ..

وانت تملك روح الايمان لذلك لا تقدم على هذا العمل ، ولكن صديقك لا يملك تلك الروح لذلك يقتحم الشهوات .

عن الامام الصادق (ع) ايضاً قال :

« ان روح الايمان واحدة خرجت من عند واحد ويتفرق في أبدان شتى ، فعليه ائتلفت وبه تحابّت وسيخرج من شتى ، ويعود واحداً ويرجع الى عند واحد » .

هذا الحديث يؤكد ما قد سبق الحديث عنه ان الروح ذلك الملك الاعظم الذي يملك وجوه مختلفة يصل منه شعاع الى قلبك وقلبي وقلوب المؤمنين جميعاً . لذلك فنحن المؤمنين اخوة لان روحنا واحدة والامام الصادق (ع) يقول :

« أخوتكم أخوّة حقيقية » .

وليست فقط اعتبارية في الكلام ، لأن الروح التي نملكها كلنا معاً هي روح واحدة تصلنا اشعتها من روح ذلك الملك العظيم (الروح) الذي لم يخلق الله سبحانه ملكاً أعظم منه .

من هنا فان الاسلام يريد ان ينمّي في الانسان هذه الروح (روح الايمان) التي تحفظه من التوجه الى سائر الشهوات والهبوط الى هوّة الذنوب والجرائم.

هنالك صراع أبدي بين العقل والنفس: فالأول يدعو الانسان الى التكامل والعروج الى الله سبحانه وتعالى، فيما تدعو النفس الانسان الى اقتناص اللذة، وذلك هبوط وتنازل، والاسلام من أجل ان يخلق من الانسان شخصية ثورية مؤمنة فانه من جهة ينمي العقل و يقويه، ومن جهة أخرى يضعف النفس و يزكيها وسواء سرنا في هذا الطريق أو ذاك فسوف نصل الى نهاية واحدة تماماً، كما لو كان لديك عدّو فان أنت قويت تتمكن من الانتصار عليه وان هو (ضعف تتمكن من الانتصار عليه ايضاً) وكذلك الحال مع النفس فهي من أعدى أعداء الانسان، اذ ورد في الحديث الشريف:

«اشجع الناس من غلب هواه».

وهذا يعني ان أعظم الناس بطولة من صرع نفسه، سواء ضعفت نفسك أو قويت ارادتك، فانك بالتالي ستنتصر، اما لو كان العكس والعياذ بالله، ضعف عقلك وانهزمت ارادتك، فهذا يعني الهزيمة امام عدوك الاول والاخطر وهو النفس.

وفي أحاديثنا ورواياتنا هناك توجيه لنوعين من الشخصيات، فبعض الاحاديث تسعى لتربية الانسان المتكامل المؤمن الرسالي (الثوري) والبعض الآخر ترمي الى تربية الانسان العادي، وتوجه ارشاداتها لعموم الجماهير. وكلاهما سيدخلان الجنة. ولكن الفرق بينهما في المكانة، داخل الجنة، فالمؤمن الرسالي في أعلى عليين. اما الآخر فانه في ربض الجنة. **تماماً كدرجات الفنادق، درجة أولى أو ثانية أو ثالثة** أو ما دون ذلك، و يوم القيامة، الجنة هي دار ضيافة الله سبحانه وتعالى، ونحن في ادعية رمضان نقرأ: **«الهي لقد أوجبت لكل ضيف قرى»** يعني من الناحية الشرعية لا بد ان نكرم الضيف.. ونحن نخاطب الباريء عزّوعلا خلال الدعاء بأنك يا رب قد اوجبت لكل ضيف قرى (اكراماً) وأنا ضيفك الليلة فاجعل قراي الجنة، يعني ضيّفني بالجنة، وسوف يعطيك ربك ذلك، ولكن بشرط ان تجهد نفسك بالتضرع الى الله في لياليه الخاصة، والله سبحانه لا تنقص خزائنه كثرة العطاء **«ولا تزيده كثرة العطاء الا جوداً وكرماً»**، فكن ذكياً حينما تطلب من الله حاجة.

اذن تختلف الدرجات في الجنة . فيها ربض ، وفيها المراتب العالية جداً بحيث لو سأل انسان ما ، عن صديقه فيشار اليه بالنظر الى ما يشبه النجمة الزاهرة لنا الآن ، ويقال له هنالك . في الدنيا لا تقاس المسافات بين النجمة والاخرى إلا بالسنين الضوئية ، أما في الجنة فينظر المؤمن الى النجمة و يسأل ما تلك النجمة فاذا بها مكان أخيه المؤمن ، درجة من درجته بهذه المسافة ، و بامكان العالي ان يأتي الى من هو أدنى ، دون العكس ، فالناس على ضوء هذا التقسيم اثنان :

قسم عادي يصلي و يصوم و يزكي ويحج ومؤمن متقي وهؤلاء يدخلون الجنة ولكن في ربضها .

اما القسم الآخر فهم ممن اختارهم الله لنفسه : « **واصطنعتك لنفسي** » هؤلاء اعطوا كل ما لديهم لله ، « **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة** » الله اشترى وهم باعوا بيعاً كاملاً فيعطي ربه نفسه وارتباطاتها ، وعلاقاتها .. حبها .. بغضها .. وكل ابعاد حياته .. ليستلم من الله أعزّ شيء وهو الجنان والرضوان .

بعض احاديثنا اذن ترمي لتربية الانسان المؤمن العادي ، ولذلك فهي من نوع الارشادات العادية (ثمان ساعات تنام ، تقوم مبكراً للعمل ، تتزوج ..) برنامج عادي للانسان العادي ، ولكن بعض الاحاديث ترمي الى خلق انسان ثوري من نوع الطليعة أو السابقين من الصفوة ، كأبي ذر رضوان الله عليه ، ووصية الرسول (ص) لأبي ذر تختلف عن وصية للناس العاديين ، لان الرسول يريد ان يخلق من أبي ذر ذلك الثائر الأبدي الذي يبقى مشعلاً للأجيال ، وكذلك وصية الامام علي (ع) للناس فوق منبره في الكوفة تختلف عن وصيته لابنه الامام الحسن (ع) ، أو لكميل بن زياد مثلاً ووصية الامام الحسن (ع) لجنادة تختلف عن خطاب الامام الحسن (ع) في مجلس معاوية أو في عرفات ، امام الناس ، ووصية الامام الحسين (ع) وأحاديثه في الصفوة من صحبه وأهل بيته في كربلاء تختلف عن أحاديثه للناس .. وهكذا وصية الامام موسى بن جعفر (ع) لهشام تختلف عن وصاياه للآخرين ، انها وصايا عميقة متكاملة ومركزة تهدف الى بناء الذروة السامقة في الانسانية وتهدف الى العروج بأصحابها نحو القمم العالية .

الرسالي بناء مبارك

ان الدعامة الاساسية في ارساء الاستراتيجية الحكيمة للثورة الاسلامية ، هي بناء القادة الثوريين الذين هم بمثابة القنوات التي تستوعب حماس الجماهير وتوجه طاقات الامة نحو الاهداف المرسومة والتصاعدية حتى انتصار الثورة .

ان المجتمع الذي تنموفيه القيادات ، يختلف عن المجتمع الذي يئد قادته و يأكل أبناءه العظماء ، وقد نرى في صفحات التاريخ صوراً لمجتمعات صغيرة ولكنها اعطت وانجبت للعالم قادة كباراً ، ففي (اثينا) مثلاً لا تزال ــ من عهد اليونان ــ تلمع اسماء كبيرة لقادة عسكريين أو مفكرين وفلاسفة وعلماء واطباء وآخرين بارزين في كافة الحقول القيادية ، بينما نطالع عبر التاريخ مجتمعات كبرى لكنها لم تنتج من يستطيع ان يرفعه الى صف القيادات الكفوءة ، فما هو الفرق بين المجتمعين ؟

ان لكل مجتمع محوراً يستقطب اهتمام وطاقات أبنائه ، قد يكون ذلك المحور (المال) وقد يكون (العلم) وقد يكون (السعي والعمل) وقد يكون (الترف) فالمحاور مختلفة وتبعاً لاختلافها تختلف نوعية الرجال التي يفرزها المجتمع ، فان كان المال محور المجتمع برز كبار الاثرياء ، وان كان العلم محور المجتمع فانه سوف ينتج العلماء الكبار والمفكرين والفلاسفة ، اما المجتمع الذي محوره الترف فلا ينتج سوى اللاهين والعابثين مهما كبر .

وهكذا ليست مسألة ظهور القيادات ونمو الكوادر مسألة الحركات الاسلامية ، أو الحركات الثورية ، بقدر ما ترتبط بكل الجماهير ، حيث ان صبغة المجتمع أي مجتمع ، ستترك بصماتها مباشرة على نوعية الافراد الذين يتسابقون الى محور الصبغة ،

وقطب رحاها .

والاسلام يبني المجتمعات على اساس تغيير المحور الذي يتنافس عليه أبناء المجتمعات ، من محور المال أو الترف والمجون ، الى محور العلم والتقوى والفضيلة . هنا كان التنافس في المجتمع الاسلامي في العلم والعمل الصالح ، والتسابق نحو تزكية النفس بالورع والتقوى والاعمال الروحية ، في هذا الاطار ينمو القادة ، وفي ظل هذا التنافس يزدادون في المجتمع .

لقد خلق الانسان بطبيعته ناظراً للآخرين فهو يرضى بوضعه ما لم يكن شاذاً عن الوضع السائد بين الناس ، حتى لقد قيل في البلاء « البلية ان عمّت طابت » ، كما يهذب الاسلام هذه الطبيعة في الانسان .

هكذا شأن الانسان لا ينظر الى المقاييس حسب قيمه أو فطرته ، بقدر ما ينظر اليها حسب أعين الناس والسنتهم ، ومن هذا المنطلق فان الشباب بشكل خاص حيث يتفجرون همةً وتطلعاً واندفاعاً نحو البروز والتقدم هم اكثر قطاعات المجتمع ، تحسساً بمقدسات المجتمع واعتباراته ، كالعلم والتقوى والشرف ، ولذا يتحمسون للاندفاع نحو هذه القيم .

العلم والتقوى محور المجتمع الاسلامي :

ان العلم والتقوى هما ركيزتا القيادة في اي مجتمع من المجتمعات ، ولكن حسب فهم المجتمع لهما ، ففي مجتمعنا الاسلامي ، يقصد بالعلم ، والتقوى : الالتزام الكامل بقوانين الاسلام وتعاليمه ، بينما في المجتمعات غير الاسلامية ، يعني العلم بالنسبة اليهم : العلم بالدنيا ، أما التقوى فهي تعني لديهم الانضباط .

ولو افترضنا ان (١٠٪) من افراد المجتمع أو حتى (٥٪) منهم تطلعوا الى الدرجات السامية فتسابقوا الى العلم والتقوى ، فان ذلك يُساهم في تكثير عدد القياديين . ذلك ان المجتمع الاسلامي الذي يجعل من العلم والتقوى محوراً لنفسه و يقدسهما ، سوف يجد في هؤلاء المتطلعين للقيادة ، أرضيةً صالحة لبروزهم ، وكفى بمجتمع يكون (٥٪) من ابنائه قادة ، كفى به عزةً وتقدماً .

في عالمنا الاسلامي لا نحتاج الا لقائد واحد لكل مائة انسان واكثر يلتفون حوله ،

و يتمتعون بقيادته ، وفي ذلك شفاء من ادوائنا وامراضنا الصعبة .

من هنا جاء تشجيع الاسلام على العلم وحث المجتمع على التسابق اليه وجعل منه قيمة تستحق الاحترام والتقدير ، اذ يأمر ان يحترم العالم لمجرد علمه ، بينما يقول في حق الثريّ :

« من احترم غنياً لغناه اكبه الله على منخريه في نار جهنم » .

وفيما يلي نورد بعض الاحاديث التي تفسر الآيات الكريمة التي جاءت تمجيداً للعلم والعلماء :

« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

(الزمر / ٩)

والنبي موسى عليه السلام حينما يلقى في طريقه عالماً قد جاء في التفاسير انه كان الخضر(ع) فيطلب منه موسى(ع) (وهو النبي العظيم ومن أولي العزم) ان يتبعه ، يقول موسى(ع) للعالم ، كما نقرأ في سورة الكهف :

« قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً * قال انك لن تستطيع معي صبراً * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً * قال ستجدني ان شاء الله صابراً ولا اعصي لك أمراً * قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً » .

(الكهف / ٦٦ ــ ٧٠)

اما الاحاديث :

١ ــ يقول الرسول الاكرم(ص) :

« من علم شخصاً مسألة فقد ملك رقبته .. فقيل : يا رسول الله أيبيعه ؟ قال : لا .. ولكن يأمره و ينهاه » .

وهذا دليل لما للعالم من تقدير واحترام وطاعة .

٢ ــ وفي رواية أخرى للامام الصادق عليه السلام حيث يقول :

« من اكرم فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عنه راض ومن اهان فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » .

« لا تحقرن عبداً آتاه الله علماً فان الله لم يحقره حين آتاه اياه » .

٣ ــ وورد عن الامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام قال :

« وحق سائسك بالعلم التعظيم له ، والتوقير لمجلسه ، وحسن الاستماع اليه ، والاقبال عليه ، وان لا ترفع عليه صوتك ، ولا تجيب احداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب ، ولا تحدث في مجلسه احداً ، ولا تغتاب عنده احداً ، وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء (اي تدافع عنه) **وان تستر عيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس عدواً ولا تعاد له وليّاً فاذا فعلت ذلك ، شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس » .**

٤ ــ كان الامام الرضا (ع) جالساً و بين يديه جماعة من كبار بني هاشم من ولد علي وفاطمة وكلهم سادة اجلاء وثوريون وكبار في السن ، فاذا بولد حدث يدخل فيهب الامام واقفاً اجلالاً له ، ثم يناديه اقبل .. اقبل .. اقبل .. حتى يجلس عنده ، وما ان عاد الى مجلسه رأى الجالسين قد انزلوا رؤوسهم وآيات الغضب في اعينهم كأنما أهانهم الامام (ع) فقال لهم :

« مهلا .. انني لاحترمه لان الله احترمه ، فهذا عالم والله فضل العلماء على غيرهم » .

من خلال الروايات والآيات التي مرّت بنا نجد ان المجتمع الاسلامي يحترم العلم ، يحترمه اكثر من احترام السن ، واكثر من المال ، أو النسب ، أو السلطة ، اليس الاسلام يقول عن علاقة العالم وصاحب السلطان هذا المبدأ العظيم :

« اذا رأيتم العلماء على ابواب الملوك ، فبئس العلماء وبئس الملوك ، واذا رأيتم الملوك على ابواب العلماء ، فنعم العلماء ونعم الملوك » .

اذن ليس من الغريب ان ترى شباب هذا المجتمع يندفعون نحو تحصيل العلم والفضيلة ، فينمو في هذا المجتمع العلماء الذين يصبحون قادة له . من هنا نسجل نقاطاً ثلاثة نرجو ان تحقق لمجتمعنا القيادات الكفوءة وتسدّ نقصه في الكوادر .

١ ــ تشجيع حركة التعليم الديني :

ان مجتمعنا الاسلامي ــ و بعد عهود التخلف والظلام ــ قد تخلى مع الاسف عن تلك الميزة الراقية ، فأصبح لزاماً على الحركة الاسلامية : ان توجه الجماهير ، و بالحاح ،

الى ضرورة احترام العلم كعلم ، والعلماء كعلماء ، تماماً كاحترام القيم الالهية الاخرى ، وذلك لان هذا الامر ضروري لنا في اعداد الكوادر وتشجيع حركة التعليم الديني ، كي تنهار القيم المزيفة ، والقيادات الجاهلية ، والكيانات الفاسدة ، وتنهض مكانها : القيم الالهية ، والقيادات الرسالية الواعية ، وحكومة العدل الالهي العالمية ، القائمة على اساس العلم والمعرفة والتقوى ، لتظهر في مجتمعنا عناصر شابة وقيادية امثال اسامة بن زيد أو اياس القاضي حيث لم يتجاوز عمر اسامة (١٦ أو ١٧ سنة) أما اياس فله قصة مع الخليفة العباسي ، فحينما وفد الخليفة العباسي على البصرة ، وجد شاباً يتقدم مجموعة كبيرة من اصحاب العمائم واللحي البيضاء . فقال : لأصاب العمائم اما كان منكم رجل يتقدمكم حتى يتقدم هذا الصبي ؟

ثم سأل اياس قائلاً : كم عمرك يا صبي ؟

فاجاب اياس بكل ثقة : عمري عمر اسامة بن زيد حين امره رسول الله (ص) على جيش فيه ابوبكر وعمر وكبار الصحابة .

قال : احسنت ، تقدمهم !

هكذا كان المجتمع الاسلامي في السابق رغم أني لا ابرئه من الانحرافات ، ولكن كان من الممكن ان ترى في ذلك المجتمع شاباً عمره لا يتجاوز الربيع السادس عشر (وبعد قرنين أو اكثر من انتشار الاسلام) كان يتقدم كبار الفقهاء ، لان هذا المجتمع كان يحترم العلمَ للعلمِ ، ولم يكن يقدم العمر أو النسب على العلمِ .

وكان هذا التشجيع يدعو الشباب الى الجد في تحصيل العلم ، الى درجة نرى بعض الفقهاء يصبح مجتهداً مستنبطاً قبل ان يبلغ الحلم ، كما ينقل عن شخص الفاضل الهندي كما ونجد العلامة الحلي رضوان الله عليه انه يصبح مرجعاً اعلى للطائفة في شبابه ، و يصبح السيد بحر العلوم مرجعاً اعلى ولما يتجاوز الثلاثين من عمره ، وهذا شيء لا يعيبنا ، بل على العكس انه دليل على شباب المجتمع وحيويته وتطوره .

فمجتمع يهتم بالعلم دون المقاييس الجاهلية تجد شبابه يهتمون بتعلم العلم ، لانهم يعلمون انه قيمة اساسية للمجتمع ، فيذكر ان شريف العلماء (رض) والذي اصبح مرجعاً أعلى في زمانه وعمره في حدود الثلاثين ، انه طيلة السبع سنوات الاخيرة من حياته الحافلة بالفضائل لم يطفىء الضياء ليلاً ، انه كان يسهر في المطالعة والتحصيل ، ولم ينم

خلال سبع سنوات متواصلات في الليل اشتغالاً بطلب العلم ، وقد التف المسلمون حوله حينما وجدوه أهلاً لذلك ، ولم يستصغروا عمره .

و ينقل التاريخ ان احد فقهائنا الكبار، حينما تقدم به السن ، وكان المرجع الاعلى في عصره ، صعد المنبر وقال : أيها الناس هذا تلميذي يبدو انه اصبح أعلم منّي ، وقد كبرت في السن فأرجوكم ان تغيّروا تقليدكم اليه بدلاً عني والتف الناس حول التلميذ .

٢ ــ توفير الاجواء المناسبة لطلب العلم :

لا شك ان الاسلام الذي يحترم العلم والعلماء لا يعني فقط ان يقوم المرء اجلالاً للعالم حين يدخل المجلس ثم يقبل يديه ، وانما احترام العالم قد يكون بمساعدته على تحصيل العلم وتوفير الاجواء المناسبة لتحصيله .

ان بناء المدارس الحديثة لطلبة العلم ، واختيار اذكى الابناء وافضلهم واكثرهم التزاماً بالدين والاخلاق للدراسة ، وتهيئة الكتب والوسائل الدراسية ، وابتعاث الطلبة لى المراكز العلمية ، وتوفير احتياجاتهم حين يتخرجون من دراساتهم ، هي بعض معاني احترام العلم والعلماء .

لذلك ينبغي على الحركات الاسلامية وعلى الجماهير المؤمنة ان تهتم بالعلم والعلماء وان تنشيء المدارس التي تخرّج كوادر للحركة الاسلامية .

اننا نجد في العالم الغربي الوف المدارس والمعاهد ، التي تعد المتعلمين لمناهضة الحركات الاسلامية ، فالمؤسسات التابعة للبنتاغون ووكالة الاستخبارات الامريكية والمخابرات الروسية .. وغيرها تعكف ــ الآن ــ على اعداد مجموعات من الكوادر المثقفة مهمتها مناهضة الحركات الاسلامية بمختلف الوسائل والاساليب ، وفي مقابل ذلك ماذا أعددنا نحن ؟ ان الواجب يفرض علينا ان نشيّد المعاهد التي تخرّج الكوادر التي تتصدى لخطط الاعداء ومؤامراتهم .

وفي هذا الصدد هنالك سؤال يفرض نفسه علينا بقوة والحاح في هذه الآونة ، لماذا لا نربي الكوادر عبر المدارس التي ننشئها لهذا الهدف بعناية فائقة ؟ .. بل لماذا نترك خيرة شبابنا يذوبون في الصراعات الاجتماعية الفاسدة ؟ .. لماذا لا نهيئهم للعمل الاسلامي كالخطابة والادب والفقه والتاريخ الاسلامي والتفسير وعلم النفس وعلم

الادارة وما اشبه ؟ .

٣ ــ بلورة التجارب :

اننا مدعوون اليوم وقبل اي شيء آخر ان نجمع تجاربنا ونركزها ، وما لنا لا نجمعها وقد دفعنا من أجلها الدماء الغالية ؟ لماذا لا نجمعها ونركزها في كتب وكراسات ثم نلقنها للاجيال الصاعدة من شبابنا ، من ابناء الحركة الاسلامية ؟ فكل جيل لا شك يبدأ بتجاربه ، ولكن لماذا يبدأ من الصفر ، لماذا لا يبدأ من حيث انتهى الآخرون ؟ .

ان هذه التجارب ثمينة لأنها كلفتنا الوف بل ملايين الشهداء ودفعنا الثمن باهضاً حتى وصلنا الى بعض اهدافنا ، فلم لا نسجل تلك التجارب ؟ انخشى ان يتداولها الآخرون وهم أعرف بتجاربنا منّا ؟ .

ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والغرب جميعاً يكبون اليوم على دراسة آخر التقارير التي تصلهم عبر الحكومات العميلة أو عبر شركات التجسس أو الاحزاب العميلة لهم ، و يعكفون على دراسة تلك التقارير ليستخلصوا منها تجارب لمقاومة الحركات الاسلامية ، بينما نحن نهمل تجاربنا الذاتية ، دون تسجيلها ، أو بلورتها ودراستها .

لماذا لا يوجد في طول العالم الاسلامي وعرضه معهد واحد لدراسة التجارب الثورية للحركة الاسلامية ؟ لو سألنا اليوم شاباً مسلماً متعلماً عن تجارب الحركة الاسلامية في القرن الماضي أو حتى في بداية هذا القرن اتراه يعرف شيئاً عنها ؟ ربما القليل من الشباب يعرف ، لان الكتب التي تبحث ذلك غير موجودة ، والدراسة غير مهيئة ، بل الاهتمام بها مفقود .

لقد علمونا في المدارس ، الكثير عن الثورة الفرنسية ، والثورة الامريكية ، والثورة الروسية ، واشياء كثيرة من هذا القبيل ، لكننا لم ندرس شيئاً عن حركة الرائد السيد جمال الدين الاسد آبادي المعروف بالأفغاني الاسلامية .. ولم يعرف شبابنا في تلك المدارس كيف كانت تلك التجربة هي نجحت ام فشلت ، والى اين وصلت ، وما هي آثارها ؟

ومَن مِن ابنائنا درس حياة الميرزا الشيرازي (قائد ثورة التنباك في ايران) أو درس

ثورته ؟ وكم منا درس تجربة ثورة العشرين في العراق ؟ وتجربة الحركات الاسلامية في شمال افريقيا ؟ بل ان اغلب المسلمين لا يعرفون شيئاً عن اكثر الحركات الاسلامية ، بل انهم لا يعرفون حتى اسماءها ، فكيف بتجاربها ومصادر قوتها أو ضعفها وانتصاراتها أو فشلها ، لا بد ان نلاحق هذه التجارب ونسجلها وننقلها الى الجيل الصاعد امتثالاً للحديث الشريف : **« مداد العلماء خير من دماء الشهداء »** .

اني اوجه الكلام الى العلماء والمفكرين والكتّاب ، ان كان مداد العلماء خيراً من دماء الشهداء ، فانما لان العلماء يتحملون مسؤولياتهم في بلورة البرامج الكافية لانتصار الشهداء ، ان على مداد العلماء ان يدعم دماء الشهداء بتسجيل تجارب الشهداء ليروي للجيل القادم ماذا صنع الشهداء من آبائهم وان يحمل رسالة الشهداء .

ان رسالة الشهداء لا تتم ان لم تسجلوها وتكتبوها وترسموا خارطة لدمائهم ، فلماذا تذهب دماء شهدائنا هدراً ؟ لماذا لا نعرف عن مناضلينا وشهدائنا في العراق وفي مصر ، وفي ايران ، وفي لبنان ، وفي افغانستان وفي كل مكان من عالمنا الاسلامي الا نزراً قليلاً ، وماذا فعلوا وكيف ضحوا بأنفسهم .

لقد قام الاستعمار البريطاني ــ في العراق ــ وعبر عملائه الذين توارثوا العرش من الملوك الهاشميين حتى العملاء الصداميين قاموا بفصل جيلنا عن جيل الثورة ، ولذلك استطاع العملاء ان يتربعوا مطمئنين على عرش العراق .

لو كان ابناء الشعب يعرفون تجارب آبائهم ، شهداء ثورة العشرين ، لما تمكن صدام وزمرته من التسلط على رقاب جماهيرنا اليوم ، ولكن فصلونا ثقافياً عن الجيل الثوري ثم استعمرونا وقهرونا ، وعلينا اليوم أن نبلور الثقافة الثورية ، والتجربة الاسلامية ، ونعطيها بصورة مركزة للكوادر والجماهير حتى لا نلدغ من جحر مرتين .

واخيراً اذا كانت الثورة الاسلامية تقوم على دعامتي : التوعية الجماهيرية ، و بناء الكوادر ، فان علينا ان نجتهد في بناء الكوادر ، وذلك يتحقق عبر نقاط ثلاث :

توجيه اهتمام الجماهير الى العلم والعلماء و بالتالي تهيئة ارضية لنمو الكوادر ، وان يترجم هذا الاهتمام الى لغة عملية عبر بناء المدارس والمؤسسات وتوفير المال وتقديم الابناء وتهيئة الظروف المختلفة لنمو الكوادر ، ولا بد لعلمائنا ان ينقلوا تجاربنا الى الكوادر بصورة مركزة .

الرسالي دور متميّز

تعتمد الثورة الاسلامية على نظرية تعتبرها حجر الزاوية ، تلك النظرية هي (اصالة الانسان) فما هي هذه النظرية ؟

جاء الاسلام ليقرر على لسان الوحي ..

« ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » .

(الاسراء / ٧٠)

واضاف :

« واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » .

(البقرة / ٣٠)

كما قال :

« هو الذي جعلكم خلائف في الارض » .

(فاطر / ٣٩)

و بهذا التقرير فقد ألقى بكل الثقل على الانسان .

والانسان ــ باعتباره الموجود المكرّم والمفضل على كثير من الخلق ، و باعتباره الخليفة في الارض ، حيث من نسله خلفاء الله في الارض وهم الانبياء والائمة الهداة ــ يجعله الاسلام محوراً في هذا الوجود ؛ فهو الاصل في الحياة الدنيا ، بينما سائر ما في الطبيعة وما تفرزه من متطلبات ــ بما يسمى اليوم بالحتميات ــ ليست الا توابع وفروع لذلك

الأصل .

فليست الشمس مركز الكون ، وليس القمر كل شيء في المنظومة الشمسية ، ليس التراب والماء والهواء ، و بالتالي ليس التاريخ والمجتمع والثقافة والوراثة بحتميات ، بل الانسان ، والانسان المؤمن ، بالذات .

ولو كانت هذه الامور حتمية ، لما تكامل الانسان ولا تطوّر ، فالاسد يبقى في الغابة ملايين السنين ، كما هو لا يتغير ، ولا يتطور ، ولا يتقدم ولا يتكامل . والحمامة هي الحمامة منذ ملايين السنين ، وستبقى الى ما شاء الله من السنين القادمة ، دون أن يطرأ عليها تغيّر أو تقدم في جانب من جوانب وجودها ، فالذي منع الحمامة من التطور ، وسلب الاسود قدرتها على أن تتطور وتبني حضارة لها وهي ملوك الغابة ، ومنع كافة الحيوانات من التغيّر والتطور ، انما هي حتمية الظروف المحيطة بها ، والتي تنعكس في واقعها بصورة غرائز تسيّرها .

ولو كانت هذه الغرائز هي القائد في الانسان ، وتجري حياته وفق السنن والقوانين والأنظمة الطبيعية ، والبيئة المحيطة به ، لبقي ــ كما كان ــ قبل مليون سنة ، وسيستمر كذلك ولن يتغيّر . الا أننا نرى ان الانسان يتطور و يتكامل ، اي انه يقهر هذه الحتميات بتحديه للظروف ، يبني و يهدم و يعمّر الارض ويخترق الجبال و يسبر غور المحيطات ، و يغزو الفضاء ويحطم الذرة ، فهو يختلف عما في الطبيعة من احياء ومخلوقات ، وفي هذا دليل بسيط وفطريّ جداً على ان الانسان هو (الانسان) قبل ان يكون ابناً لمجتمعه ، أو تابعاً لأرضه ، أو عبداً للمال والطقس والغذاء وكل ما يحيط به ، فهو المهيمن عليها و يبقى بذلك وجوده وقدرته وارادته أصلاً ومركزاً بين متغيرات الكون .

وهذه هي نظرية اصالة الانسان التي نادي بها علماء الاسلام إلا انها بالطبع لا تدل على انها أصالة أمام الله تعالى القاهر القيّوم .

لماذا اصالة الانسان ؟

ان الانسان أصل ، لان الله سبحانه وتعالى أراد له ذلك ، وأراده أن يكون مركز الخليقة ، أما تلك النعم التي ميّزته فهي :

١ ــ نعمة العقل .. ليميّز بين الخير والشر ، و يعرف الحق من الباطل .

٢ ــ نعمة الارادة .. ليتخذ موقفه حسب ما يمليه عليه علمه .

٣ ــ نعمة الوحي .. لتعيد اليه توازنه وتثير دفائن عقله .

ولولا تلك النعم ، لأضحى كالأسد في الغابة ، أو الحوت في البحر .

وان نظرية اصالة الانسان ، مقياس يعرف به مدى نجاح الثورات فلا تكون ثورة على حق الا اذا اعتمدته . وكلما كان ايمان الثورات باصالة الانسان وقدرته على التحدي اشد ، كلما كان نجاحهم اقرب ، وكانوا أقدر على تحدي الصعاب .

اما ان قتلنا ارادة التحدي في نفس الانسان ، بأن أوحينا اليه بأنه محكوم بسلطة ، أو بمجتمع أو بوراثة ، و بألف قانون وقانون ، فاننا لن نستطيع ان نطالبه بالثورة وتحدي القيود .

وهل نستطيع أن نطالب الاسود بالثورة على اوضاعها في الغابة ؟ أو نطالب النبات بالتمرد على سنن الطبيعة ؟ أبداً . وما دام الأمر كذلك فاننا لا نطالب بالثورة الا الانسان القادر ، وعليه فان مفهوم الثورة يعادل مفهوم القدرة على تحدي الظروف .

بهذه المقدمة نتوصل الى الموضوع الرئيسي وهو (الانسان الرسالي) الانسان المكلف بالثورة .

فمن هو ؟ وما هي مواصفاته ؟

وما هي معادلات الثورة الداخلية عند الانسان ؟

وقبل الاجابة على هذه التساؤلات اقول : لو طالعت جميع المذاهب الفلسفية و بحثت في كل النظريات الثورية وتعمقت في كافة الأديان والمعتقدات ، لما وجدت أبداً نظرية أو ديناً كالدين الاسلامي وفلسفة كالقرآن الكريم ، يعتقد باصالة الانسان بحق ، اذ ان كل المذاهب الأخرى ــ حتى ولو قالت نظرياً انها تعتقد باصالة الانسان ــ الا أنها تسلب هذه الاصالة خلال برامجها التفصيلية .

فالنظرية الماركسية تعطي الاصالة لوسائل الانتاج .

والنظرية الليبرالية تعطي الاصالة للاقتصاد .

وحينما يُقسم العالم الى معسكرين فانهما : المعسكر الاشتراكي ، والمعسكر الرأسمالي . ونحن نعرف ان الاشتراكية والرأسمالية ، نظامان اقتصاديان ، وليسا مذهبين فلسفيين ، مما يدل على ان عالم اليوم يؤله الاقتصاد مقابل اصالة الانسان .

حتى نظريات الأمس ، كنظرية أرسطو ، أو أفلاطون ، أو سقراط ، فيها نوع من الحرية ، (و بتعبيرنا اليوم نوع من الحتمية) فان الفلسفة اليونانية عل اختلاف مشاربها لم تستطع ان تبين فلسفة حرية الانسان .

بينما الاسلام ــ والاسلام وحده ــ استطاع ان يقول : خلق الله المشيئة ثم خلق الاشياء بالمشيئة ، وهو الذي يقول :

« وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين » .

(التكوير / ٢٩)

وحرية الانسان ملهمة من ارادة الله ، فهكذا شاء سبحانه ان يكون الانسان حرّاً .

والنظرية المعروفة لدى المسلمين تقول : كل شيء ينتهي الى ما بالذات ، وما بالذات لا يعلل ، وكل الحوادث تنتهي الى ارادة الانسان ، وارادة الانسان هي ارادة الانسان ، ليس لها عللٌ خارجية .

واصالة الانسان تعطي الثورية لأصحابها ، وهنا استعيض عن مصطلحاتي السابقة بمصطلحات جديدة ، حيث للاسلام مصطلحاته الخاصة ، والاسلام لا يُفهم الا بمصطلحاته ومنهجه .

من هو المؤمن الحق ؟

لا يقول الاسلام (الثوري) ولكنه يقول (المؤمن) لأن المؤمن أعظم من الثوري ، لان المؤمن هو المتقي ، والصابر ، والمستقيم ، والمتوكل على الله ، والمستعين بالله ، نحن لا نفهم هذه المعاني من لفظة (الثوري) .

فعلينا ان لا نستعين بالمصطلحات الحديثة ان أردنا ان نفهم الاسلام ومكونات الشخصية الايمانية المتكاملة ، بل نفهم الاسلام من داخله حسب ألفاظه المميّزة ومنطقه الخاص .

ان أهم ما يدعو له الاسلام و يبيّنه ــ في هذا المجال ــ هو (الايمان) و (روح الايمان) ولكي نوضح هذا المصطلح القرآني نقول :

هناك سلسلتان من الصفات النفسية تختلفان عن بعضهما :

أ ــ مراحل المعرفة :

السلسلة الاولى تبدأ هكذا : الوهم ، فالشك ، فالظن ، فالاطمئنان ، ثم العلم ، فاليقين ، فعلم اليقين ، فحق اليقين ، فعين اليقين ، وذلك أرقى درجات العلم والمعرفة ولتقريب الفكرة الى الاذهان دعنا نضرب لذلك مثالاً :

تحت تأثير الظلم والارهاب قد يفترض أحد ــ ولو بنسبة واحد الى ألف ــ بأن هناك (ثورةً ما) سوف تندلع نتيجة للاوضاع الفاسدة فهذه مرحلة (وهم) ، وخلال معايشتك للناس تسمع همساً بأن الشعب ساخط على الاوضاع ، هنا تبدأ عندك ــ مرحلة ــ (الشك) وهذه مرحلة متقدمة عن الوهم ،وبعد حين يأتيك صديق يخبرك عن توزيع منشورات سرّية ، وكتابات على الحيطان ، هنا تبدأ مرحلة (الظن) بصحة الخبر ، و بعد فترة يأتيك اخوك ليخبرك بالمنشورات والكتابات الثورية ، وشاهدان عادلان يبعثان في نفسك (الاطمئنان) بعد هذا يأتي اليك ابنك و بين يديه بعض تلك المنشورات التي وزعت فيحدث عندك (العلم) آنئذ تقرأ المنشورات فيصبح لديك (اليقين) ، ولكن حينما تذهب الى أماكن أخرى وتشاهد بعينيك الكتابات الحائطية ، وتجد انواعاً اخرى من المنشورات ، يصبح عندك (علم اليقين) ، وما ان تندلع المظاهرات الجماهيرية امام عينيك حتى يكون عندك (حق اليقين) فاذا شاركت الجماهير وانخرطت في المظاهرات ، و بدأت مع الناس في تحدّي السلطات فآنئذ يصبح عندك (عين اليقين) بوجود ثورة ضد النظام ، وهذه هي المرحلة التاسعة والأخيرة في مراحل المعرفة .

وهناك سلسلة أخرى بالنسبة (للايمان) وهي تلتقي مع السلسلة الأولى عند مرحلة اليقين .

ب ــ درجات الايمان :

الجحود ثم الشك المنهجي ، فالاطمئنان ثم الاسلام ، فالايمان فاليقين ، فعلم اليقين ، فحق اليقين ، فعين اليقين .

(الجحود بالله) : قد يكون الفرد في البداية في درك ، ثم يلتقي بصديق مؤمن و يبدأ معه النقاش حول العقائد فيرتفع الى مستوى (الضلالة) أو (الشك) حيث يبدأ التشكيك حول وجود الله والجنة والنار الخ .. أما حينما تعرض عليه الأدلة والبراهين يصل الى

مرحلة (الاسلام)، حيث يقبل كل ما يقوله له المؤمن، و بعد الاسلام تأتي درجة (الايمان) حيث يقول آمنت واعتقدت كما يقول ربنا :

« قالت الاعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ».

(الحجرات / ١٤)

الايمان مرحلة متقدمة على الاسلام، فبعد التلفظ باللسان يتحول الاعتراف بالجنان الى عمل بالاركان، وهنا يتدرج الايمان من اليقين، الى علم اليقين، فحق اليقين، و بعد ذلك عين اليقين، تلك المرحلة التي يقول فيها الامام علي (ع) :

« لو كشف لي الغطاء ما أزددت يقيناً ».

ففي مرحلة اليقين تتحد السلسلتان، والايمان هو أهم شيء في هذه السلسلة.

فالايمان اذعان القلب بما يكشفه العقل، فالقلب يخشع والارادة تخضع، وهذا هو جوهر الايمان، تسليم النفس بصورة كاملة لما يتحقق لدى الانسان من العلم، ولكن الايمان ليس بهذه البساطة، ولا يمكن ان نعرفه كذلك.. هناك حديث شريف عن الرسول (ص) يعرّف لنا الايمان :

« الايمان وقر في القلب وعمل بالاركان ».

وفي حديث آخر :

« الايمان تصديق باللسان وعمل بالاركان ».

هذا هو الايمان، وهذه هي المواصفات الخارجية للايمان، وللايمان جانب آخر هو تأييد الله للمؤمن (بروح الايمان).

ذلك ان المؤمن ــ أي مؤمن ــ يلاحظ كيف يأتي اليه الشيطان موسوساً مشككاً ضاغطاً، الا ان المؤمن يبقى كالجبل ثابتاً لا يتزحزح، لماذا ؟ لان الله سبحانه يؤيده بالروح، فالمؤمن ينوي ان يعمل صالحاً والله يويده بالروح.

واذا امتلك الانسان روح الايمان فلا تخف عليه، لأنه أقوى من الجبل كما يقول الامام الصادق (ع) : **« لأن الجبل ينال منه والمؤمن لا ينال منه »**، خذ فأساً واذهب الى الجبل واضرب عدة ضربات تجد الصخر يتفتت ولكن لو قتل المؤمن فأحياه الله ثم قتل فأحياه الله ثم فعل به ذلك ألف مرّة لما ازداد الا ايماناً، هذا هو المؤمن.

المؤمن أقوى من الحديد لان الحديد يتغيّر بالنار والمؤمن لا يتغيّر بالنار، وقد يصل

المؤمن الى درجة ان يقول للشيء (كن فيكون) كما يقول الله سبحانه وتعالى للشيء (كن فيكون)وذلك للروح التي عند المؤمن بتأييد العلي القدير.

لا بد من الاشارة الى ان تلك الروح ليست (روح القدس) فروح القدس خاصة بالانبياء.

اذ يؤيد الله سبحانه انبيائه بروح القدس لمنحهم (العصمة)، بينما يؤيد الله سبحانه المؤمنين بالروح لمنحهم (العدالة) والفرق بين العصمة والعدالة كالفرق بين النبي والمؤمن.

والمؤمن في الدنيا غيره في الآخرة، الانسان يرى المؤمنين كسائر الناس أو أقل، ولكن في الآخرة يشفع الواحد منهم في مثل ربيعة ومضر، ــ وهما قبيلتان كبيرتان كانتا في الجزيرة العربية يضرب بكثرتهما المثل ــ.

الفصل الثاني :

الحركة الرسالية فوق التحديات

* رؤية حضارية.
* مبادرات شجاعة.
* لا استسلام ولا مراهنة.
* تسابق في الخيرات.
* تواصل وحوار

رؤية حضارية

الحركات نوعان:

حركات سياسية تهدف الى تفويض النظام السياسي الحاكم وتغييره بنظام جديد، ومثل ذلك الانقلابات العسكرية، والحركات الاقتصادية التي تهدف تغيير بنية النظام الاقتصادي ــ كالرأسمالية التي هي ضد الاقطاع، والاشتراكية وهي ضد الرأسمالية ــ، أو الثقافية التي تهدف تطوير الثقافة وتغييرها من ثقافة الى اخرى، كحركات التوعية الاسلامية ضد الجاهلية المستوردة.

والأخرى حركة حضارية، والتي تهدف تقويض البنى الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، ومجتمعاتنا اليوم بحاجة ماسة الى الحركة الحضارية التي تشمل كل الابعاد في نفس الوقت و بنفس الحدة ذلك لان الواقع الذي تعيشه أمتنا ليس واقعاً منحرفاً بانحرافات يمكن اصلاحها، بل هو واقع شديد الانحراف، واسع الضلال.

اننا لسنا متخلفين عن العالم المسمى بالمتحضر فحسب، حتى نقوم بثورة في التنمية الاقتصادية ونلحق بركب التقدم الاقتصادي في العالم، ولسنا متخلفين عن روح ديننا ثقافياً في جانب من الجوانب حتى ننشر التوعية الاسلامية فنلحق لما وصلوا اليه.

ان الوضع اعمق انحرافاً فهو يشبه ــ الى حد بعيد ــ وضع الجزيرة العربية حين هبطت رسالة الاسلام، فلقد عمّ الانحراف وانتشر و بدأت مسيرة الابتعاد عن هدى السماء وسلوك الانسانية. فالمجتمع آنئذ بحاجة الى هزة عنيفة من الاعماق، وفي مختلف الجوانب حتى تبدأ مسيرة العودة الى الاسلام الصحيح والانسانية، والى ما فيه الخير والصلاح.

في الجزيرة العربية وقبل بعثة الرسول (ص) كانت هناك ارهاصات قائمة تهدف اصلاح جانب من جوانب الحياة فمثلاً: ورقة بن نوفل قام بنشر بعض التعاليم الخلقية، وسعد بن اياد حاول تغيير الوضع الثقافي الموجود، وحلف الفضول الذي ضم مجموعة من الطبقة الاجتماعية المتوسطة والطبقة الغنية و يهدف الى تغيير في الاقتصاد القائم في الجزيرة، وكان يهدف ايضاً القيام ببعض الاصلاحات الجانبية في الوضع الاقتصادي للمحرومين والمستضعفين، في مقابل حلف الطيبة الذي كان يجمع المجموعة الفاسدة والمستكبرة من كبار الاقطاعين والتجار.

فهذه المحاولات كانت قائمة في شبه الجزيرة آنئذ، ولكنها فشلت لانها لم تكن بمستوى الانحراف القائم في تلك الرقعة من الارض، وكانت هذه المحاولات محدودة الهدف مما ادى الى عدم بذل الجهود والتضحيات الهائلة في سبيلها، ثم جاء الاسلام بحركة حضارية عنيفة وشاملة، اصطدمت مع الواقع الفاسد بكل ابعاده، اقتصادياً، وسياسياً، وثقافياً، واجتماعياً.

وكان هذا الاصطدام العنيف شرارة التغيير التي عمت جميع ارجاء المعمورة بعد ان ابتدأت قوية وفعالة في الجزيرة العربية.

ان الوضع في العالم الاسلامي، بل في العالم كله قد عاد الى الوضع الجاهلي الاول، وان ما نعيشه اليوم انما هو نوع من الجاهلية السائدة في العالم كله.

فاذا أردنا تغيير الاقتصاد، فان رواسب الثقافة التي حملها الانسان من قرون التخلف، لا تدعه يستفيد من العدالة الاقتصادية، لانها جزء من شروط سعادة الانسانية الفاضلة، حيث لا يسعد الانسان الذي يعيش في قرية تعمها العدالة وفي ذات الوقت يعمها الفقر، وأهلها لا يجدون ما يشبعون به بطونهم الا قليلاً مما جادت به الطبيعة من حولهم — قطعة من خبز وشربة من ماء — واذا كان الجوع منتشراً، والامراض تجتاحهم لتهلكهم بين الفينة والاخرى، والبرد والحر والرياح والعواصف تؤذيهم فهل هؤلاء سعداء؟

بالطبع ليسوا كذلك، لان السعادة هي خلاصة مجموعة عوامل متفاعلة، منها عامل العدالة الاقتصادية، وعامل السعي والنشاط، وعامل العلم والمعرفة وعامل الاخلاق الفاضلة.

وهكذا لو افترضنا دستوراً رفيعاً وعالياً من الاخلاق السامية الانسانية قد بلغه الانسان فهل يكفي ذلك ؟

كـلا .

لان مجرد الاخلاق الفاضلة دون التقدم الاقتصادي لا ينفع اذا ساد مجتمعاً من المجتمعات شبح الفقر .

فالانحراف الواحد اذا عولج فلا يعني ذلك ان سائر الانحرافات قد انتهت اثارها السلبية ، بل العكس ان سائر الانحرافات قد تكون موجودة ، وهي التي تسبب في شقاق الانسان .

ومثل ذلك (جسد الانسان) الذي يعاني عضو واحد من اعضائه الكثيرة من مرض معين ، فهل يسمى هذا الجسد جسداً صحيحاً معافى ؟ بالطبع كلا ، لانه ما دام جزء من اجزاء جسمه مريضاً فان الصحة منعدمة ، كذلك لو انعدمت الصحة في جزء من اجزاء المجتمع أو بعد من ابعاد الانسان فان هذا المجتمع أو هذا الانسان لا يعد سعيداً بل يعد شقياً في التعبير الاجتماعي .

مجتمعاتنا اليوم بحاجة الى هزات عنيفة تغير كل البنى السياسية ، وقبلها الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والايديولوجية في المجتمع ، لانها القادرة على اعطاء السعادة للمجتمع ، اما الاصلاحات الجزئية فانها لا تجدي نفعاً ولذلك وقفت كل الايديولوجيات والمشاريع والاطروحات الحركية في بلادنا ، فسقطت القومية ، وحركة التغريب والعصرنة الاقتصادية ، وحتى بعض المشاريع الجزئية للحركات الاسلامية التي كانت تسعى لتغيير جانب واحد من جوانب المجتمع ، ولقد سببت هذه الحركات المزيد من الانحراف والضلال بسبب افساد المعادلة الاجتماعية ، بالاضافة الى انها لم تحقق اهدافها البعيدة ، ولاجل كل ذلك فالعالم الاسلامي لا يزال يراوح مكانه ، و يدور في حلقة مفرغة كالتي دار فيها قبل خمسين أو مائة عام .

واذا كان التخلف الحضاري والابتعاد عن روح الاسلام سبباً في شقاء ابائنا فان ذلك لا يعني انه انتهى ، بل لا زلنا نحمله عبر قانون الوراثة والافكار والعادات ، وطريقة المواجهة مع الحياة .

ان النكبات التي تعرضت لها شعوبنا قبل تسعمائة عام ، كالغزو التتري في العراق

لا تزال تدغدغ ضميرهم ، لان الابناء حملوا تلك النكبة من خلال الوراثة الثقافية والفكرية .

فمثلاً الشعب العراقي الذي عاش سبعمائة عام من العبودية ، ففقد قيمه الاصيلة وجوهره الدفين الذي كان يثير في الحماس والمقاومة ، او لا أقل خبت ذلك الضوء الباهر الذي كان متوقداً في قلب هذا الشعب بسبب سبعمائة عام من الاعدام والارهاب والقمع من قبل السلطات المختلفة .

في فترة كان محكوماً بيد هولاكو واولاده ، واخرى بحكومات تدّعي الاسلام ولكنها ابعد ما تكون عنه ، ومرة تحت الاحتلال البريطاني الذي استمر عبر مختلف الاشكال .

ابتداءاً من الانتداب ثم اعطاء الاستقلال الصوري ثم اعطاء الحكم للسكرتارية التي وان اختلفت صورتها فان جوهرها وحقيقتها واحد .

فالتخلف الحضاري الذي ورثناه من اجيال مضت ، ولا نستطيع الانفصال عنه بشكل أو باخر ، لا بد له من ايجاد هزة عنيفة للعودة الى روح الاسلام الحقيقي ، لان تغيراً بسيطاً أو جزئياً في الحياة لن يكفل تحقيق الاهداف التي رُسمت في الذاكرة ، ولان الآخرين كذلك غيروا أنفسهم بقدر ما تصوروا أو اكثر من ذلك فلم يفلحوا .

لذلك فلا يكفي مجرد الانتماء الى جهة من الجهات أو العطاء البسيط للاسلام أو التضحية الضحلة للامة .

ولان الواقع الجاثم على امتنا اضخم من ذلك واكبر حجماً فاننا بحاجة الى الاستفادة من الطاقات كلها ، و بذل قصارى الجهود وتغيير النفوس تغييراً هائلاً وكبيراً حتى نستطيع ان نفعل شيئاً .

هذا الواقع الفاسد والمركز بحاجة لانسان جديد يولد من رحم المأساة التي تعيشها امتنا ، و يتحدى كل الوان العبودية والانحراف ، ولا يعطي عطاءاً مشروطاً بل مطلقاً ، و يعطى نفسه كله لله و يتجاوز سبعمائة عام من التخلف الحضاري أو اكثر ، و يستطيع ان يقوم بعملية جراحية في جذوره ، فيقلع جذوره من ينابيع الفساد الماضية ، و يوصلها للينابيع الصالحة ، و يربطها بالعهد الاول للاسلام ــ العصر الذهبي ــ في عهد الرسول محمد (ص) .

اننا يجب ان نصوّر انفسنا كاصحاب الرسول (ص) روحا وسلوكاً وثقافة وانتماء، واذا فعلنا هذا التغيير الكبير في حياتنا فان هناك رجاءاً قريباً بامكانية عمل شيء ما لواقعنا الفاسد والا فان هذه الجهود المتواضعة لن تكون اكبر من حلف الفضول الذي اشتمل على نصائح ورقة بن نوفل.

أما اذا أردنا اصلاح ما افسده الدهر والتاريخ أو ارهاب الاعداء، فاننا نحتاج الى القيام بعمل كبير وضخم.

وفي الاخير لا بد من الاشارة الى التوجه في كل الابعاد كجانب بناء الذات وتركيز الارادة، و بلورة روح الجهاد، وعدم الاقتصار على بعد واحد مما قد يؤدي الى عدم الاستمرارية في الجهاد العملي.

الأمة الاسلامية .. نحو طريق التقدم:

إن التزام المجتمع الاسلامي بتطبيق أحكام القرآن، كفيل بعلوّه وحكمته، ذلك أن علوَّ القرآن وحكمته تنعكس على الامة الاسلامية لتجعلها خير الامم من جانب الحكمة والعلو.

ومن هنا فان الامة التي لا تسمو ولا تعقل ليست باسلامية ولا قرآنية، لأن اتباع القرآن يورث هذه الصفات، فالايمان رمز العلو، والعلم رمز الحكمة، وهذان الشرطان من ركائز المجتمع الاسلامي الذي لا بد أن يسير نحوهما. إذ أن الايمان يعطي الاستقلال والطموح والسعي والتضحية والاستقامة على الطريق، والعلم يوفر الهدى و بصيرة التحرك.

وإن هذين الشرطين يؤثران بشكل كبير في مسيرة المجتمع الحضارية، فلو ملك مجتمع متخلف الايمان، لبانت آياته على جوانبه بشكل تقدم حضاري ورخاء اقتصادي، لأن الايمان يدفع للعمل الجدي بشكل دائم، ولذا فان الفرص ينبغي أن تستغل أحسن استغلال، وفي هذا يقول الامام علي (ع):

«ما من فراغة لابن آدم، إلا وأعقبت ندماً يوم القيامة».

ان من بعض أسماء يوم القيامة، أنه يوم الحسرة، فالكفار يأكلون أياديهم و يقرضونها قرضاً، وكذلك المؤمنون يتحسرون حين يرى كل منزلة الشخص الآخر الذي

كان معه في نفس الخندق ، ولكن الجواب يأتيه بأن ذلك المؤمن عمل لله أكثر منه ، فحفظ بعض آيات القرآن ، وأرهق نفسه للعمل الدؤوب ، وقام الليل متهجداً ، وتابع نهاره بنشاط وارادة فولاذية .

ومن هنا فان آثار الايمان تفرض أن لا تكون الامة المؤمنة أمة مستهلكة ، بقدر ما هي أمة تأكل من ثمرة انتاجها ، وتصنع احتياجاتها معتمدة على النشاط والطموح العالي ، ولكن المسلمين الآن يعيشون أزمة تخلف واضحة ، فصناعاتهم مستوردة ، وزراعتهم بدائية ، وسائر حياتهم المعيشية معتمدة على الغرب ، في الوقت الذي يقدرون فيه على العمل المخطط و بتفكير صائب للوصول الى مرحلة من التقدم الصناعي و بالتالي في الاعتماد على النفس .

في فترة صراعنا الحضاري مع اعداء الدين .. نحتاج الى قضيتين أساسيتين :

١ ــ الطموح :

ان طموحاتنا العالية تستطيع ان تقودنا نحو المراكز العليا والاعمال الكبيرة ، بالطبع مع مرافقة العمل الجاد لهذا الطموح ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

« وأن ليس للانسان الا ما سعى » .

(٣٩ ــ النجم)

٢ ــ التغيير الاجتماعي :

ان صراعنا مع الاعداء لا يمكن أن يكون عن طريق السياسة أو استخدام السلاح فحسب .. بقدر ما هو راجع في الأساس الى الحسم في الحقل الاجتماعي ، وتأكيداً على هذه الفكرة يقول تعالى :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

(١١ ــ الرعد)

إن التغيير يبدأ من النفس ، الى المجتمع ، ولذا فالقرآن يركز في الآية المتقدمة على كلمة (قوم) أي مجتمع كامل ، فاذا تبدلت اخلاق المجتمع وقيمه وهمته ، فانه سوف يبدأ رحلة النهضة ، التي تكفل تغيير فساد السياسة والعسكر ، و بالتالي فان نظرة الامم الى هكذا مجتمع سوف تتغير .

فالثورة الاسلامية في ايران أوجدت معادلة جديدة داخل المجتمع الايراني ، إذ

تغيرت الثقافة الجامدة الى ثقافة الثورة والجهاد ، والتفكك الاجتماعي تحول الى علاقة الوحدة والعمل المشترك ، ومواقف الاشتراك في العمل السياسي تبدلت تماماً ، فبعد أن كانوا يخافون من الشهادة قبل الثورة ، أصبحوا يعتبرون التظاهرة فاشلة ، إن لم يشفعها دم شهيد ، ثم تفاعلت هذه المتغيرات حتى أسقطت الشاه المقبور ، حتى ان العسكرية الاسلامية أصبحت قوة رهيبة تخيف المستكبرين ، وتجعلهم يحسبون ألف حساب للدخول معهم في أي معركة ، و بعد أن كان الاميركيون يسرحون ويمرحون في عهد الشاه ، تراهم الآن يحسبون إيران غابة للأسود القوية التي لا تخاف الموت وتعشق الشهادة ، وكل هذه المكاسب حدثت بسبب التغير الذي يحدث في المجتمع .

إن المسلمين في كافة الاراضي الاسلامية مدعوون الى التفكير في التغيير الاجتماعي قبل التغيير السياسي ، بمعنى أن هذه المجتمعات لا بد أن تطبق الاسلام على نفسها قبل أن تصل الى مرحلة الحكم .. وهذا التغيير يتسنى بما يلي :

١ ــ ضرورة الانتماء :

ان كل مسلم موجود في المجتمعات الاسلامية ملزم بالانتماء الى مؤسسة فاعلة في أي بعد حضاري ، دون أن يبقى منفصلاً عن هذه المؤسسات ، لأن الانتماء الى مؤسسة اقتصادية أو اجتماعية أو عسكرية يسبب تنمية روح الانسان وتفجير طاقاته وامكاناته ، فينظر الى الحياة نظرة جديدة ، بعكس اذا عاش فرداً فان الحالات النفسية تعشعش في نفسه .

٢ ــ تكوين كيان اجتماعي ذاتي :

ينبغي ان تكون لدينا مؤسسات في مختلف الحقول ، بعيدة عن نظر المؤسسات الحكومية الرسمية ، باعتبار أن المؤمن لا يجوز له أن يتحاكم الى الطاغوت أو يذهب إليه أو يتعامل معه .. الرسول (ص) يؤكد ذلك و يقول :

« اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوانهم ، من لاق لهم دواة ، أو ربط كيساً ، أومد لهم مدّة قلم ، فاحشروهم معهم »

الاعتراف بالطاغوت أو التحاكم اليه ، ولو في جوانب بسيطة لا يجوز ، والبديل يكون حينها بتشكيل مؤسسات حضارية خاصة بالمجتمع ، وهذه المؤسسات تكون على الشكل الآتي :

أ ــ مؤسسة طلائعية ينتمي اليها الشاب المؤمن المتدين للاسراع في تطبيق حكم الاسلام في المجتمع .

ب ــ مؤسسة خيرية ، تتكون من مجاميع صغيرة لعمل الخيرات تجاه المستضعفين ، يساعدون العوائل الفقيرة في المجتمع ، و يثقفون الجاهلين بمشاريع لمحو الأمية .. يدرسون الكبار و ينشرون الوعي في القرى والأرياف ، و يعينون المجاهدين ، وهذا يحدث في ايران حيث تنضم بعض المجاميع للقيام بأعمال خيرية لمساعدة عوائل الذين يذهب ابناؤهم للجهاد ، وهذه الفكرة يمكن تطبيقها في أي بلد ولو بصورة سرية تضم اعداداً قليلة لتمكين المجاهدين من مواجهة الطغاة .

ج ــ مؤسسة اقتصادية ذات نفع خاص ، وذلك لفتح مشاريع اقتصادية من أجل تنمية المسيرة الاقتصادية للمجتمع ، واقتطاع قسم من الأرباح في سبيل نصرة الأهداف الاسلامية الخيرة .

د ــ تكوين مؤسسات رياضية عبر تشكيل فرق لكرة القدم والتنس وغيرها .. حتى لا تأتي الحكومة بابن الرئيس ، وتجعله رئيساً لهذه المؤسسة .. مثل ما فعل صدام حسين وفهد .

إننا اذا أسهمنا في تكوين هذه المؤسسات الاجتماعية الخاصة بنا ، فاننا سوف نقاطع مؤسسات النظام الفاسد ، وهذا بدوره يفرض على الحكومة الرحيل دون رجعة .

الحوزات الدينية جهاز مستقل :

لقد عمل المستكبرون طويلاً بجميع أساليبهم للسيطرة على أجهزة الحوزات الدينية ، وخاصة باسلوب الاغراء ، بيد أن علماءنا الكرام كانوا يفضلون العيش الضنك على قبول هدايا الطواغيت الذين يستهدفون تبعية الحوزات .

وقد جسد هذا الموقف أحد المراجع الكرام .. فبعد الحرب العالمية الثانية زار السفير البريطاني بعد انتصارهم أحد المراجع في النجف الاشرف .

وقال السفير : لقد نذرنا لله بدفع بعض الاموال لكل رؤساء المذاهب في العالم عملاً (بالاحتياط الشرعي) !! وقد جئنا لك بـ (٢٥٠٠٠٠) ديناراً .

فرد عليه المرجع : ألا يوجد متضررون من الحرب ؟

فأجاب السفير: بلى.

فقال له المرجع: خذ المبلغ الذي في يدك.. وهذا ضعفه أيضاً، لتساعدوا كافة المتضررين.

وحينها عرف الانجليز ان الحوزات العلمية جهاز مستقل، لا يمكن أن يتبع أوامر السفارة البريطانية.

الحركات الاسلامية مسيرة مستقلة:

إن الحركات الاسلامية في سائر العالم الاسلامي تقترب من النصر.

* ففي افغانستان، أستطيع أن أقول أنها حركة منتصرة، إذ أنها حررت حوالي (٩٠٪) من الاراضي الافغانية من الجنود الروس المحتلين وعملائهم، حتى أن هذه القوات العسكرية فشلت في انقاذ حامياتهم المحاصرة منذ سبع سنوات في مدينة (خوست) إن هذه الاخفاقات العسكرية اضطرت جريدة (برافدا) السوفياتية الناطقة باسم الحزب الشيوعي ولأول مرة عن الاعلان عن موعد محدد للانسحاب من افغانستان في بداية اول آيار (١٩٨٨)، ولعلّ انسحاب القوات العسكرية السوفياتية من افغانستان يعتبر المرة الاولى في تاريخ الاتحاد السوفياتي.

* وفي لبنان تزداد عمليات المجاهدين اللبنانيين ضد القوات الصهيونية.

* وفي فلسطين تستمر ثورة أبناء الاسلام، حتى أن قائد القوات الاسرائيلية في قطاع غزة قال: اننا نعيش حالة احتضار، ووضعنا مأساوي للغاية.. وقد تمنى المستكبرون أن تنتهي الانتفاضة خلال ايام.. لكنها استمرت وتصاعدت، حتى أن أحد القيادات الصهيونية قال: «اننا نواجه اسلاماً متصلباً».

وقد انعكست حركة الشعب الفلسطيني في مصر.. حيث أحس الاخوة المصريون بفظاعة كامب ديفيد.. مما دعاهم الى الاعلان عن تضامنهم مع الانتفاضة الفلسطينية في أغلب المدن المصرية.

ان هذه الدلائل تعطي الأمل وتبشر بالخير، لأن نصر الله آت.. بيد أن المهم هو تطوير الاساليب الحكيمة في المجتمع لصنع الحضارة الاسلامية، والأمة الاسلامية المعتمدة على مؤسسات ذاتية سواءً في القضاء أو الاقتصاد وسائر الحقول.. يكون لها دور كبير في تقوية جبهة الرفض وتصعيد حس الاستقلال.

مبادرات شجاعة

بسم الله الرحمن الرحيم

« ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون * واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون * وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم * وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين * والّف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم » .

(الانفال/٥٨ ــ ٦٣)

لان الفئة المؤمنة ، والحركة الاسلامية تتوكل على الله وتعتمد عليه اعتماد مطلقاً ، وترى بان الهيمنة الحقيقية على هذا الكون وعلى ما فيه من سنن ومظاهر هي لربها رب العرش العظيم ، رب السموات والارض ، لذلك فان من خصائص هذه الحركة انها هي التي تطرح المبادرات وهي التي تمسك ازمة الامور بايديها ، فاذا ارادت فهي التي تخوض الحرب ، واذا ارادت فهي التي تفرض السلام ، واذا ارادت فهي التي تتجه الى البناء ، واذا ارادت فهي التي تتجه الى التوسعة والانتشار والامتداد .

فالحركة الاسلامية ، وكذلك النظام القائم على اساس تلك الحركة والمنبعث منها هي الفاعلة للاحداث وليست المنفعلة بها ، ولا تنتظر الحركة الاسلامية الانظمة حتى تبادرها بالافناء أو الطغاة لكي يحاربوها .

موسى (ع) يأمره الله ان يتجه الى قصر فرعون ، وان ينابذه العداء والتبرأ من عمله ، بعد ان ينصحه ، والانبياء جميعاً هكذا ، كانوا يأتون الى قومهم و يتبرأون من اعمالهم بصراحة و بتحدي .

فانك تجد نوحاً (ع) حينما يأمره الله (سبحانه وتعالى) بان يعظ قومه ، و يبلغهم رسالات ربه ، يهبط اليهم فيسفه احلامهم و يقول لهم بكل صراحة ان هذه الالهة التي تعبد من دون الله حصب جهنم .

أما ابراهيم فانه أخذ المعول وحطم الاصنام ، صنماً بعد صنم ، الا كبيراً لهم يحمله مسؤولية تحطيم الاصنام .

وكذلك شأن شعيب وهود وصالح وغيرهم من الانبياء العظام ، (صلوات الله عليهم) .

وأما نبينا وقائد مسيرتنا محمد (ص) فانه يصعد على الصفا و يقول واصباحاه فيجتمع عليه قومه فينذرهم اعتماداً على قوله سبحانه وتعالى :

« وانذر عشيرتك الاقربين » . (٢١٤/الشعراء)

بكل صراحة كان يسفه احلامهم و يبين ان هذه الالهة التي تعبد من دون الله ضلالة وفساد وانحراف وانها حصب جهنم .

« انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » . (٩٨/الانبياء)

هكذا يبدأ التحدي ، والانبياء الذين يبادرون ، ولا ينتظرون الانظمة والمجتمعات الفاسدة حتى تبادر بالعمل ، فالمبادرة بيد الحركة الاسلامية ، وكم من حركة كانت تزعم بانها اسلامية جلست تنتظر الصراع من قبل الاعداء وتعتقد بانها ان لم تخض الصراع فان الاعداء سيتركونها تنتشر وتعد العدة ليوم المواجهة والصراع ، ولكن الاعداء بادروها وقضوا عليها فانتهت .

لماذا ننتظر في حين اننا نحن الذين نريد اصلاحهم ؟

نحن الذين نعتقد بان هذه الانحرافات ضلالة وكفر ، نحن الذين نعتقد بان هذه الانظمة مسؤولة عن تخلفنا وعن استعبادنا وعن سحق كرامة شعوبنا ، نحن الذين نعتقد بان هذه الافكار المستوردة من الغرب حيناً ومن الشرق حيناً آخر افكار تحطم تقاليدنا وتمزق امتنا وتسبب الويل والدمار لنا .

فلماذا الانتظار؟ هل نريد ان نعتمد على أنفسنا وعلى ما نملك من قوة ذاتية حتى نجمع الانصار والاصحاب ؟

كلا . ان علينا البلاغ ، نحن الذين يجب ان نقتدي بالرسل (ع) ونحمل رسالتهم الى الناس ونبلغهم و بعدئذ ، لله الامر من قبل ومن بعد ، الله هو الذي يقرر مصير الناس ولسنا نحن .

ليكن قرار المبادرة بيد الحركات :

وكذلك الحركة الاسلامية هي التي تقرر السلم ، لان من بيده القوة والمنعة يستطيع ان يقرر السلام اليوم و يقرر الحرب غداً ، ولكن السلام في هذه الحركة يأتي من منطق القوة لا من منطق الضعف ، و يستحيل على قيادة الحركة الاسلامية ان ترضى بسلام مهين ، يكون قوامه الذل والضعف ، نحن لا نرضى بهذا السلام حتى لو بقي منا عرق واحد ينبض ، فالى آخر قطرة دم ، وآخر انسان يتنفس يجب ان نحارب حتى نصنع السلام المشرق الذي يعطي حقوق المحرومين والمستضعفين ، و يطبق القيم الرسالية السماو ية .

اجل انما نقول هذه الكلمة حينما تتطاير حمامات السلام هنا وهناك ، ولسنا نعرف هل هي صقور قد لبست آهاب الحمام ، ام حمامات مدجنة في حضن الاستعمار .

والقرآن الحكيم يحدد في الآيات الكريمة القواعد الاساسية لانطلاقة المسلم في الحياة . يقول الله تعالى :

« ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون » . (٥٩/الانفال)

صحيح ان الحركة الاسلامية حركة ناشئة ، والثورة الاسلامية ثورة جديدة ، والنظام الاسلامي لا يزال نظاماً شاباً مراهقاً ، صحيح كل ذلك ، وصحيح انهم سبقونا ، اسسوا انظمتهم ، نشروا شبكات تجسسهم وجندوا جيوشهم واستعدوا لمحاربتنا ، ولكن لا يدل ذلك أبداً على انهم يستطيعون ان يعجزونا ، وان يسلبوا منا قدرتنا ، فنحن بايماننا و بوحدتنا و بعملنا المتواصل و بارادتنا الصلبة ، اقوى منهم ومن استعداداتهم ومن جيوشهم ، و بالشروط التالية التي يحددها القرآن الحكيم :

١) تحصيل القوة الرادعة :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . (٦٠/الانفال)

نحن لا نريد ان نعتمد فقط على ثقتنا بربنا ، بالرغم من اننا نعتقد بان الثقة بالله هي العامل الاساسي لنصرة المؤمنين ، ولكن مع ذلك فان علينا مسؤولية ، ولربنا سبحانه وتعالى حكمة ، مسؤوليتنا ان نسعى ونبذل قصاري جهدنا في سبيل الحصول على القوة باي نوع يكون ، ترى بان ربنا في هذه الآية لا يحدد نوع القوة بل يؤكد على ضرورة الحصول على كل انواع القوة ، و بكل قدر منها ، يقول :

« ما استطعتم من قوة » .

فالتعبير واضح ، لا بد ان تتسلحوا بقوة التدريب ، فالتدريب العسكري واجب اليوم لان اعدائنا يدربون مرتزقتهم على خوض المعارك في بلادنا .

ما داموا يدربون مرتزقتهم للهجوم فلا اقل ان ندرب شبابنا للدفاع ، فالسلاح زينة الرجال ولو لم نكن مسلحين ومدربين فان الاعداء يبصقون في وجوهنا .

فالثورة الاسلامية يجب ان تكون مسلحة بكل انواع الاسلحة الحديدية والالكترونية فالحرب القادمة ليست حرب الحديد بقدر ما هي حرب العلم والمعرفة ، والالكترون فلماذا الضعف ولماذا التخلف ؟

رسول الله (ص) يرقي اليه نبأ بان سلاحاً جديداً قد انشيء في اليمن فيختار اثنين من شباب المهاجرين والانصار لكي يذهبا و يتعلما هذا السلاح الجديد ، ثم يصنعاه في بلدهما .

لذلك حرام علينا ان ندع الغرب والشرق يسبقوننا بانواع اسلحتهم ، وواجب على كل واحد منا ان يسعى ان لم يكن بصورة منظمة فلا اقل بصورة انفرادية من اجل ان تحصل الامة الاسلامية على افضل انواع السلاح ، وتحصل ايضاً على قوة المعرفة والخبرة وقوة التخطيط وعلى سائر انواع القوة .

ان القوة هي بعد الايمان والتوكل على الله مرتكز المبادرة والمبادهة لدى الحركة الاسلامية ، فما دامت الحركة الاسلامية قوية ، فان بيدها المبادرة ، والقوة هي عنوان المبادهة .

« ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

القوة رادعة ، قد لا تستخدم القوة ولكن وجودها عندك يقذف الرعب في قلوب الاعداء فلا يتقدمون اليك .

لماذا تضم اسرائيل الجولان ، لو لم يعرف الارهابي بيغن ، بانه قادر على مغالبة الغرب جميعاً باسلحته و بجيوشه و بتدريباته ، ولماذا بقينا طوال خمسين عاماً نتكلم كثيراً ، ولكن حين المواجهة نكتشف اننا الى الفرار اقرب منا الى الهجوم ، والى التبرير اقرب منا الى تحمل مسؤولياتنا .

« عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

قد يكون هناك عدو ظاهر يحاربنا على جبهة ، بينما وراءه اعداء حاقدون لا نعلمهم يمدونه بالسلاح والتشجيع والمال و بكافة انواع الدعم وهم ينتظرون ساعة تضعف الفريسة في زعمهم ، فينهالون عليها بالسكاكين ، واذا باحدهم يطرد السفير والآخر يعتذر عن القائم بالاعمال ، والثالث يدخل في حلبة المواجهة مع الشياطين .

ان هؤلاء ان يرهبوا قوتكم ايها المسلمون ، سيكفون عن اعمالهم الجبانة الخبيثة .

« وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون » .

لا تعتقدوا بان المال الذي تصرفونه من اجل دعم قوتكم يذهب هباء ، وعبثاً ، كلا . فانه ينفعكم وان الله يرد ذا المال اليكم كاملاً في الدنيا والآخرة ، دون ان تظلموا منه شيئاً ، بعد ان تعتمدوا على الله وعلى الثقة بان الكفار لا يعجزونكم بسبقهم ، و بعد ان تعتمدوا على قوتكم المرعبة ، بعدئذ يقول ربنا :

« فان جنحوا للسلم فاجنح لها » . (٦١/الانفال)

نحن لا نريد الحرب للحرب ، والصراع للصراع ، ولا نريد اراقة الدماء انما نريد القيم ، واذا قلنا برعب فمن اجل المستضعفين ، أو صراع فمن أجل الرسالة ، واذا قلنا مواجهة فمن أجل القيم ، لا من أجل شهواتنا وأهوائنا في اراقة الدماء كما هم كذلك .

نحن نقول ان على الشعوب ان تقرر مصيرها بايديها ولا يتحكم فيها شرذمة قليلة من الحاقدين ، ونقول : ان ثروات هذه الشعوب يجب ان تعود اليها ، وان نضمن استقلالنا عن الغرب والشرق ، ونعيش بسلام ولا تكون المنطقة مهرجاناً للسفن الاجنبية ، نحن هذا كلامنا ومن أجل هذا نريد الحرب ، فان جنحوا للسلم على هذا الاساس فلا بد ان

نجنح لها .

« وتوكل على الله انه هو السميع العليم » .

بالرغم من انه قد يعتقد بانهم في ايام السلام يستعدون لحرب اخرى ، لكننا بدورنا نتوكل على الله ونستعد للدفاع عن أنفسنا مرة اخرى ان هم ارادوا الحرب .

٢) الوحدة الايمانية الجماهيرية :

« وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم ، لو انفقت ما في الارض جميعاً ما الفت بين قلوبهم » .

إننا في ساعة المواجهة ، وفي لحظة الصراع ، بحاجة الى ركن شديد نعتمد عليه ، فاما ان نبحث عن هذا الركن الشديد في الغرب أو في الشرق ، عند هذا النظام أو ذاك الحاكم ، واما ان نبحث عنه عند المؤمنين الصادقين من اخواننا .

يقول ربنا اذا اردت ان لا تخدع ولا تهزم وان تكون المبادرة بيدك دائماً فعد الى اخوانك وتآلف وتعاون واعمل وحدة معهم .

واذا اردت ان تختلف مع اخوتك فان الزمن والظروف ستضطرك الى ان تتنازل لاعدائك . فما من حركة اسلامية انهزمت الا بعد ان فقدت هذه البصيرة القرآنية ولم تعرفها .

البصيرة القرآنية هي الوحدة الايمانية في مواجهة الضلالة والكفر ، وفي لحظات الصراع يقول ربنا :

« هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين » .

لا تبحثوا عن الدعم هنا وهناك ، فالكفار هم فئة واحدة ، يقول ربنا في سورة الانفال :

« والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير» . (٧٣/الانفال)

في الآية السابقة لهذه الآية من سورة الانفال يقول ربنا :

« ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا

ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض » .

(٧٢/ الانفال)

هذه هي الوحدة الايمانية في مقابل الكفر الواحد ، فالكفر ملة واحدة ، لا تركعواعلى أعتاب السلاطين والانظمة الفاسدة ، فما دامت كافرة وطاغية ولا تحكم بامر الله ، ولا تسعى من اجل تطبيق القرآن والرسالة فهي قدسجلت اسمها في خانة الاعداء ، ان لم يكن اليوم فغداً .

ان القوة الحقيقية في الجماهير المؤمنة ، وفي الحركة الاسلامية العريضة في الوطن الاسلامي الكبير ، وفي الوحدة بين ابناء الامة الاسلامية ، فانه لا فرق بين عربها وعجمها وتركها وسائر شعوبها ، انها الوحدة الواحدة وقوتنا الحقيقية هنا كما ان عدونا الحقيقي هناك شئنا ام ابينا .

لقد كشف التاريخ مراراً عن ان اولئك الذين اعزوا بغير الله والمؤمنين قد ذلوا ، وانهم اخطاؤا الطريق ، اقول هذا لكل من يفعل ذلك نصيحة له ، لنعد الى أنفسنا لننبذ الخلافات والصراعات ولنعتمد على القوة دون ان نحتجب على انفسنا بحجب اللغة أو اللون ، أو المكان أو الوطن أو الاقليم أو الدم ، أو ما أشبه ، اننا امة واحدة هكذا خلقنا الله وهكذا سنبقى ولا يمكن لسكاكين الغرب ولثقافات الشرق ولا هواء الطفيليين ان تقطع هذا الجسد الواحد .

« والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم » .

(٦٣/ الانفال)

الانتفاضة تعم العالم الاسلامي :

اننا الآن نجد انتفاضة جماهيرية في العالم الاسلامي كله ، ولكن هذه الانتفاضة انباؤها مقتولة على ايدي التضليل الاعلامي الجاهلي في العالم .

انهم يضخمون لنا نبأ عن مقتل شخص بسبب اصطدام سيارة في احد الشوارع الفرعية في اميركا ولكنهم يحجبون عنا نبأ أعتقال (٧٠٠) انسان من خيرة الشباب الجامعيين في المغرب ، وعن اعتقال ما لا يقل عن (١٠٠٠٠) عشرة الآف شاب مسلم في مصر .

انهم يحجبون عنا نبأ المساجد التي تكتظ اليوم بالمصلين في كل العالم الاسلامي ، وتهافت الناس على الكتب والمجلات الاسلامية في كل قطر من اقطار العالم الاسلامي ويحجبون عنا النبأ الذي يقول ان الناشئين الاشبال في العالم الاسلامي لم يعودوا يجدون الا طريقاً واحداً هو طريق الاسلام ، فاذا كان في شبابنا قديماً من اتجه شرقاً أو غرباً أو ركن الى اللامبالاة بالرسالة فان شبابنا الجدد كلهم والحمد لله يتجهون الى الاسلام .

لقد فشلت الثقافة الشرقية والغربية ، ولقد عرف الانسان بفطرته و بالتجربة التي دفع ثمنها دماءاً ودموعاً وو يلات ، ان الطريق الوحيد هو الاسلام ، والاسلام وحده .

وهذا يعني انه كلما تقدمنا مع الزمن فاننا نقترب الى النصر لان هؤلاء الشباب الاشبال الذين يتجهون اليوم الى الاسلام في كافة انحاء العالم الاسلامي انما هم شاهد بسيط على انهم عندما يكبرون غداً و يصبحون رجالاً فانهم سيحكمون البلاد باسم الاسلام .

فلماذا نستعجل ولماذا نريد ان نشتري راحتنا بثمن تروٍ يض شعوبنا ؟ لماذا لا نثق بانفسنا ؟ نحن اقوياء وقبل ذلك و بعد ذلك يجب ان نتجه الى الله ان كنا مؤمنين بالله فنستمر في مواجهتنا للطغاة ولا نبيع شعوبنا على موائد المفاوضات ، فالشعوب لا تشترى ولا تباع .

ان الشعوب قد عرفت اليوم مسيرتها ، وادركت قيمها واكتشفت الوسيلة التي يجب ان تتبعها لتطبيق القيم ، ولقد تأكدت ان النصر لا يأتي ولا يعطي بلا ثمن ، ان ثمن النصر هو الدم والسعي ، وهو الجهاد ، و بذل كل ما في وسعها من اجل الانتصار .

ان شعبنا في العراق اليوم يستعد للانقضاض على الطاغوت الحاكم ببغداد واطلاق رصاصة على رأسه الفاسد وانقاذ العراق من الذل والهزيمة ، وتخليصه من التبعية وانتشاله من التخلف الحضاري والى الابد ان شاء الله .

وكل شعوبنا تستعد لذلك ، وشعوبنا لا ترحم اولئك الذين يتركونها في لحظة المواجهة وحيدة ، الذين اعتقلوا في الخليج وفي البحرين هم طليعة هذا الشعب والشعب يعرفهم .

وسواء ايدنا هؤلاء الشباب ، ام لم نؤيدهم فهم الذين عرفوا ان مصيرهم بايديهم وعرفوا ان المصير يجب ان يستعيدوه بقوة السلاح ، والدماء ، والسعي ، والوحدة .

واذا وليـنـا اظـهـرنـا عـنـهـم ، فنحن الخاسرون وليسوا هم لانهم سوف يستمرون في طـريـقـهـم ، واذا فـعلنا ذلك فان هذا الشعب سوف لن يرحمنا غداً ولا يسمح منا تبريراً ، لانـه يـقـول انـا كـنـت ادفـع من دماء شبابي ومن دموع الارامل والايتام في بلدي ، ثمناً للاستقلال وانتم تقولون لي كذا ، وكيت ، كلا . لا اقبل منكم ذلك .

وهـو فـعـلاً لا يقبل ، كما لم يقبل الشعب الايراني المسلم البطل من (هواكوفينج) الـرئـيـس الـصـيـنـي الـذي زار ايـران ، ومشى على اجـسـاد الـشـهـداء في طهران ورحب بالطاغوت المقبور في ايران عذراً ولن يسمح تبريراً .

هـؤلاء سـيـسـتـمـرون في طريقهم الى النصر ، وستكون المبادرة انشاء الله بيد الحركة الاسـلامـيـة في كـل مـكـان ، فهم الذين يقررون الحرب متى شاءوا وهم الذين يقررون الـسـلـم مـتـى رأوا ان السلم يحقق قيمهم الرسالية التي نرجوا ان تتحقق سواء بالحرب أو بالسلم .

لا استسلام ولا مراهنة

المشكلة التي تعيشها الامة الاسلامية اليوم هي افتقارها للرؤى السياسية والاجتماعية للعمل الرسالي.

فهناك اسئلة كثيرة. كيف؟ ومتى؟ ومع من؟ واين الطريق؟ جميعها تحوم حول نقطة واحدة هي:

(خريطة العمل السياسي والاجتماعية).

ولو بصرت الامة الاسلامية قرآنها وسيرة الائمة والهداة من قادتها، لتمكنت من معرفة كل سؤال أو فكرة تراودها، ولتوصلت الى اهدافها بوسائل سهلة وطرق قصيرة ومكاسب كبيرة.

يقول تعالى: **«ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»** (١١/الرعد)

وهذه الآية تحدد مسيرة الانسان وتنير طريقه، ولهذا ابعاد كثيرة سنسلط الضوء على بعد واحد هام من الضروري تنبيه ابناء الامة الاسلامية اليه، خصوصاً في هذا الوقت المصيري من تاريخهم، ذلك البعد هو التجمعات الاسلامية التي تشكل هنا وهناك.

ان طبيعة هذه التجمعات الاسلامية وعلاقتها بالامة إجتماعياً وسياسياً، تكمن في السؤال التالي: ــ

ماهي حدود واجبات وحقوق التجمع الرسالي أنّى سميناه حزباً أو منظمة أو جماعة أو تجمعاً أو جبهة... والى آخر الاسماء التي قد تكثر ولكنها تشير الى حقيقة واحدة

هي: التجمع الرسالي في الامة الاسلامية الداعي الى تحقيق اهدافها في سيادة الحق والحرية واقامة حكم الله في الارض.

والقرآن حينما يقول:

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ».

فانه يشير الى ان تخلف الامة وتشتتها وسلبياتها الثقافية هي السبب فيما يلحق بالامة من اضرار، فتحكم الجبابرة على رقاب العرب لاستغلالهم، والمذابح التي تجري في سائر بلاد العالم انما هي نتيجة السلبيات المتكرسة في الامة.

فاذا اردنا القضاء على هذه الاخطار والكوارث، علينا ان نفكر في القضاء على تلك السلبيات، والا فاننا نساهم في تكريس تلك المصاعب و بالتالي نساهم في تعجيل فناء الامة كالدكتور الذي يعطي المزيد من المسكنات دون ان يقضي على جرثومة المرض وفيروسه.

التجمعات الضيقة مرفوضة:

هناك تجمعات تحافظ على سلبيات الامة وتكون ممثلاً لهذه الامة بسلبياتها وايجابياتها.

فحينما تعيش الامة مأساة الطائفية والتفرقة المذهبية، عندئذ يصبح التجمع تجمعاً طائفياً لانه يمثل الامة بسلبياتها وايجابياتها، (في الوقت الذي يحارب الاعداء الامة الاسلامية عن طريق اشعال الفتنة الطائفية).

فلو اخذنا العراق مثلاً.. لوجدنا ان مختلف الطوائف الاسلامية تتواجد فيه (شيعة، شافعية، حنابلة، حنفية، مالكية) ولكن المؤسف ان الاحزاب الاسلامية كل يمثل طائفة معينة، فحزب يمثل التيار الاسلامي الشيعي وآخر يمثل التيار الاسلامي الحنبلي وهكذا ولا تجد منهم واحداً يمثل جميع الطوائف.

والغريب ان الحزب الشيوعي يمثل جميع الطوائف وكذلك القوميون والوطنيون.

والاغرب من ذلك ان في العراق احزاباً ومنظمات متجزأة كل يمثل منطقة معينة، مما قد يسبب الى نشوب الصراع بين هذه الاحزاب.

بديهياً ان وضعاً كهذا يساهم في تكريس سلبيات الامة ، بل يخدم المخطط الاستعماري الرامي لضرب الامة بعضها ببعض ولا يطوّر الحركة الاسلامية العاملة في العراق .

ان المشكلة التي تعيشها الامة اليوم هي مشكلة الديكتاتورية التي تنخر في اعماق ابناء الامة ، فلا ترابط بين قلوبهم ، ولا وحدة في استراتيجيتهم ، ولا تحكمهم القيادة الواحدة حكماً حقيقياً ، ولا يتنازل كل فرد عن ذاتيته وعن افكاره للقيادة الواحدة .

فاذا كان وجود التجمع كوجود المسجد للصلاة فمبدئياً ان جدران المسجد لن تكون سبباً في تفاعل ابناء الامة المتواجدين داخل المسجد ولن تكون ذات أثر في تعاونهم وعاملاً في توحيد مخططهم واستراتيجيتهم فمثلهم كمثل اعواد الكبريت في العلبة الواحدة لا تفاعل بينهما .

عندئذ لا فائدة من وجودهم ولا من تسميتهم باسم واحد ان كانوا كذلك ، فان ذلك اشبه الى حد بعيد بتسمية الامة الاسلامية باسم المسلمين ، مع انها تحتوي على كافة الاتجاهات .

سألنا رجلاً في لبنان كان يعمل في مؤسسة اسلامية وهو من اصل كاثوليكي .. سألناه عن دينه ؟

فأجاب : انا مسلم كاثوليكي .

فهل هذا اسلام ؟ وهل هذه وحدة ؟

ان ابواق الاستعمار تحاول ان تبث فكرة خبيثة من الافكار المتخلفة القشرية مفادها ان الكفر كفران ، كفر عملي وكفر نظري .

العملي هو : عدم الالتزام بالواجبات الاسلامية وممارسة الظلم والسرقة .

اما الكفر النظري فهو : نكران الدين والعقيدة كما الاحزاب الشيوعية .

لذلك نجد بعض ادعياء الدين ومرتزقة الانظمة الطاغوتية في العالم الاسلامي يتشدقون بالفكرة القائلة بمحاربة الكفر النظري والنهي عن محاربة الكفر العملي لعدم وجود دليل شرعي يجوّز محاربته .

فلا يجوز (حسب هذه النظرية) محاربة الحكام الظلمة لانهم محاطون بسياج

اسلامي حتى ولو كانت اعمالهم تدلل على كفرهم .

ولكن لماذا لا يكون بريجنيف مسلماً ؟

لان توجه هؤلاء يتركز ضد الشيوعية .

فاذا كان شيوعيو روسيا ، كبعض الشيوعيين في العالم الاسلامي الذين كانوا يبدأون اجتماعاتهم الحزبية ببسم الله الرحمن الرحيم وآية قرآنية ، فهؤلاء ايضاً لا يمكن محاربتهم حسب تلك النظرية .

ان هذه الفكرة تنشر على نطاق واسع للتغرير بشبابنا وتجميدهم وسلب الثورية الاسلامية المنتشرة في نفوسهم .

اننا حين ننظر الى التاريخ الاسلامي في عهد الائمة (ع) نرى ان حكام ذلك العصر كانوا يبثون ذات الفكرة ويحاولون اخماد روح الثورة الاسلامية في الشباب .

كما ان اليوم بعض شبابنا في اوربا بدأوا ينظرون الى الثورة الاسلامية عن طريق هذه الفكرة الخبيثة التي يبثها ادعياء الدين .

بينما في القرآن الكريم اكثر من (٣٠) آية قرآنية تشير وتؤكد على ان الذي يقوم بعمل باطل فهو كافر .

الذي لا يحج فهو كافر ..

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين » .

(آل عمران/٩٧)

والذي لا يصلي فهو كافر ..

« ما سلككم في سقر، قالوا لم نكُ من المصلين » .

(المدثر/٤٢ ــ ٤٣)

والذي لا يطعم المسكين فهو كافر .

« ولم نك نطعم المسكين » .

(المدثر/٤٤)

وقد اشار العلامة الطباطبائي في كتاب الميزان الى هذه الفكرة اذ يقول : ان القرآن

الحكيم لا يطلق كلمة الكفار والكفر على الذين لا يطبقون احكام الله .

اي ان هذه الكلمة ليست للدين لا يؤمنون بالله ، ذلك لان الله تعالى لا يحدث البشر الذين لا يؤمنون بالله لان هؤلاء ليسوا بشراً ، وانما يحدث الانسان الذي يؤمن بالله ولكن لا يقوم عملياً بتطبيق مناهج الله سبحانه وتعالى .

ولو نظرنا الى كتاب البحار للعلامة المجلسي لرأينا جزئين يضمان حوالي (٧٠٠) صفحة يبحثان في قضية الكفر والايمان ، و يقرر حسب الاحاديث المؤكدة الكثيرة والبحوث المكثفة ان العمل بغير احكام الله تعالى يسبب الكفر ، وان الكفر العملي قرين الكفر النظري .

ان الاسلام في آيات كثيرة يأمر بالسعي و بالسير و بالعمل ، ولكننا نرى أن ابناء الامة الاسلامية اليوم يعتبرون الجمود والتقاعس قيمة اساسية .

و بعضهم حينما يريد ان يعرف انساناً عظيماً يقول : ان هذا الانسان طيب جداً وليس عنده شغل بالناس ؟

فكأن هذه نجمة توضع فوق كتف هذا الانسان بينما الاسلام يقول :

« من اصبح من امتي وهمته غير الله فليس من الله ، ومن لم يهتم بأمور المؤمنين فليس منهم ، ومن اقرّ بالذل طائعاً فليس منا اهل البيت » .

(تحف العقول/ ص ٤٧)

وتقويم هذا الشخص ، يقول :

« الانسان الذي لا يهتم بامور المؤمنين فليس منهم » .

فالاسلام يرى ان المقياس هو العمل الصالح و يقيم الناس على اساسه ، فليس العلم وحده قيمة اساسية في الاسلام ولا المال والجاه ولا النسب ، ولكن العمل الصالح هو القيمة والمرتكز .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

(البقرة/٢٧٧)

وتقييمنا للتجمعات الرسالية كلٌّ حسب هذا المعيار .

فإذا ما اردنا انشاء تجمع ايماني في منطقة ما ، وحاولنا استقطاب هذه المجموعة

البشرية وفي المقابل لم نحاول مقاومة الامراض الاجتماعية كالطائفية والجمود وما شابه .. فسوف يصبح هذا التجمع جزءاً من سلبياتها ، بل سيساهم في تحطيم الامة الاسلامية جمعاء ، وهذا هو النوع الاول .

المطلوب تجمع رسالي :

التجمع الرسالي الحق هو الذي يحارب سلبيات الامة و يستبدلها بايجابيات ، لينشأ ذلك التجمع النظيف كالتجمع المحيط برسول الله (ص) والامام الحسين يوم عاشوراء .

فهذا التجمع هو التجمع الرسالي ، وطليعة المسلمين وامامهم الذي تكون يد الله معه ، ولينطبق عليه الحديث المعروف .

« يد الله مع الجماعة » .

وهكذا يجب ان تكون نظرتنا ، فلا يكفي لانقاذ الامة ان يجتمع مجموعة رجال جامدين ، سلبيين ، حاقدين على الآخرين .

فدعونا نصلح من انفسنا ولا نفكر في زيادة الانصار ، بل نفكر في اصلاحهم ، لا يقول احدنا من معي ، بل يقول نوعية الرجال الذين انا معهم ، فان يكون الانسان واحداً من قطيع الاسود خير له من ان يكون رئيساً على قطيع الفئران .

واذا كنت شيخاً على قطيع قوامه مليون فار فلن يفيدك العدد شيئاً ، فبمجرد ان يأتيك اسد تتشتت الفئران جمعاء .

فالانسان يجب ان لا يتبع من يؤمن به ايماناً اسلامياً صافياً من دون نقطة سوداء ، ولا يؤمن باي انسان أو تجمع أو منظمة من دون ان يكون لديه ايمان قاطع بسلامة حركة هذه المنظمة أو التجمع .

قضيتنا الرئيسية هي قضية انقاذ الامة ، والامة لا تنقذ بالشعارات ، وانما بعمل مثابر جدي ليل نهار ، وهذا ما يسميه القرآن بالجهاد .

الجهاد لا يعني العمل بصفة عامة ، وانما يعني التعب و بذل الجهد ، فكل ما تستطيع ان تعمله فاعمله .

الجهاد يجب ان يتوجه نحو سلبيات انفسنا ، فاذا شيدنا امة رسالية من ٥٠٠ انسان

طليعي ، فان باستطاعتهم مقاومة عشرات الملايين من الناس ، لانهم الجماعة المتفاعلة الحية والمتوحدة في استراتيجيتها وفي اهدافها ، فطالوت حينما وصل بجنوده الى النهر منعهم من شرب الماء الا من اغترف غرفة بيده ، ولما كان الجيش ظمآناً ، والماء سائغاً لذيذاً ، أوغل الجيش في الماء شرباً فشربوا منه الا قليلاً .

وحينما محص طالوت جيشه ، اي اصلح نفوسهم وكوّن تلك النفوس القليلة ، قال القرآن :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

(البقرة/٢٤٩)

كان في بعض البلدان الاسلامية بعض الاحزاب التي يقدر المنتمين اليها بحوالي ستة ملايين انسان ، وفي تلك المدينة حدث انقلاب عسكري ، ولم يكن عدد من احدث الانقلاب الا مائتين .

وكانت النتيجة ان العسكريين «الاقلية» حكموا وأولئك انتهوا من البلاد .

فليس مهماً ستة ملايين انسان كانوا يذهبون الى المسجد وضموا في حزبهم من كان في المسجد بقدر ما هو مهم جودة الافراد وصلاحيتهم للعمل .

فالتجمع يعني : التفاعل ، كما كان في اصحاب الرسول والائمة (ع) ، فحينما يسأل الامام جعفر الصادق (ع) ذلك الرجل عن اذا ادخل احدهم يده في جيب صاحبه واخرج مقداراً من المال وصرفه ، ثم أتى صاحب المال وسأل :

كم اخذت من المال ، وماذا عملت به ولماذا اخرجت من جيبي ذلك المال ؟ فماذا تقول له ؟

فاستنكر الرجل الامر وقال : ان هذا الرجل يتعب ليجمع ماله و يأتي ذلك ليسرقه فرد عليه الامام الصادق (ع) اذا فانتم لستم باخوة .

اي انكم لا تشكلون ذلك التجمع الرسالي ، ولا تمثلون قول الله سبحانه .

« انما المؤمنون إخوة » .

(الحجرات/١٠)

هذه هي الاخوة الحقّة التي نحتاجها وننشدها لاحياء الامة الاسلامية و بنائها بناءاً إيمانياً .

تسابق في الخيرات

في الحياة ظاهرتان :

ظاهرة الصراع .

وظاهرة التنافس .

فالصراع يتم بين الحق والباطل ، بين الاسلام والجاهلية .

الانسان في الصراع يحاول ان يتقدم على عدوه عن طريقين :

بناء ذاته .

وتحطيم الطرف الآخر .

ففي الصراع يمسك الانسان بيد المحراث ليحي الارض ، و يصنع الآلة في المصنع ليعمر الحياة ، و باليد الاخرى يمسك السلاح و يقذف القنابل .

فاليد الاولى تبني والثانية تهدم .

بينما في التنافس الامر مختلف ، فعند التنافس مع الآخرين والتسابق معهم في الخيرات ، لا بد أن نعمل عملاً واحداً فقط ، وهو ان نبني أنفسنا وذواتنا ، ونبعد نقاط الضعف عن كياننا ، حتى نصبح الاكثر تماسكاً وقوة ، و بالتالي سيحسب التنافس لصالحنا أو سيعمل غريمنا في الطرف الآخر بنفس ما نقوم به من عمل فيتقدم المجتمع جميعاً .

والحركات الاسلامية في الساحة الواسعة قد ابتليت في بعض المراحل برؤية شاذة من التنافس ، فحولت التنافس الى صراع ، وزعمت بان ما تقوم به من أعمال وما تخترعه من

أساليب بالنسبة الى أعدائها الجاهليين ، تصلح أن تكون أداة ووسيلة بالنسبة الى المنافسين لها في الساحة من اصدقائها الذين يتحركون في خطها .

فلماذا تحولت بعض الحركات الاسلامية الى هذه الحالة ؟ لماذا لم تستطع ان تفرق بين أصدقائها الذين تتنافس معهم ، و بين أعدائها الذين تتصارع معهم ؟

للاجابة على هذا السؤال لا بدّ ان ندرس تاريخ الحركات ، ونتعمق في نفسية الامة الاسلامية وخصوصاً في بعض الحالات المتخلفة داخل الامة ، وكيف ان الحركات الاسلامية لم تستطع ان تتخلص من سلبيات الامة ، ولم تستطع ان تكون هادية لها بدلاً من ان تكون تابعة لها ايجابياً وسلبياً ؟ وكيف انها وقعت في فخ الدوائر الاستعمارية التي كانت ولا تزال تحاول تعميق الصراع أو تعميق التنافس بين بعض الحركات و بعضها الآخر من أجل تحويله الى صراع حاد .

فهذه الأمور يجب ان تدرس ، لنعرف لماذا تحولت الحركات في علاقاتها مع بعضها من حالة التنافس الى حالة الصراع ؟

ونستطيع اليوم ان نتحدث عن العلاج لهذه الحالة ، لعلمنا بأن القضية هذه من أهم القضايا التي لم تعالج بالنسبة للحركات الاسلامية ، والتي لو عالجناها بحكمة واتخذنا منها طريقاً سليماً آنئذٍ نستطيع ان نوظف الكثير من طاقاتنا التي تستخدم الآن سلبياً في اتجاه ايجابي .

ما هو العلاج لهذه الحالة ، وكيف ؟

قبل ان نجيب على هذا السؤال ، لا بدّ أن نبيّن حقيقة مهمة نؤمن بها ايماناً راسخاً .

وهي ان بناء الكون والسنن التي أودعها الله في هذا الكون ، والتقادير ، والتدابير التي أحاط بها الله هذا الكون ، تجعل من البناء قضية اسهل ، وعملاً أنمى من الهدم .

بعكس ما يقوله الشاعر العربي الذي اظن انه كان يتحدث في جو و بيئة متخلفتين .

أرىٰ ألف بان لا يقوم لهادم فكيف ببان خلفه ألف هادم

بعكس ذلك تماماً نقول : كلا .

لأن الباني الواحد يستطيع ان يواجه هدم ألف هادم .

فالبناء أقوى من الهدم في تركيبة الكون وفي فطرة الحياة ، والدليل :

أولاً : الطبيعة تشترك في البناء

ان البناء هو الحق الذي ينمو، فحينما نبني شيئاً فاننا نتحرك مع مسيرة الحق ، لان الكون كله يبني معنا ، فحينما نزرع فان الارض تتقبل البذرة ، والرياح تلقحها ، والامطار ترويها ، وأشعة الشمس تغذيها وأملاح الارض تغنيها فكل ذلك يعمل في مسيرة البناء .

ولذلك نرى ان الحبة الواحدة تتحول الى (٧٠٠) حبة وللقضاء على حبة واحدة تستطيع ان تحرقها بقطرة بنزين واحدة .

بمعنى اننا نحتاج الى (٧٠٠) قطرة بنزين لأ بادة (٧٠٠) حبة .

فمسيرة الكون مع الحق .. والحق مع البناء لذلك يقول الحديث :

« ما كان لله ينمو» .

ثانياً : الحياة تتحدى الموت

ان الذين درسوا علم الاحياء يعرفون انه بالرغم من عدة مئات الالوف من الجراثيم التي اكتشفت حتى الآن بالنسبة للأحياء ، الا ان الحياة قاومت الجراثيم واستمرت ، وقد اكتشف حتى الآن (٩٥٠) الف نوع من الاحياء كلها موجودة ، و بعضها موجود منذ عدة ملايين من السنين ، بالرغم من كثرة الآفات والجراثيم ووجود الصراع داخل الأحياء ، فان الحياة بقيت متناسلة متنامية .

لماذا ؟

لأن الحياة تتحدى الموت ، وان الانسان الواحد اذا بقي فبأمكانه انتاج عشرات الاولاد . وهذا يعني ان الحياة تحدّت الموت .

لقد كان أولاد رسول الله (ص) حينما توفي فاطمة وابناها وزوجها ،ولكن حسب آخر الاحصاءات فان مجموع السادة الآن اصبحوا حوالي (٥٠) مليون انسان مع كثرة ما قتل منهم وشرّد .

فما دام الانسان هكذا ، حين يموت يموت وحده بينما يبقى نسله . فالحياة اذاً تتحدى الموت .

اذا قتلت انساناً فقد قتلت انساناً واحداً ، أما اذا استعضت عن ذلك ببناء الناس وتكاثرهم فتضم الى صفوفك انسان سواء عن طريق تناسله ، أوانتمائه اليك، فانه لا يضاف الى عددك فقط ، وانما يضيف وجوده شيئاً آخر الى كيانك .

فاذا كان بيننا و بين شعب ما صراع لا تنافس فليس باستطاعتنا الا ان نقتل منهم مقتلة عظيمة .

اما اذا كان بيننا و بينهم تنافس شريف فباستطاعتنا ان نتكاثر ضدهم ، وعند اختيارنا طريق التكاثر فاننا نغلبهم ، أما في حالة قتلهم فيمكن أن نغلبهم أو يغلبوننا .

فمثلاً : لقد قرر الشعب الفلسطيني بأن يزيد عدده وذلك عن طريق التناسل ، لذلك يحتمل في سنة ٢٠٠٠ م ان يصل عدد الفلسطينيين في العالم الى (١٠) ملايين انسان .

وهناك تقرير اسرائيلي يتحدث عن خطر الفلسطينيين و يقول : لأن هؤلاء يزدادون في التناسل ونحن لا نزداد ، فسوف يغلبوننا على المدى البعيد شئنا أم أبينا ، لأن العائلة الفلسطينية لديها (١٠) أولاد بينما العائلة الاسرائيلية لديها ولدان فقط ، لذلك سيصبح عدد الفلسطينيين داخل الحدود الاسرائيلية اضعاف عدد الاسرائيليين و بالتالي سيطغون عليهم .

وكذلك هناك تقرير فرنسي نشر أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر يقول : لا بد للجزائريين ان يغلبونا ، لانهم يؤمنون بزيادة النسل ، (والشيء الوحيد الذي يمكن للفرنسيين ان يتعلموه من الجزائريين بسبب صراعهم معهم هو زيادة النسل) ، لذلك أمر ديغول بتشجيع النسل في فرنسا ، واليوم هناك قانون يضمن معونات حكومية للذين لديهم اطفال اضافيين سواء كانوا فرنسيين او اجانب ، و بهذا المفهوم فان الحياة تتحدى الموت ، وان البناء اقوى اثراً من الهدم ، لان البناء ينمو بينما الهدم يبقى عند حده .

الصراع يعني الانقراض :

لو وجه التنافس بين الحركات الاسلامية هذا التوجيه ، فكل حركة من هذه الحركات تفكر في تقوية ذاتها عند تنافسها مع الحركات الاخرى ، ومضاعفة عدد المنتمين اليها ، فانه بعد عشرة سنوات نرى ان جميع الحركات الاسلامية متقدمة ، وقوية ، و بالتالي ان الهدف المشترك لكل الحركات الاسلامية قد تحقق عملياً .

بينما اذا أرادت كل حركة ان تتوسع في حدود الحركة الاخرى ، اي ان جماعة هذه الحركة يفتشون عمن يذهب للأخرى ويخرجوه منها ، لينتمي اليهم ، فماذا ستكون النتيجة ؟

طبيعياً في مثل هذا الجو سوف تكون مجموعة بسيطة يتصارعون مع بعضهم فيختنقون و ينقرضون .

ان العالم الاسلامي ، عالم واسع ، وعدد اللامنتمين بالنسبة الى عدد المنتمين (١ إلى ٥٠٠ ألف) . وهذا يعني انه لو توجهت الحركات الاسلامية الى حالة التنافس الحر والبناء ، لرأينا بأن هناك ملايين من البشر ينتمون الى الحركات الاسلامية ، وتبقى القلة لا منتمية ، هذا بالنسبة الى التزايد العددي ، وهناك تزايد آخر هو التزايد الكيفي فالمجالات الاسلامية كبيرة ، و واسعة ، تستطيع الحركات الاسلامية ان تخترقها .

فالعالم الاسلامي بحاجة الى كتّاب ونحن بالنسبة الى العالم صفر او تحت الصفر بالنسبة الى كتّابنا ومؤلفينا .

فأين الكتّاب ؟

ولماذا لا تفكر الحركات الاسلامية بأن تبني كتّاباً ومؤلفين ؟ ولماذا بقيت حتى الآن تقتات على المؤلفين والمفكرين السابقين ، الذين كتبوا لجيلهم وانتهى ذلك الجيل ، وعلى كل جيل ان يتحمل مسؤوليته .

« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما أكتسبت ولا تسألون عما كانوا يفعلون » .

(البقرة / ١٣٤)

فنحن جيل جديد ولكن اين كتّابنا ؟!

قبل عشرين عاماً كان هناك المرحوم مالك بن نبي والمرحوم الشهيد سيد قطب والمرحوم الشيخ جواد مغنية والكتّاب الآخرين في مصر والعراق ولبنان .

ولكنهم أصبحوا تحت التراب ، فمن خلفهم ؟ لماذا عقمت أيدي المسلمين عن الكتابة الجديدة !

هناك آلاف القضايا المطروحة وليس هناك من يكتب عنها شيئاً . أو ليس هذا مجال جيد للتنافس !

وان من الأفضل ان تدخل كل حركة هذا المجال ، وتوجه جانباً من طاقتها الى التنافس البنّاء ، لا أن توجه صراعها ضد البعض الآخر .

فماذا نجيب ربنا غداً لو سألنا ماذا كنتم تعملون ؟ ولماذا كنتم تتصارعون ؟

فهل تريد الحركات الاسلامية ان تنتصر بالشعارات ؟ كلا . فالشعارات لا تكفي للانتصار فالدنيا مبنيّة على أسس متينة صنعها الله ولا تحيد عنها ، ولا يفكر احد باستطاعته الانتصار في هذه الدنيا من دون ان يوفر في ذاته عوامل الانتصار جميعاً .

ومن عوامل الانتصار معرفة الحياة معرفة عميقة وشاملة واتخاذ القرار المناسب بالنسبة للحياة .

فالقرار يحتاج الى دراسات ولكن اين الذين يقومون بهذه الدراسات ، فلماذا لا تقوم هذه الحركات أو تلك باختراق هذا المجال ، ثم تقول للحركات الاخرى : انا عملت هذا العمل وانتم اعملوا العمل الفلاني ، فهناك بلاد واسعة في العالم تحتاج الى موجهين وكتاب وألسنة التي لو نطقت بالحق لاستطاعت ان تقوم بأعمال كبيرة ، فلماذا نوظف هذه الالسنة في بعض الامور التافهة الجزئية التي لا تعني شيئاً .

لماذا لا نوجهها توجيهاً سليماً لتلك البلاد وأولئك الناس الذين يحتاجون الى مثل هذه الألسنة والاقلام .

فالحركة التي تستطيع ان تعطي الفكر الافضل والخط الاوضح وتجرب نفسها في السيطرة على مواقع جيدة ، عسكرياً واقتصادياً ، واجتماعياً ، وسياسياً وفكرياً ، يجب ان تمجد من قبل كل الحركات حتى يعرف ابناء هذه الحركات في كل مكان بأن الصراع ليس بتكثيف التناقضات و بتكرار السلبيات واشاعة الفواحش ، وانما بالعمل الصالح ، فاذا جعلنا التنافس مقياس التقدم وهو العمل الصالح ، فالكل يذهب الى العمل الصالح ، و بالتالي فان الامة تتقدم . أما اذا جعلنا المقياس هو تكثيف السلبيات ، حول الحركات الاخرى فهذا خطأ .

فلماذا نفكر في إبادة الآخرين حتى نبقى أحياء ؟

لماذا نفكر في ان نوقف الآخرين عن الحركة ؟

فاذا كان الآخرون متقدمين فيجب ان نتقدم اكثر منهم،اما أن نضع الحجارة في الطريق حتى يقع الجميع ونصل نحن ، بحجة ان الآخرين سبقونا فهذ ليست طريقة

سلمية ، فالأفضل ان نسرع اكثر لكي يسرعوا هم ايضاً ، فوضع العقبات في طريق الآخرين انما هو سلاح العاجزين .

وبديهياً ان هذا السلاح وهذه الطريقة لا تثمر بنجاح ولأننا اذا استطعنا ايقاف الآخرين ووضع العراقيل امامهم ، فلا يعني اننا نضمن الوصول .

لماذا ؟

لأن الوصول للهدف يحتاج الى نوعين من العوامل :

العامل الاول : عدم وصول الآخرين الى الهدف قبلك .

العامل الثاني : توفير شروط التحرك ، وشروط تحقيق الهدف في نفسك .

فنحن حينما نريد ان نقطع مسافة عشرين كيلومتراً ونصل المدينة قبل ان يصلها الآخرون ، علينا ان نزيد من سرعة تحركنا وعجلة سيرنا ، ولا يجوز ان نحقق هذا الهدف عن طريق وضع العقبات أمام سير الآخرين ، اذ قد يسبب ذلك في أعاقتنا نحن ايضاً عن المسير ، وبالتالي يسبب عدم وصول أي واحد منا الى المدينة المطلوبة .

حرية الانسان في هذه الدنيا سنة من سنن الله في الحياة .

ولا يستطيع انسان ان يوقف انساناً آخر عن أي طريق يريد أن يسلكه .

وكذلك حينما تريد حركة اسلامية تحقيق اهدافها ، فلا الحركات الاسلامية المنافسة ، ولا الطغاة ، ولا العقبات الاجتماعية او الطبيعية ، تستطيع الوقوف امام هذه المسيرة .

وإلّا لبطلت سنة الله في الحياة وبطلت نعمة الاختبار ووظيفة الاختيار في الدنيا .

على جميع الحركات الاسلامية أن لا تخضع ، ولا تقوم بعمل قصاصي ، اذا قام بعض المندسين في سائر الحركات بزرع العراقيل امامها ، او حوّلوا التنافس الى صراع .

بل عليها متابعة المسيرة ، فمن المستحيل ان يستطيع احد ايقاف الانسان الذي أراد وصمم على الوصول الى الهدف .. فديننا مبني على فلسفة الحرية ، وان الدنيا دار اختبار وابتلاء ، ولا يتحقق الابتلاء الا بالحرية .

« ان الله لا يغيّرُ ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم » .

(الرعد / ١١)

كيف نتجاوز عقبات الصراع ؟

اذا أرادت الحركات تحقيق اهدافها ورأت ان الآخرين يضعون أمامها العقبات فعليها الالتزام بالبرنامج التالي :

١ ــ ان تتعلم الحركات كيف تتجاوز العقبات وكيفية تجاوزها ، فالعقبات ما هي الاّ ابتلاءات .

ففي التدريب العسكري يضعون عقبات امام الافراد ، فيأمرونهم بالمرور من تحت النار ، و يضعون اسلاك شائكة و يأمرونهم بالقفز عليها ، فائدة كل ذلك راجعة للمتدرب .

أما هذه العقبات فهي نوع من العقبات الطبيعية التي خلقها الله ليمتحن بها إرادة الانسان .

٢ ــ مقاومة المنافس والذي يضع العراقيل ، ولكن في حدود ضيقة فربّ مظلوم يصبح أظلم من الظالم .

فعلى الحركة التي تسير في سلك الرسالة أن لا تخضع لمثل هؤلاء ، بل تحاول أبعادهم عن طريقها باعتبارهم حجر عثرة ، ولكن بدون اتخاذ مواقف سلبية اكثر من مواقفهم يكون الشيطان داعية فيها ، أو بقدر مواقفهم ، بل بحدود الحاجة فقط .

٣ ــ على الحركات الاسلامية تسجيل انتصارات استراتيجية في طريقها كلما ازداد عدد واضعي العراقيل لأ يقاف المسيرة التصاعدية ، والتفكير خير سبيل لذلك .

فكروا في أن المنافس يريد أن يوقفكم ، فكيف تستطيعون ان تتحركوا في طريقكم ، وكيف تستطيعون ان تحرزوا وتكتسبوا مكاسب استراتيجية كبيرة .

فالمنافس يأتي و يضع امامك عقبة ، لكي لا تكتب كتاباً ولكنك اذا انتصرت عليه في هذه الحالة وكتبت كتاباً ، فانك بعد سنتين ستكتب دراسة عميقة وشاملة وافضل بعشر مرات من ذلك الكتاب .

والمنافس يحاول ان يسحب من جماعتك مجموعة ، ففي هذه الحالة ماذا تعمل ؟

ان تأتي بمائة ومائتين و بالتالي تكون قد أعطيته درساً ، لأنه ليس من الفخر ان تهدم فكلما تستطيع فأبني فان الهدم ليس فناً ، ولا فخراً .

فكلما رأيتم انسحاباً تكتيكياً في ساحة العمل بسبب صراعكم مع الجاهلية أو منافستكم مع الحركات الاسلامية التي ابتليت بأزمة الخلق، فابحثوا عن طريقة لتكتسبوا الساحة استراتيجياً، وتعلموا سائر الحركات بأن العمل ممكن وان المكاسب ممكنة الحصول، وان المجالات كبيرة ومفتوحة ولا داعي للصراع.

فهذا البرنامج ذي النقاط الثلاث لو طبق من قبل الحركات الاسلامية في هذه المرحلة الحاسمة من حياتها، لاستطاعت ان تقرب النصر، وان الله سبحانه يرزق الناس على نياتهم وطيب نفوسهم وقلوبهم مع بعضهم.

اوحى الله سبحانه الى نبيه قائلاً: انني سأعذب قومك. ثم رأى نبيه ان العذاب قد تأخر فقال: يا إلهي لماذا لم تعذبهم؟

فقال الله: إعلم بأن هؤلاء تراحموا، اي رحم بعضهم بعضاً.

فالواحد منهم كان يملك قرصاً فكان يأكل نصف ذلك القرص من الرغيف و يعطي النصف الآخر لجاره الجائع، ولذلك فأنا أرحم بهم منهم بأنفسهم، فأبعدت العذاب عنهم.

دعونا نطهر قلوبنا، ونصفي نياتنا، ونخطط خططنا لله وان نكون قائمين له، دعونا نضع الله امام أعيننا في كل استراتيجية، بل في كل تكتيك، بل في كل خطوة، حتى ينصرنا على عدونا.

نحن لا نريد ان ننتصر بأنفسنا بعواملنا الذاتية المادية لأننا ضعفاء، ولأن هذه العوامل غير كافية للنصر.

إننا نريد أن ننتصر بالله ولا ينصرنا الله الا اذا رأى ان قلوبنا صافية.

إذاً على الحركات الاسلامية ان تحول الصراع الموجود بين بعضها الى تنافس بناء، وذلك بان تحاول كل حركة اختراق مجال بكر لم يخترقه الآخرون، وان لا تتصارع مع بعضها في سبيل مجالات ضيقة محدودة، فعالم الله واسع وارضه واسعة..

تواصل وحوار

لعل من المفيد الحديث عن تناقض الآراء فيما يخص أساليب النضال ، أو تحليل المواقف السياسية بين العاملين على الساحة الاسلامية ، وكيفية الاستفادة من ايجابياتها على صعيد الممارسة ، واغناء الخلفية الذهنية لرواد الجهاد ، فمن البداهة القول ان تعيين وتحديد موقف الانسان من الخلافات والآراء المتباينة في الساحة يمكن أن يطبع على تفكيره وسلوكه مسارين ، احدهما في صالحه ، ويمكن الاستفادة منه ذاتياً ، والآخر ان تصبح الاقوال والآراء المتناقضة سبباً لافساده وهزيمته من ساحة المواجهة و بالتالي انهياره وتحطيمه معنوياً ومادياً .

فالفرق هو إتخاذ القرار الصائب من الخلاف ، فان كان موقفاً سلبياً قطعياً ، فانه سيؤول الى الانهيار والهزيمة ، والعكس صحيح .

الخلاف والاختلاف ، وعدم تطابق وجهات النظر ، قضية طبيعية في الحياة وشواهد ذلك كثيرة منها ، العائلة الواحدة ، الزوجة والزوج الذين تآلفا سوية أكثر من (٥٠) عاماً مثلاً ، وتعرّف أحدهما على نفسية وسلوك الآخر ، شاركا معاً الا تراح والافراح ، مع ذلك تجدهما يختلفان في أبسط الامور وأتفهها ، وكذا ايضاً يحصل لدى اولئك التوأمان الذين ترعرعا سوية ، وتربيا ودرسا معاً ، فحينما يواجهان مسائل الحياة تراهما يعطيان اقتراحات وآراء مختلفة .. اذاً لا يمكن انكار هذه القضية .

طبعا ليس المهم إزالة الخلاف خاصة اذا كان لا يؤثر اساساً في مستوى التفكير

العقائدي والهدف الرئيسي ، وانما المهم هو بيان الموقف منه ، واستثماره في مواجهة الخصم .

ومن الامور الاساسية التي يمكن للفرد ان يستفيدها من هذه الحالة الطبيعية ، هو ان تكون مفتاحاً لافاق تفكيره وتكوين وجهة نظره ، فلو وجد في احد البلدان حزب واحد ، يمسك بزمام الامور و يفرض وجهة نظره في كافة الوقائع والاحداث ، ويخضع الناس لاسلوب تفكيره ، تكون نسبة الخطأ في مواقفه وفي تفكيره عالية جداً ، لان طريق الديكتاتورية مآلها النظرة الى الحياة من جانب واحد فقط ، بينما الحياة لها جوانب مختلفة ، فهي ليست بلون واحد ، انها تشبه ذلك العمود الذي صبغ كل طرف منه بلون ما ، فاذا وقف الرائي الى جانب منه ورآه بلون معين لا يقدر أن يزعم بان جميع جوانبه لها لون واحد ، عليه أن يدور حوله حتى يرى مختلف الوانه أو ان يستمع الى من يراها دونه ، وايضاً الحياة غابة مترامية الاطراف ، متنوعة الاشجار وتفقدها من طرف واحد ولجانب واحد ، سيفقد اكتشاف مجاهيلها ، ولكن لو اجتمع عدة افراد على تفحص مختلف جوانبها ، لتكاملت عندهم المعرفة التامة بها ، وتفادوا نقاط الاختلاف .

المطلوب موقف سليم من الخلافات :

نعم أخي القارىء ، التباين في الآراء موجود في كل مكان ، وهو لا يختص ببلد دون آخر ، أو حركة دون أخرى .. ففي الثورة الاسلامية في العراق توجد آراء مختلفة ، كل رأي منها يشكل نسبة معينة من الصواب في طرحه العملي .

رأي يقول بضرورة العمل الثقافي المركزي لتخريج مثقفين واعين لأطر العمل الجهادي .

واخر يرى ضرورة حمل السلاح والمجابهة الفعلية ضد النظام .

وثالث يؤكد على العمل السياسي البحت .

فهذه الآراء لا تعبر عن تناقض في مواقف العاملين في الساحة العراقية ، أو تناقض في الواقع الخارجي الذي يعيشه الشعب المسلم ، انما تعبر عن ابعاد مختلفة للثورة الاسلامية ، وهي بحاجة الى بعد ثقافي ، اذ توجيه نسبة عالية من أبناء الشعب بحاجة ماسة الى

التوعية والتثقيف . وهناك قطاعات تجاوزت هذا المستوى ، فهي بحاجة الى حمل السلاح والمقاومة وهكذا توجد قطاعات شعبية اخرى تستطيع النهوض بالعمل السياسي عوضاً عن ان تحمل السلاح ، توفر بعض المؤهلات لديها مع مساعدة الظروف لها .

اذاً الموقف اللازم اتخاذه في هذه الصورة ، هو تعبئة كافة جوانب العمل المتاحة ، حيث لكل جانب أثراً فعالاً في بعد معين من أبعاد الثورة . وقد تجسد ذلك في ايران قبل إنتصار الثورة الاسلامية فقد حمل قسم من الشباب المتحمس السلاح بعدما تجاوزوا مقدمات تدريبية ، حيث شاركوا في معسكرات التدريب أو معارك التحرير في فلسطين ولبنان ، ثم جاؤوا الى ايران وشكلوا الخلايا المسلحة ، كان لها دور كبير واثر فاعل عشية الانتصار في شباط (١٩٧٩) .

فتهيئة المناخ العام لتقبل الوضع الجديد ، وتعيين مسالك النصر الحاسم ، بصفة جنود مجهولين ، يمارسون الاعمال التثقيفية ، مثل طبع المنشورات الثورية ــ ومنهم قد فقدوا حياتهم في سبيلها وتوزيعها ــ ونقلها من بلد الى آخر .

أحد الشباب الايراني اطلقت عليه رصاصة وهو يكتب شعاراً ، لكنه تحامل على نفسه ، فكتب شعاراً آخر بدمه ثم استشهد ، فهذا الشهيد الشاهد الذي فقد حياته من أجل الكتابة الجدارية والذي يعتقد البعض بعدم أهميته الكبيرة ، انما العكس هو الصحيح ، فهذه الكتابات لها أثر فعال وشمولي في نفس الضابط أو رجل الشرطة والمخابرات ، أو ذلك الشاب الغامس في ملذات ومغريات الحياة ، والبعيد عن الثورة ، انها تؤدي في النتيجة الى اسقاط هيبة النظام ، وتفقد احترام الناس لقراراته ومؤسساته ، وعلى نفس المنوال اولئك المشاركين في التظاهرات الجماهيرية الكبرى وكل الحناجر تنطق بالهتافات المعادية للنظام ، وهكذا بالنسبة لسائر الاعمال ، وطبيعي انها تدخل ضمن منطوق الحديث النبوي الشريف :

« من مات ولم يغز ، أو لم يحدث نفسه بغزو مات ميتة جاهلية »

فليس الغزو حمل السلاح فقط ، وانما الجهاد بالنفس والمال و بذل الجهد في سبيل رفع الظلم والقهر والطغيان ، وكبح جماح النفس من الانسياق وراء الاهواء والمفاخر والشهوات وغيرها وكذلك العمل المكثف من قبل الذين اضطلعوا بمهام الاعمال

السياسية التي أدت الى تسريع الخطى وتعجيل النصر غزو ايضاً .

مما تقدم نستنتج ان الاعلام وكافة مظاهر التعبير والتحدي واحدة ، وهي السبيل لأسقاط قلاع الجور.

بهذا لتعمل الجماهير دون أي تدخل يحد من امكاناتها ، واختلاف وجهات نظرها ، وانما هي رحمة ، لان كل فئة ستقوم بدور معين ، كما نشاهد ذلك في الحياة الاجتماعية ، حيث العاملين في الافران والمخابز ، والبعض في المسالخ والقصابة ، والآخرين في الزراعة والانتاج وهكذا على كل صعيد .. هذا التنوع في تلبية حاجات الناس ، يعطي زخماً لاستقرار المجتمع أو تكامله فالله سبحانه وتعالى خلق الناس مختلفين ورزقهم على قدر ، لتيسير شؤون الحياة ، كذلك الثورة ليست بشكل واحد فهي تحتاج الى من يحمل السلاح ، والى من يسهّل لحملته تدريباً واعاشة ، كما تحتاج الى من يكتب منشوراً أو يطبع ملصقاً جدارياً ، وفي النهاية تتطلب نفوساً ابية ، وسواعد قوية ، وقلوباً اطمأنت الى الاستشهاد واخرين يحيون ذكرى الشهداء ، فالشهادة وان كانت قضية كبيرة ، وسنّة الحياة في سبيل المجد والخلود ، ولكن تتطلب دوماً احياء الشهيد . وصحيح ان الشهيد حي يرزق عند ربه ، لكن الاولى جعله سراجاً منيراً في قلوب الخلف من اتباع المسيرة ، دون تجاهله ونسيانه ، انها جريمة ان تطمس معالم الشهيد ومآثره وعطائه انها تقترن بذات العمل الاجرامي الذي ارتكبه القاتل ، في زيارة الامام الحسين بن علي عليهما السلام نقرأ :

« لعن الله امة سمعت بذلك فرضيت به » .

فالرضا هنا يعني السكوت ، وعدم الاحتجاج ضد اعمال السلطة القمعية ، وتعمد عدم بيان مكانة الشهيد وذكره ، انما هي خيانة لدماء الشهداء قاطبة .

وبعد هذا الهامش المعارض ، يجب التأكيد على الاستفادة من جميع الاراء المختلفة ، وتقييمها ، وتحويلها الى سلاح ، فعال ، حتى لا تذهب الجهود سدى وكي تتعاظم الممارسات الجهادية ضد الطاغوت .

ويجب معرفة ان الخالق العظيم قد اودع في كل رأس فكراً معيناً ، بعدما اراه السبيل القويم ودلّه عليه ، كل انسان يدب على الارض لديه فكرة لا يحملها الاخرون ، هذه

سنة طبيعية ، فعلى الامة ان تكون قادرة على استيعاب كل الآراء والافكار والنظريات وتعبئتها لصالح الثورة ، اما اذا كان الموقف منها ومن الخلاف بصورة اعم ، موقفاً حدياً ، وديكتاتورياً بالمعنى الاصح ، فان الثورة تموت في مهدها بلا شك ، انما يجب اتاحة الفرصة للجميع في بيان ما لديهم تجاه القضايا المطروحة .

ففي الحديث الشريف :

« الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها اخذها » .

وفي ذلك يؤخذ الحكم الصحيح و يترك ما كان فاسداً ، قال الحق عز وعلا :

« الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه » .

(سورة الزمر آية ١٨)

فهدايته سبحانه وتعالى تأتي باستماع القول كله . ثم الاخذ باحسنه ، اما من تخلف عن هذا المفهوم فستكون عاقبته الضلال والهلاك .

القيادة الموحدة :

وثمة نقطة اخرى تدعم البصيرة الثورية وتكون رافداً لها وهي وجود قيادة اسلامية حكيمة تتبع باذن الله جل وعلا ، وهي امر مهم لاغنى لاية امة او حركة منها ، والقيادة التي نعنيها هي ما اشار اليها أمير المؤمنين علي عليه السلام :

« يا أيها الناس ان احق الناس بهذا الامر ، أقواهم عليه واعلمهم بامر الله فيه » .

المعاناة لا تزول بالاحاديث الشعاراتية البراقة التي تدور في مجالس الترف هنا وهناك ، انما تتطلب علاجاً حقيقياً ومسؤولاً .

الجماهير تحمل مشكلة تنازع القيادات ، والاصيلة منها هي التي تعبّأ كوادرها ، وتجمع شتات افكارها وتخطط لمسيرتها ، وتمنحها الامل في الفوز ، والاخرى مخاتلة مداهنة ، تكون اشهر اعلاناً ، واطول لافتة ، واقدر على دغدغة الرغبات الدنيوية ، فاذا انصاعت للاولى ، كانت على قاب قوسين أو ادنى من النصر ، وان اتبعت الثانية ، كان مآلها الى السقوط والفشل ، لان الامة لا تستطيع تحقيق النصر باتباع الشهوات والاماني ، انما بالعقل والعلم والجهد الخالص .

القيادة يجب ان تكون مطاعة، ولكن ليس لانها تملك إعلاماً عريضاً، أو لانها قادرة على اعطاء الرواتب وتحقيق المطامع، فهذه ليست بقيادة اصيلة أو حاسمة، أو فاعلة.. القيادة الصحيحة هي التي تسترشد بأحكام الرسالة وتعاليمها، كي تكون حجة على الاتباع، ينبغي الامتثال لها في كل شيء يرضي الخالق العظيم عندها سيتحقق التفاعل، وتطغي الايجابية على العمل الرسالي.

اما اذا تحقق العكس فستكون القرارات المتخذة تحمل بذور فشلها معها، وسيقتصر اهتمام القيادة منصباً على زيارة المرضى ومعونة الفقير مادياً والى غير ذلك من الاعمال الاجتماعية والخدمية، إذ ان القيادة الناجحة التي تطاع باذن الله تعالى ستكون مطلعة على قوتها والاحتياطي القتالي، وهذا ما نلمسه في القرآن الكريم ووقائع التاريخ.

جاء في القرآن الكريم ان طالوت حينما وصل بجنوده من بني اسرائيل الى النهر، امتحنهم بعدم الشرب من الماء لكن شربوا الا قليلا.. هذه تعكس ان الذين انصاعوا للاهواء النفسية جرياً وراء مكاسب آنية، خسروا، اذ انفصل عنهم مع مجموعة صغيرة استطاعت ان تهزم العدو جالوت باذن الله.

وكذلك بالنسبة للامام الحسين اذ سار بعدد كبير من الاتباع لمواجهة جيش يزيد بن معاوية لعنهما الله.. لكن في نهاية المطاف، شهدت واقعة كربلاء وجود (٧٢) رجلا بعد ان كانوا الوفاً ولم يتثاقل هذا العدد القليل من اداء المهام المطلوبة، بل كانوا بصدق مثال ما يعنيه الامام المعصوم عليه السلام.

« وانما المرء مجزيّ بما اسلف، وقادم على ما قدم ».

فصاروا شهداء ومشاعل للآخرين..

ان العدد الكبير اللاهث وراء المغانم، والفاقد لمعايير الاسلام الحقة، لا يمكن ان يؤدي الدور المطلوب، خاصة اذا استجاب طواعية للنفس الامارة بالسوء وخدعته الدنيا وزخرفتها، كما فعل اصحاب المكاسب وعبيد الدنيا بالامام الحسين بن علي عليهما السلام، في حربه العادلة مع عدو الله معاوية بن ابي سفيان.

ونضرب مثالا معاصراً لما نذهب اليه من رجاحة مستوى التفكير القيادي مع تفاعل الجماهير معها في كسب الاهداف المرجوة، في ايران عشية انتصار الثورة الاسلامية،

حيث وصل الى مسامع الامام الخميني (حفظه الله) ان الحكومة العسكرية الحاكمة اصدرت امراً بمنع التجول في شوارع العاصمة طهران، فوجه كلمة الى الشعب أمرهم فيه بالخروج الى الشوراع، وعدم الالتزام بالقرار الصادر، فامتثل لأمره وخرج أربعة ملايين نسمة في تلك الليلة، وافترشوا شوارع العاصمة في جو قارص البرد، مما أنهى حكماً إستمرّ اكثر من ٥٧ عاماً، فلو كانت القيادة متشتتة وابناء العاصمة يعملون حسب اجتهادهم هل كان يتحقق هذا النصر؟ كلا .. وهذه من البديهيات، لقد انصاعوا له، وسلموا امورهم إليه، لان فيه تتجسد مؤهلات القيادة.

من كل ما تقدم نصل الى هذه الحقيقة وهي: ان وجود البصيرة الواعية بالظروف والطاقات والفرص المتاحة كفيلة لتعجيل النصر، وانها لا تتحقق الا بامرين اتخاذ موقف سليم وهادىء من الخلافات القائمة لدى اطراف الساحة، ووجود قيادة امينة مخلصة تستوجب احترام الامة لها والانصياع لاوامرها في سبيل كلمة الله في الارض والمحق الشامل لكل المبادىء الارضية الوضعية.

الفصل الثالث :

منطلقات الثورة الاسلامية

* استراتيجية حكيمة.
* العلم والتقنية.
* الجماهير هدف ووسيلة.
* الحوافز الخيرة.
* بين القوة والمنطق.

ملامح المجتمع الثائر.

الوعي الثوري

منطلقات الثورة الاسلامية

لكي نتعرف على ماهية الثورة الاسلامية وشروطها الذاتية والموضوعية ، لا بد لنا من استنطاق المصادر الاصلية واستقاء افكارنا من منابعها الصافية .

ذلك ان فهم أي مبدأ لا بد أن يكون عبر منهاجه ، وانطلاقاً من قواعده الفكرية ومنطلقاته الفلسفية ، ولا يمكن ان ندرس فلسفة بمنهج علمي تطرحه فلسفة اخرى .

كذلك الاسلام لا بد ان يعرف بمنهجه و بفهم الاطار العام الذي يطرحه للحياة ولا يمكننا ان ندرك نظر الاسلام الى الثورة من دون ذلك .

و بصائر القرآن واضحة حول الانسان والحياة مما يشكل اطاراً لفهم النظرية الاسلامية في الثورة ، فالاسلام يرى ان هذا الكون برحابته وبما يحتويه من المجرات الهائلة مخلوق لله ، ابدعه بارادته وطبق موازين العدل الالهي ، فالارض اشرقت بنور ربها والسموات امسكها بيده وهي مطويات بيمينه .

« وما قدر الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون »

(٦٧ / الزمر)

فالكون ليس صدفة جاء بلا سبب و ينطفيء يوماً ما بلا مبرر معقول . وحركة الكون ــ كوجوده ــ لا تخضع للصدفة (كما يزعمون) بل هي سنة ثابتة دائمة وفق حسابات دقيقة الى ان يشاء الله ربها ، وهذه السنة لن تتغيّر ولن تتحول ولن تتناقض .

« فلن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً »

(٤٣ / فاطر)

وكل شيء في الكون خاضع لتلك السنة لا يحيد عنها ، و يعبر القرآن عن ذلك بقوله تعالى :

« يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس »

(١ / الجمعة)

« ولله يسجد ما في السموات وما في الارض »

(٤٩ / النحل)

فكل شيء يسعى ليتمحور حول مركز التوحيد ، حول النور الأ بدي الذي لا يوصف ولا يحدد ولا يؤقت ولا يؤيّن ولا يكيّف وهو :

« الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي لنوره من يشاء و يضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم »

(٣٥ / النور)

تلك هي سنة الكون ، بيد ان الانسان ذا النفس الامارة بالسوء ، والشيطان الموكل بالنفس ، قد يشذ بها عن قاعدة التوحيد ، قاعدة الطاعة المطلقة لله سبحانه والا فالانسان بوصفه ظاهرة كبقية ظواهر الطبيعة مخلوق لله و بالتالي يجب ان يسير وفق سنن الله وتقديره في جانبه الارادي ، كما في جانبه البيولوجي ومع هذا لا نستطيع أن نقول ان الانسان كله شاذ في عالم الطبيعة ، انما بعد من الانسان وهو البعد الذي يتعلق بالجانب الارادي فقط ، وحتى هذا البعد لا يشذ مطلقاً وانما في اطار المحددات الثلا ثة التالية :

١ ــ بعض الناس يعبدون الله وحده .

٢ ــ البعض الذي يعبد الله لا يمكن أن يستمر في كفره أبداً انما يكفر لبعض الوقت ريثما ينجلي عن عقله فيثوب الى رشده .

٣ ــ البعض الذي يتمرد على فطرته فيبقى على كفره في حياته ، فهذا يعاد قسراً الى

عبادة الله في الآخرة حيث يكتشف الحقيقة و ينسجم مع المسيرة العامة للكون ، وكل هذه الاصناف ينالون هنالك الجزاء الأوفى الذي ينتظرهم .

في هذا الاطار من المسؤولية نفهم ان مهمة الانسان في الحياة هي طاعة الله والخضوع لسننه في جوانبها التشريعية والفلسفية .

وهذه المهمة لازمة للانسان بمعنى أنه لا يستطيع الفكاك منها بأي حال من الاحوال ، فقد يتخلى عن بعض جوانب المسؤولية هذه لبعض الوقت ولكن سرعان ما يجد نفسه عند الله ليوفيه حسابه ، و يعود بالقوة الى سنة الله وملكوت قدره .

نظرية الثورة في الاسلام :

وهنا نصل الى النقطة المهمة التي تتصل بالثورة في المفهوم الاسلامي ، فمن هذه البصيرة الاسلامية المتكاملة تنبثق نظرية الثورة .

فالثورة في الاسلام هي تصحيح مسيرة الانسان واعادته الى النظام ، والى سنن الفطرة والحياة لينسجم معها ، و يقطف ثمار الانسجام هذه عاجلا أو آجلا .. و بكلمات اخرى اعادة الانسان المنحرف الشاذ عن قاعدة التوحيد في عالم الخليقة الى حظيرة الايمان .

« وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون » (١٥٣-الانعام) .

وعليه يجب ان يعاد الانسان الى الصراط المستقيم والى مجموعة البرامج والمناهج التي يقوم عليها الكون بكل ابعاده .

وعملية الاعادة هذه هي الثورة بل هي الرسالة ، فهدف رسالات السماء انما هو تصحيح مسيرة الانسان ، وهذه هي نظرية الحق الالهية التي وردت في القرآن :

« الم تر أن الله خلق السماوات والارض بالحق » (١٩-ابراهيم) .

اذ ان كل شيء قائم على اساس ونظام معين هو « الحق » ، والشذوذ عنه « باطل » ، والاعادة الى ذلك النظام تعتبر في منطق الاسلام « ثورة » .

انطلاقاً من هذه النظرية فانه من الواضح ان الثورة في الاسلام ليست فوضى بل عودة الى النظام ، بينما الفوضى هي تلك الحالة من الشذوذ التي يجنح اليها الانسان احياناً انسياقاً وراء اهوائه أو لعجزه وجهله ، فتلك الحالة « باطل » .

« وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » (٨١-الاسراء) .

وربما كانت كلمة « زهوقاً » تعني فيما تعنيه المتناثر والغير مرتبط بنظام ، كما ورد في آية أخرى :

« ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » (٢٨-الكهف) .

يعني متناثراً فوضوياً :

فالثورة في الاسلام تعني اذن اعادة الانسان الى النظام والشاذ الى القاعدة والباطل الى الحق ، اذ ليس كل هدم ثورة ، ولا كل اضطراب وهيجان ثورة ، لان الثورة نابعة من صميم النظام ، وما يدّعيه المنحرفون (كالطغاة) أنه نظام ، ليس كذلك ، لان نظامهم الذي يزعمونه هو شذوذ عن مسيرة الكون ، ولذلك فهو فوضى وليس نظاماً .

وهذا الاستنتاج يهدينا بدوره الى بعد آخر للثورة وهو ان الثورة مبرمجة ذاتياً منذ بدايتها ، فالثورة الاسلامية لا تدعو الناس الى شيء مجهول وغير معقول ، لا تأمرهم بالتحرك ثم بعد ذلك تدعوهم ليجلسوا و يبرمجوا ، الامور ، أبداً انها تدعوهم الى برنامج منذ اللحظة الاولى ، وكل خطوة يقطعها الناس في طريق الثورة الاسلامية انما لبرنامج معد سلفاً ، وكل الخطوات قائمة على اساس برنامج الاسلام .

ينبغي على واقع الانسان ان ينسجم مع الكون وعالم الطبيعة . وان اي شذوذ بحاجة الى ثورة لاعادة المياه الى مجاريها ، وهذا معنى عدم مهادنة الاسلام لأي انحراف ، وهو مغزى تاكيد القرآن الكريم لانبياء الله عليهم الصلاة والسلام بان لا يتنازلوا عن ذرة من مبادئهم مهما اصابهم ، لان الباطل محدود الأجل ، بينما النصر للحق ، فالعوائق محدودة زمانية كانت أو مكانية ، وهذا يعني ان الباطل لا يمكن ان ينمو بينما (ما كان لله ينمو) ، لذلك على صاحب الرسالة ان لا يأبه لما تعترضه من صعاب آنيّة .

ان الثورة الاسلامية تعني بلغة السياسة ان الانسان اذا تسلط على الغير بالقوة وفرض سيطرته على الآخرين بالقهر فذاك هو « الطاغوت » الذي لابد من اشعال الثورة ضده حتى يتم تحطيمه واسقاطه .

والطاغوت هو من يطغى بنفسه مستكبراً على سنة ربه وفطرته وطبيعته و يريد حفنة من الاخرين ان يسايروه في طغواه ، ليفرض بعد ذلك على الناس طاعته واتباع فلسفتة وتشريعه وثقافته عن سنة الله التي تمرد عليها ، لتحو يل ولائهم له ومن ثم الشرك بالله والانفلات من توحيده سبحانه في الخلق والتشريع والعبادة والسلوك . فالثورة اذن لاسقاط الطاغوت ، ولقد أمرت آيات كثيرة الناس بالثورة على الطاغوت ، ولكن الاية ٣٦ من سورة النحل تتضمن هذا المفهوم بكثير من الشمولية ، يقول تعالى :

« ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقّت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » . (٣٦ـ النحل) .

ان الهدف الذي يحمله الانسان ــ الرسول العابد لله ــ ان يكون ثائراً في وجه الطاغوت حتى اسقاطه ، لان اجتناب الطاغوت في الآية في مقابل عبادة الله ، وهذا يعني : ان من يعبد الله لا يمكن ان لا يكون ثائراً ، واجتناب الطاغوت لا يعني عدم الرضوخ له ، وذلك بالهرب بعيداً عن الطاغوت ، وانما الاجتناب يعني الازالة تماماً ، كقولنا اجتناب النجاسة يعني ازالتها والطاغوت عند الله احقر من النجاسات لانه اكثر قذارة ، فكما تزيل البول اذا اصاب جسمك ، لان الله يأمرك باجتناب النجاسات ، كذلك الأمر إذا تفشى في المجتمع نظام طاغوتي فان المجتمع مطالب باجتناب الطاغوت ، وذلك بالتطهر من دنسه ورجسه ، اذن فاجتناب الطاغوت بحد ذاته عبادة لله ، والله بعد ذلك يهدد :

« ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » (٣٦/النحل)

وهذا ما سنعود تفصيله بعد حين .

منطلق الثورة في الحقل الثقافي

ماذا يقول القرآن ازاء سيطرة الطاغوت ثقافياً والارهاب الفكري بكل اشكاله من الغزو الثقافي والتحذير والتبرير وما الى ذلك .

ان القرآن الكريم يهتف بنا قائلا :

« الم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت و يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » (٥١-النساء) .

ان الذين أوتوا نصيباً من الكتاب هم رجال العلم والمثقفون ورجال الفكر ، فالعالم مهما كانت مكانته أو صفته ينبغي له ان يكون بعيداً عن « الجبت » أي المصلحة والانانية والوصولية .

ولا يخفى ان هوى النفس وحب الدنيا وشهوة الرئاسة ان عرفت سبيلا الى رجال العلم والفكر فان ذلك معناه الوقوع فريسة في شباك الطاغوت ، والعلم التابع لسياسة الطاغوت هو نوع من الثقافة التي تفرزها السياسة المنحرفة الباطلة ، والثورة على الطاغوت هنا هي بالذات العودة الى الثقافة السليمة والعودة الى الولاء الصحيح .

من ناحية أخرى ان رجل العلم الذي رضي لنفسه بان يصبح « برغياً » في آلة الطاغوت ــ تحت ضغط الهوى والشهوات ــ هو نفسه عالم السوء الذي علينا ان نجتنبه ونثور عليه كما نجتنب الطاغوت نفسه ونثور عليه ، اذ ان الخضوع للثقافة الطاغوتية امتداد للرضوخ القسري للسياسة الطاغوتية .

وهذا بدوره يقود الى الشرك بالله ، وكيف تجتمع عبادة الله مع ثقافة شركية .

لا يمكن ان يدعي أحد أنه يعبد الله في ظل الثقافة الجاهلية ، أجل ان عبادة الله في ظل هذه الثقافة تعني « الثورة الثقافية » ، ولا ضير ما دمنا واعين لدورنا فان الحديث الشريف صريح في ذلك ، حيث يقول :

« من استمع الى ناطق فقد عبده ، فان كان الناطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان ، وان كان الناطق عن الرحمن فقد عبد الرحمن » .

ورجل العلم بخضوعه واستسلامه للطاغوت تحول الى وسيلة رخيصة بيده منذ ان قبل بعبادته واشرك بالله رغم علمه والنور الذي يشعه .

و بالتالي على الانسان ان يبتعد عن هذا النوع من العلماء الذين ينطقون عن الشيطان (الطاغوت) وليس عن الرحمن ، كما على المرء ان يكون في حصانة من تأثيراتهم السلبية المنحرفة ، فقد قال عزّ من قائل :

« والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولوا الالباب » (١٧-١٨/الزمر) .

ولان كانت الآية الاولى (٥١ ـ النساء) قد وردت بحق رجال العلم والعلماء فان هذه الآية قد وردت بشأن الجماهير المؤمنة الذين لا يخضعون للثقافة الطاغوتية لان الخضوع لثقافة الطاغوت فقدان للاستقلال العلمي والثقافي وهذا بدوره مدعاة للضلالة والانحراف .

لذلك فالثورة في ميدان العلم هي رفض ثقافة الطاغوت وعلمائه ، ولا يحدث ذلك بالطبع الا بالثورة السياسية ، لان الخضوع سياسياً للطاغوت يفرض التبعية له في المجال الثقافي والعلمي .

من هنا لا يتم نسف النظام الثقافي الطاغوتي الذي يؤدي الى استضعاف الانسان واذلاله وسلب حقوقه ، الا عن طريق نسف النظام المستبد برمته ، كيلا يبقى العلم قمراً يدور في فلك السياسة او الاقتصاد او القوى الاجتماعية وانما يكون العلم لله ، فقد جاء في الحديث :

« من تعلم لله وعلّم لله دعي عند الله عظيماً » .

انه يطرح برنامج الاسلام في الثورة الثقافية بكل ايجاز ووضوح .

منطلق الثورة في الحقل الاقتصادي

ان الاقتصاد دعامة قوية من دعائم المجتمع وركيزة اساسية في أي نظام ، والاسلام كنظام تشريعي لم يغفل هذا الجانب ، فقد أوضح سنن الله الكونية والتشريعية في عالم الاقتصاد اذ يقول تعالى :

« وخلق الله السماوات والارض بالحق ولتجزي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ». (٢٢-الجاثية)

أو كما يقول عزّ من قائل :

« وان ليس للانسان الا ما سعى * وان سعيه سوف يرى » (٣٩-٤٠/النجم)

فسنّة الله اذن هي ان الانسان لا يملك الا جهده وللاخرين جهودهم ، وما زاد عن جهد المرء فهو سرقة من جهود الناس ، ورغم ان بعض التفسيرات التي وردت للآيتين الكريمتين خصتهما بما يتصل بعالم الآخرة ، وهذا صحيح الا ان عالم الآخرة ما هو الا نتيجة لعالم الدنيا أو امتداد له ، فالحديث الشريف يؤكد ان :

« الدنيا مزرعة الآخرة »

في الدنيا عمل وزراعة ، وفي الآخرة جزاء وحصاد .

وهذا هو الحق الذي بموجبه خلق الله السماوات والارض ، وبمقتضاه لا يحق للانسان ان يسرق منه ، كما لا يجوز ان يسرق ، وكما ان له حقوقاً على المجتمع كذلك عليه حقوق ، ورجل المال عليه ان يشارك في الثورة ومسؤولياتها ، حسب الحد الشرعي وحسب تشبع الفرد بقيم الثورة والايثار ، فمن غير المعقول ان يكنز الفرد المال ولا يقوم بواجباته المالية ، ليس من السليم أن يتصرف الفرد في المال تصرفات لا مسؤولة ، تضر به - كفرد - وتضر بالمجتمع فتضيع بذلك الاهداف المشروعة في سياسة المال .

ان المال يجب ان يكون في خدمة حركة المجتمع ، فاذا انحرف الفرد في توظيف ماله ضمن هذا الاطار فعلى المجتمع ان يضع يده على المال ويمنعه من التصرفات الشاذة ، وذلك طبقاً لما نطق به القرآن الحكيم :

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » (٥ـ النساء)

فالمال من المجتمع والى المجتمع ، وسيلة للتنمية وتبادل الجهد والتعاون البنّاء من أجل رفاه الانسان ، ومن أجل عبادة الله و بالتالي فهو في سبيل الله ، وهذه هي سنة الله في المال المنسجمة مع السنن الكونية .

اما اذا كان المال وسيلة للاستغلال والسيطرة والتبذير او حتى للكنز بخلاً به ، فانه ليس قياماً وحينئذ فانه مال السفهاء الذي ينبغي الحجر عليه ، وهذا يعني ان للمجتمع دوراً معيناً في صيانة المال ، فلا يجيز للفرد السفيه صغيراً كان او مجنوناً او مبذراً او مستغلاً او بخيلاً أو احتكارياً ، التصرف بالمال لان ذلك مضر بمصالح الفرد وارباك للوضع الاقتصادي العام .

والنهي الصريح « لا تؤتوا » في هذه الآية كالأمر الصريح في الآية السابقة ، « واجتنبوا الطاغوت » التي هي تأكيد قطعي على الفعل ، حيث الرفض والثورة والتمرد .

و « لا تؤتوا » تحريض ومنع ومصادرة لأموال السفهاء لمصلحة الحق ، وهو معنى القيام ــ كما يبدو لي ــ بما يقيم المجتمع ، وهذا قريب من معنى النضال وما يحتاجه من الدعم والمثابرة .

منطلق الثورة في الحقل الاجتماعي

حينما يقرر القرآن الحكيم مؤكداً :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون * وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون » (٩٠-٩١/ النحل)

وفي آيات كثيرة غيرها ، يؤكد الباري عز وجل على حرمة الفرد والمجتمع على حدّ سواء ، فللفرد حرمته كما للمجتمع حرمته ، والحقوق حرمات لا يجوز الاعتداء عليها بأي حال من الاحوال .

والمجتمع الذي تسوده الديكتاتورية والاستبداد ويحكم معاملاته الظلم ولو كان بمقدار ـ جلب شعيرة ـ كما يقول الامام علي (عليه السلام) ، فهو مجتمع غير اسلامي ، هو مجتمع الطاغوت ، مجتمع الفساد والتفسخ والانحلال ، وهذا الوضع لابد ان يتغير .

كان عمر بن الخطاب في جمع من الصحابة فيهم سلمان الفارسي ، فقال عمر أملك أنا أم خليفة ؟

فقال سلمان : « ان جبيت من ارض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر وضعته في غير حقه (اي ظلماً وجوراً) فانت ملك غير خليفة .

وبديهي ان الخلافة هي وفق سنة الله [ومن احسن من الله حكماً] بينما الملك جاهلية وطاغوت ، ومقدار درهم بل أقل ، يوضع في غير محله يقلب موازين العدل والاحسان ، مما يوجب الثورة حتى تستقيم الامور .

هذه منطلقات الاسلام للثورة في الحقل السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي ، والتي تؤكد لنا أن الاسلام بذاته ثورة في كل الميادين والحقول ، وما هو بثورة في المال وحسب ، أو ثورة في السياسة فقط ، وانما في جميع اشكال المجتمع وقواعده التحتية ، ثورة على الطغيان والاستبداد وتمرد على الفساد وعودة الى الحق . ولعل لفظة « الحنيف » في قوله تعالى عن النبي ابراهيم (ع) :

« ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين » (١٢٠ـ النحل)

تعبر بعمق عن الفكرة الثورية في الاسلام ، ولهذا يعبر الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) عن الثورة الرسالية بهذه الكلمة قائلاً :

« جئتكم بالحنفية البيضاء »

فهذه اللفظة تشير الى اتجاه الاسلام الثوري ، فالحنفية تعني الميلان ، ولكن باتجاه

الحق نحو الصراط المستقيم ، وهكذا حينما يكون المجتمع كله يسير في اتجاه الباطل ، ثم يقوم من يتمرد عليه و يسير في الاتجاه الصحيح ، منحرفاً عن المجتمع الى الله ، فانه آنئذ من اتباع ابراهيم الخليل (ع) لأنه كان حنيفاً ثار على مجتمعه في كل الابعاد وليس في بعد واحد فقط .

الثورات الجانبية

اما الثورات التي حدثت في العالم فغالباً ما كانت ثورات جانبية ، أي تمس جانباً واحداً من جوانب المجتمع وتترك الجوانب الأخرى فيه : اما ثورة سياسية أو اخرى ثقافية ، أو ثورة تهدم البنى الاجتماعية القائمة ، وثورة لتصحيح الاوضاع الاقتصادية وهكذا .. فشمولية الثورة الاسلامية هي الفارق اضافة الى فروق أخرى بين الثورة في الاسلام و بين الثورات ذات المنطلقات الوضعية والمحتوى المادي .

ومادامت الثورة هي طلب الاصلاح الشامل ضد الانحراف الذي دبّ في المجتمع او سار نحوه المجتمع فان هناك سؤالاً في هذا الاطار .. عن صمت المجتمع .. فهل ان قبول افراد المجتمع بالطاغوت يعطيه الشرعية ، وهكذا سكوت المجتمع عن الاوضاع الفاسدة السائدة ، هل تسحب من الانسان الثائر مبرر الثورة ؟

بايجاز كلاّ .

ان الثورة لا تبدأ حينما يعم الاستياء كل الجماهير بعد ان تسحقها الفئة المنتفعة ــ بطانة وحاشية ــ كلاّ . انما الثورة تبدأ منذ اللحظة الاولى التي ينحرف فيها المجتمع سواء كان راضياً أو ساخطاً .

فالنبي حين يأتي بالرسالة الجديدة لا يتوقع ان يستقبل المجتمع منه ذلك بسهولة مادامو ضلالاً ، والقرآن يذكرنا دائماً عبر قصص الانبياء ، ان الاقوام التي كثيراً ما عانت من ظروف القهر والاستغلال والارهاب ، كانوا بدورهم يحاربون الانبياء (عليهم السلام) الذين لم يكونوا ليهنوا أو يتوانوا في تبليغ رسالات الله ، من هنا لابد من الاصرار والمتابعة وتوعية المجتمع وكشف زيف الانظمة الطاغوتية حتى يعود العباد الى عبادة الله

شاءوا أم أبوا وهذا معنى قوله تعالى :

« فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة » . (٣٦/النحل)

فمن استمع الى القول واتبع احسنه لصفاء سريرته ، وحسن طويّته ومسارعته للخيرات فانه يسعى نحو تحويل الصمت الى ثورة ، بعد ان تلمس منطق الحق في رسالة النبي وأولئك من هدى الله ، اما من تنكر للحق بسبب الاهواء المتكاثفة وتركز العبودية الثقافية في نفسه ، فأولئك لن يعطوا الطاغوت حق الاستمرار ولن يسلبوا من الرسالي مبرر الثورة .

وانطلاقاً من هذه الحقيقة فاننا لا نعتبر المجتمعات الامريكية والاوروبية أو أي مجتمع آخر قبولا بهذا النظام أو ذلك ، لان الطاغوت قد سلب الجماهير ارادتهم وشل بثقافته قدراتهم وتفكيرهم ، وعليه فهل نسكت عنهم ، ان هذه المجتمعات هي ممن عناهم ربنا سبحانه وتعالى حينما قال :

« ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » . (٣٦/النحل)

واذا كان هنالك طاغوت وتحته مجتمع راض بحكمه ــ أي مجتمع طاغوتي ــ فانه لا يعني ان هذا المجتمع بعيد عن غضب الله وعذابه ، انما هو مكذب بآيات الله ، والله سبحانه وتعالى معاقبه اشد العقاب .

ان عمق النظرية الثورية في الاسلام قد جعل المفارقات الموجودة بينها و بين النظريات السائدة في العالم كبيرة جداً .

وفي رأيي ان تلك النظريات قد ساهمت مساهمة كبرى في استغلال الجماهير وتضليلهم ، لانها قد أعطتهم سلاحاً فاسداً حسبوه صالحاً وراحوا يحاربون به ، فاذا بهم يسقطون ضحية الاستغلال مرة أخرى .

ومن هنا حق لنا ان نقول ان الماركسية او الوجودية او الليبرالية او القومية ليست بنظريات ثورية ، وانما هي تشبه الثورية فيخدع بها الناس ، وتخدع بها تلك الفطرة

الصافية للبشرية التي تسعى من أجل الحق والحرية والكرامة ، وبذلك تضحى هذه النظريات من حيث يدري اصحابها أو لا يدرون سبباً لتكريس الفساد والطغيان بدل الحرية والعدالة والامان .

استراتيجية حكيمة

لا ريب ان المسلم فور ما يلتزم ببرامج السماء فانه سوف يتقدم على الانسان المتحضر (انسان الحضارة الغربية) بخطوات واسعة ، لان الانسان المتحضر غربياً لا يمتلك الروح والارادة والبرامج والبصيرة التي يمتلكها المسلم الرسالي .

اذ ان الانسان المتحضر ــ ان جاز لنا أن نسميه كذلك ــ لا يملك درجة من الفضل بقدر ما يملكه المسلم الرسالي ، وتلك الدرجة هي العلم .

وكما يعلو الحق على الباطل فان العلم يعلو على الجهل اذ ان العلم يهدي الى الحق ، بينما الجهل يدعو الانسان الى الباطل ، ولهذا جاء قول الباري عزوجل :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (١١ ــ المجادلة)

فالانسان الذي يعلم أفضل ممن لا يعلم ، كما ان الانسان المؤمن افضل من غيره ، وكما ان المؤمن يفوق غير المؤمن بدرجة ، والعالم يفوق غير العالم بدرجة .. فانه آنئذ [يتعادل المؤمن غير العالم مع العالم غير المؤمن (وطبعاً ذلك في درجة الفضل في الدنيا)] فلماذا يبقى العالم غير المؤمن مسيطراً في الارض ؟

اننا نريد للانسان الرسالي ان ينتصر على غيره ، وان يمسك بيده أزمة الأمور لينقذ الحياة من براثن الجاهلية ، ولا يمكن له ان يكون كذلك الا اذا سيطر على قوة ذاته ، وتحكم في نفسه ، وشارك الآخرين في قواهم والتي منها العلم ، فشارك العالم في علمه ، وتميز عن الآخرين بايمانه .

ومن هنا كان لابد للرسالي أن يتسلح بالعلم ، وحين اقول العلم فاني لا أقصد العلم بالبصيرة القرآنية و بالفقه فقط ، انما اقصد ايضاً من العلم ذلك الجزء الآخر وهو العلم بالدنيا و بوسائل التقدم .

ان الهدف البعيد للثورة الاسلامية ليس فقط اللحاق بركب الحضارة الحديثة ، بل وسبق هذا الركب عن طريق العلم والايمان ، الا ان هذا الهدف لن يتحقق الا بوسيلة من جنسه ، كما يقتضيه القانون المعروف ، فلا يمكن للنار ان تصنع الثلج ، ولا يمكن للثلج ان ينتج الحرارة ، لأن كل علّة تتشابه مع معلولها ، وكل معلول يتشابه مع علّته ــ حسب تعبير الفلاسفة ــ .

لذا لا يمكن للانسان ان يحصل على العلم ، عن طريق الجهل ، كما لا يمكن له ان يصل الى الحق عن طريق الباطل ، بل العلم يولّد العلم ، والحق يؤدي و يهدي الى الحق ، وبناءً على ذلك لا يمكن لثورة اسلامية ان تلحق بركب العالم الحضاري الا اذا بنيت منذ انطلاقها على العلم اساساً ، وكان من اهداف أبنائها منذ ان صمموا على التحرك والثورة ، الحصول على علم الدين اضافة الى علم الدنيا .

فعلى سبيل المثال لا يمكن لأي عسكري أن يطبق برنامجاً حضاريّاً متقدماً بمجرد القيام بانقلاب عسكري .

ان احد الأسباب الرئيسية لفشل الأنظمة الحاكمة في بلادنا (الاسلامية) في اللحاق بركب الحضارة الحديثة هو ان المهيمن على البلاد من القادة هم بذاتهم (جهلة) لا يمتلكون العلم « وفاقد الشيء لا يعطيه » فكيف اذن يستطيعون ان يرفعوا شأن البلاد في مجال العلم وهم في انفسهم جهلة !

ان الثورة الاسلامية ومنذ البدء لا تنطلق الا من منطلق الايمان والعلم معاً ، لذلك فان كل ثائر ينتمي لهذه الثورة مدعو للوصول الى درجات رفيعة من العلم ، العلم بالسياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، و بالتكنولوجيا الحديثة ، و بالرياضيات ، والفيزياء ، والكيمياء ، وكافة العلوم الاخرى .

لماذا لا تستفيد الحركات الاسلامية حتى اليوم من وسائل العلم الحديثة ؟ لماذا لا تستفيد من الاشرطة والفيديو والكمبيوتر ، ووسائل الاختزال ومن المناهج العلمية

الحديثة ؟

ان هذه الوسائل ليست حكراً لأحد ، فالعلم لا أب له ولا أم ، ولا حدود ، ولا زمن ، ولا مكان ، لانه فوق الحدود والقيود .

اذ لا يمكن لعالم الذرة الامريكي أو الروسي ان يدّعي أنه قد وصل هذا المستوى بمفرده ، أو لأنه كان امريكيّاً أو روسيّاً ، بل الصحيح انه بلغ هذا المستوى عبر تكامل العقل البشري منذ الآف السنين ، فلقد تكاملت النظريات الفلسفية اليونانية ، والحساب الهندي ، والمنطق الصيني ، والنظريات العربية وتفاعلت حتى وصلت أوجها عند هذا العالم ، مما يؤكد أن العلم لا يملك جنسية روسية أو امريكية ، ولذلك يحق لنا ان نتساءل : لماذا نأبى ــ كحركات اسلامية ــ الحصول على العلم والاستفادة من وسائله ؟ ولماذا يستفيد أعداؤنا من الاجهزة العلمية دون ان نستفيد نحن منها ؟

لماذا نعتقد أننا لا نستطيع أن نبعث بشبابنا ليتعلموا الكمبيوتر الا بعد انتصار ثورتنا ؟ اننا اذا اعتقدنا ذلك فلن يأتي النصر لأنه لا ينبغي له ان يكون على هذا الاساس .

لقد اشرنا فيما مضى الى أهمية تركيز التجارب الموجودة لدى الحركات الاسلامية ، ومحاولة نقلها من جيل الى جيل ، ليبدأ كل جيل من حيث انتهى الجيل الماضي ، لا من الصفر ، اي من حيث ابتدأ ، ونحن ان اردنا التقدم في مجال تدو ير العلم وتجميعه فلا يمكننا ان نستغني عن المناهج الحديثة تطبيقاً للحديث القائل :

« أعلم الناس من جمع علم الناس الى علمه » .

ان نسبة المنطق الحديث ــ مثلاً ــ الى المنطق القديم ، كنسبة المصباح الكهربائي الى ذلك الفانوس البدائي الذي كان يستعمله آباؤنا ــ رحمهم الله ــ ، وصحيح ان هذا تطو ير لذلك ، فالمصباح الكهربائي تكامل في مسيرته من الفانوس ، بل من الشمعة ، ولكن شتان بين هذا وذاك ، فلا يمكننا أن نجمد على المنطق الأ رسطي ، حتى ولو أضيفت اليه اضافات الفارابي ، وابن سينا ، وصدر المتألهين ، كما لا يمكننا أن نستغني عن المنهج الاجتماعي ، والمنهج الاداري ، والمنهج العلمي ، في المسائل النفسية فيما نحن نتقدم في مجال الثورة الاسلامية .

لذا لابد لنا من استخدام وسائل العلم الحديثة ، فاذا أردنا ــ مثلاً ــ تجميع المعلومات والمحافظة عليها ، فلا غنى لنا عن المبتكرات والصناعات الدقيقة ، « كالميكروفيلم » و « الكمبيوتر » لجمع وطرح وتجميع وتفريق المعلومات المختلفة . وكذلك في مجال العمل ، الى متى تبقى الحركات الاسلامية مكتفية بشعار العلم دون ان يتحول الى واقع عملي في عمق البرامج اليومية ، فالحركة الاسلامية اليوم لا تستطيع أن تركب الحمار للانتقال من بلد الى بلد ، أو تكتفي ببعث رسالة دون ان تستفيد من الهاتف .

ان العالم يسير بسرعة نحو عصر الالكترونيات .. واليوم يدخل الالكترون في كافة مجالات حياتنا . انظروا الآن الى الساعات التي في أيديكم تجدون كثيراً منها الكترونية .. أليس كذلك ؟ مادام الامر كذلك فلماذا لا يدخل الالكترون معكم ؟

لماذا لا تضمون الالكترون عضواً في حركتكم الاسلامية ؟

سجّلوا اسمه ، انه ينفع الاشرار فما المانع أن ينفع الابرار ؟

لماذا لا نكتب تجاربنا ، مع أننا بحمد الله قد تجاوزنا مرحلة الأميّة ؟! لماذا لا نحول التجربة الى قاعدة في حياتنا .

ان توجيهات الاسلام تؤكد علينا بضرورة محاسبة الذات ، أفلا يدل ذلك على ضرورة اختزال التجارب ، وتطويرها ، و بلورتها ، وتحويلها الى قاعدة سلوكية ؟

ان الامام الصادق (ع) يقول :

« ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم » .

و يقول في حديث آخر :

« قيّدوا العلم بالكتابة » .

أولا يدل هذان الحديثان ــ اذا جمعا معاً ــ على ضرورة ان يجلس الرسالي منا نهاية يومه ، و يكتب تقريراً عما فعله في ذلك اليوم ، ثم يجمع في نهاية الاسبوع ، أو ال تقاريره ، فينظر فيها ، ثم يستفيد من تجاربه ، ناجحة كانت أم فاشلة ؟

على الرسالي ان يحول ذلك الى قاعدة يعطيها بعد ذلك الى اخوته واخواته والذين يعطونه ــ بدورهم ــ قواعدهم التي استخلصوها ، لأنه لابد لنا من بناء حياتنا على العلم أساساً منذ اللحظة الاولى .

هذا هو الاسلام ، يأمرنا ولا نملك الا السمع والطاعة . وجاء في الحديث : ان الامام علي بن ابي طالب (ع) يقول لكميل :

« واعلم بأنه لابد لك قبل كل جولة من فكرة » .

أو كما يقول الحديث الشريف عن المؤمن :

« طوبى لمن كان سكوته فكرة ونظره عبرة » .

بل والقرآن يؤكد :

« ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار» . (١٩١/آل عمران)

« واعتبروا يا أولي الأبصار» (١١/الانعام)

« أفلا يتفكرون »

« أفلا يعقلون »

« أفلا يتدبرون »

فماذا تعني هذه الآيات ؟

اذا كان المؤمن يمر منذ الصباح الى الليل بتجارب وتجارب ثم لا يسجلها ، واذا سجلها لا يتذكرها ، واذا تذكرها لا يعطيها للآخرين و يأخذ منهم أمثالها ، فهل نفذ تعاليم الاسلام ؟

لقد أمرنا الاسلام بالجلوس في مجالس العلم ، وقال بأن الملائكة تضع اجنحتها تحت أقدام طالب العلم رضاً به ، تتمسح به بأجنحتها حين صلاته تبركاً به ، فلم امرنا بالجلوس والتذاكر ؟

أو ليست شؤون الامة الاسلامية مما تهم المؤمن ؟ أو ليس الاهتمام بطرق العمل ، واستراتيجية التحرك ، وتكتيك العمل ، مما يهم المسلم ؟

اذا كان كذلك فلم لا نتفكر ؟ فهذا هو معنى تدوير المعلومات وناهيك عن تطوير التجربة العلمية الذاتية ، فان بامكان الحركة الاسلامية ان تبدأ بتوجيه أبنائها الى العلم والابداع والابتكار ، فاذا بالحركة الاسلامية تصبح رائدة لحضارة جديدة ، افضل مما لدى امريكا ، ومما عند أوروبا ومما في روسيا ، لان العالم المحيط بنا بعيد ، واسع الآفاق ، وما اكتشف منه لا يشكل سوى نقطة من بحر اذا نسبناه الى ما لم يكتشف منه ، وكما كان للأوروبيين تجربتهم في الحضارة ، وللأمريكيين تجربتهم ، وللروس تجربتهم ، ولليابانيين تجربتهم ، نحن بدورنا ايضاً يمكننا ان نقتحم مجالاً جديداً ، وتكون لنا تجربتنا الخاصة بنا ، إن تحركنا في هذا المجال وتحركت أدمغتنا .

وكلما استفدنا من العلم ، بالاضافة الى ما نملك والحمد لله من قوة الايمان ، كلما أعطينا زخماً جديداً لهذه الحركة باتجاه التقدم السريع .

الأستقلال استراتيجية الجهاد :

لا يشكل الاستقلال هدفاً من اهداف الثورة الاسلامية فقط ، وانما هو وسيلة أيضاً في بلوغ الهدف أو بكلمات اخرى .. لا تصبو الحركة الاسلامية الى تحقيق الاستقلال بعد الانتصار فقط ، وانما تحرص على تحقيقه حتى في مرحلة النضال .

عندما نرفع شعار الاستقلال لبلادنا عن الشرق والغرب نبدأ بتطبيق هذا الاستقلال عملياً في واقعنا ، ومن هنا فان السياسة الحكيمة لكل حركة اسلامية قائمة على اساس « لا شرقية ولا غربية » اي رفض كل ألوان الجاهلية في الارض ، وهذا لن يتحقق الا بالاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس ، وانك ان احتجت الى احد فانك ستصبح تابعاً له ، كما يقول الحديث الشريف :

« احتج لمن شئت تكن أسيره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحسن الى من شئت تكن اميره » .

اذا أردت أن تقول « لا شرقية ولا غربية » لابد ان تدفع سلفاً ثمن هذا الشعار، وليس من الصحيح ان تقول « لا شرقية ولا غربية » ثم تمد يدك اليمنى للغرب، و يدك اليسرى للشرق، فانها ليست سياسة ولا استقلال .. وكيف تستطيع ان تقول « لا شرقية ولا غربية » وانت تطلب المساعدات من الشرق والغرب، وتعطي مقابل ذلك كل ما عندك من مال ودين وشرف ؟

اذا أردنا أن نستقل عن الشرق والغرب ــ ونحن نعيش في عالم يحيط بنا احاطة البحر بالجزيرة، بينما تتلاشى المسافات بين حدوده، وتندمج أبعاده اكثر فأكثر، كلما تقدمت وسائل الاتصال بين تخومه ــ، فهل نستطيع ذلك ونحن على ما نحن عليه من تجزئة .

ان تعيش جزيرة صغيرة وسط هذه التيارات العالمية دون ان تخضع لها فذلك محال، ولا يمكن لبلد صغير كبعض البلدان الاسلامية الصغيرة هنا وهناك ان تعيش بمفردها في خضم التيارات العالمية، ولا يمكننا ان نرفع علماً لبلد اسلامي لا يتجاوز تعداد سكانه ثلاثين ألفاً في مقابل علم الولايات المتحدة الامريكية التي يبلغ عدد سكانها اكثر من مائتين وستين مليوناً، أو مقابل علم الهند أو الصين الذي يقارب تعداد السكان في كل واحد منهما حوالي المليار. ثم يسأل الصيني كم عددكم فتجيب : ثلاثين ألفاً، فيسألك مندهشاً وفي أي فندق تعيشون ؟ لا يمكن ذلك .. !

بلى نستطيع عن طريق تعبئة قوة الف مليون انسان مسلم ان نقول لذلك الصيني : نحن لا نعيش في فنادق، وانما في ارض وارضنا واسعة جداً تمتد من طنجة الى جاكارتا .. نستطيع ان نقول ذلك بملء أفواهنا و بكل قوّة .

الوحدة استراتيجية الحركة الاسلامية :

وحينما تريد الحركة الاسلامية ان تستقل عن التيارات الشرقية والغربية فلابد ان تتلاحم بذات النسبة مع سائر الحركات الاسلامية، لابد ان تكون الحركة الاسلامية اعصاب الامة المترابطة مع بعضها لأنها هي التي توحد أبناء الامة، فان كان الطبيب

مريضاً فكيف يمكن ان يدّعي مداواة الناس وهو عليل .. اذا كانت الحركات الاسلامية ذات الرسالة الواحدة والتي تهدف الى تحقيق شعار الامة الاسلامية الواحدة ، هي التي تسقط في شرك التجزئة ، وتعترف بشرعية الحدود السياسية التي زرعها الأستعمار بين أقاليمها ، و بشرعية القوميات ، و بشرعية الجنسيات ، فكيف تستطيع الادعاء بأنها ستكوّن الامة الواحدة ؟

وكيف تستطيع الحركة الاسلامية هذه ان تدّعي قدرتها على بناء بلد اسلامي حرّ واحد ، اذا كانت في الطريق الى ذلك تقع في شرك الطائفية ، والطائفية يغذيها الاستعمار في بلادنا ..

ان العالم اليوم يرفض حروب الطائفية ، والانسان المسلم لا يريد ان يرجع الى الوراء ، الى العصور التي كان فيها يتقاتل لمجرد ان احدهم يقول بخلق القرآن والآخر يقول بتنزيله ، أو من أجل اختلاف في طريقة وضوئهم ، أو زيادة ، أو نقص في مسح آذانهم ..

فالحركة الاسلامية التي تريد ان تبني مجتمعاً اسلامياً عصريّاً ، لابد وان تتجاوز الطائفية ، ولابد من طرح بديل عن هذه الخلافات والفروقات جانباً ، لان تلاحم الحركة الاسلامية سبيل لانتصارها ، واني لا أقول مجرد عدم الخلاف ، فمجرد عدم الخلاف يؤدي بنا الى الخلاف ، وانما اذا أردنا الآ نختلف فلابد ان نتلاحم ، ونضع الاستراتيجيات الواحدة . فبدون التحالفات والتفاعلات الاستراتيجية ، فانه من السهل على الاستعمار ان يفرق بيننا .

اننا لا ندعو الى الوحدة لمجرد الشعار ، وانما ندعو اليها لعلمنا أن وحدة الطاقات سوف تتسبب في تكاملية الطاقات ، فالبعض يملك القوّة العددية ، والبعض الآخر يملك القيادات وكثرة الكوادر ، والطرف الثالث يملك المال ، والرابع يملك القدرة على التحرك ، وآخر يملك طاقة اخرى ، ويمكن ان تتفاعل هذه الطاقات وتتكامل .

وكلنا نذكر قصة الأعمى الذي حمل رجلا أعرج على كتفيه وقال له : أنا أسير بك وانت تنظر لي ، والله سبحانه وتعالى قد خلق الكون ، هكذا .. حيث فضل بعض الناس على بعض ، ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً .

في بعض البلاد حيث لا تنبع قطرة واحدة من البترول تتسع الرقعة الخضراء الى ماشاء الله وتغدق الخيرات الزراعية ، وفي بلد آخر حيث تتفجر الارض ينابيع بالذهب الأسود ، الا انها جرداء وزراعتها عدم ، فالله سبحانه وتعالى هكذا خلق الخلق وأراد لهم ان يحتاج الواحد للآخر .

رجل يرفع يديه عند الامام الصادق (ع) و يدعو :

« اللهم لا تحوجني الى خلقك أبداً » .

فيلتفت الامام الصادق (ع) اليه و يقول :

« هذا لا يكون فلابد للناس من بعضهم ولكن قل : اللهم لا تحوجني الى لئام خلقك » .

فالاحتياج موجود والكمال لله وحده ، فاذا نحن تفاعلنا مع بعضنا وتعاونا فسوف نستغني عن غيرنا وإلا ــ مع الاختلاف لا سمح الله ــ فسوف نضطر الى التعاون مع اعدائنا ، وهذه سنة الحياة .

لابد من محاولة تطوير التجربة الاسلامية حسب المفاهيم الاسلامية الاصيلة ، بما يتناسب مع الظروف المتطورة ، فالبعض يزعم بأننا سوف نجلس بعد انتصار الحركة الاسلامية ونفسّر القرآن ان شاء الله ونقرأ الحديث ، ونفهم التاريخ ، ولكنني أقول : كلا ..

ان الانسان الذي يحمل في نفسه رواسب متخلفة من نظرات تاريخية رجعية لا يمكنه التحرك في الحياة السياسية . لابد للحركة الاسلامية ان تكتب التاريخ الاسلامي حسب فهمها للاسلام ، لا ان تراجع تاريخ ابن الاثير أو تاريخ الواقدي والمسعودي فقط .

«تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم »(١٣٤/البقرة)

وهذا يستتبع ايضاً ان كل امة لها ما كتبت ايضاً ، والكتابة جزء مما اكتسبته الامة والاجيال السابقة ، واولئك قد كتبوا لأنفسهم ونحن نكتب لأنفسنا حسب حاجاتنا ،

وكل جيل يجب ان يكتب تاريخه . بل ينبغي لكل جيل ان يكتب تفسيراً للقرآن الحكيم لان مثل القرآن مثل الشمس ، كل اشراقة منها يوم جديد ، والانسان يستفيد منها فوائد جديدة . وهكذا القرآن الحكيم ، كل جيل يجب ان يستوعب من آيات القرآن ما يحتاجه هو.

العلم والتقنية

قبل الشروع في الحديث عن علمية الثورة الاسلامية لابد من الاشارة الى عدة نقاط :

اولا

قد يظن البعض أننا حين نطلق كلمة العلم نعني بها معنى يتنافى مع معنى الفلسفة اي بمعنى المذهب العلمي والمذهب العقلاني ، فيحسب القضايا التي تخضع للمعادلات الرياضية « علماً » بينما المسائل التي تخضع للحسابات العقلية ولا دخل للمعادلات الرياضية فيها يسميها بـ « العقل » أو بـ « الفلسفة » كما يُسمي نتائجها « مذهباً » أو « نظرية » .

الا ان هذا التمييز ــ من وجهة النظر الاسلامية ــ خاطىء ، لان الوصول الى الحقيقة أياً كانت الوسيلة التي توصلنا اليها او عبرها هو « علم » ، فسواء كان الوصول الى الحقيقة عن طريق الوحي أو القياس العقلي أو المعادلات الرياضية فانه « علم » ، لان التعريف البسيط للعلم هو احاطة الانسان بالحقائق ، أو انكشاف الحقائق له .

ثانياً

قد يعتقد البعض أننا حين نتحدث عن العلم نقصد به ما يتنافى مع « الغيب » باعتبار ان المسائل التي لا يرقى اليها المنهج المادي في العلم ، ولا تخضع للتشريح أو

التحليل تحت المجهر أو في المختبرات لا تسمى علماً ، وانما يطلق عليها شيء آخر « دين » مثلاً ، فان هذا التمييز خطأ هو الآخر ، لان الايمان هو جزء من العلم ، فمعرفة الله هي اساس الايمان ، والايمان الحق هو نتيجة المعرفة ، والمعرفة ليست الا علماً .

وذات الوسيلة التي تهدينا الى معرفة الشمس والقمر ومعرفة دوران الارض حول الشمس وحول نفسها ، هي ذات الوسيلة التي تهدينا الى ان للكون إلهاً ، أو لسنا نعرف الحقائق بظواهرها وآياتها ، اذن نعرف ربنا سبحانه وتعالى بالآيات التي تهدينا اليه ، وبالاسماء التي توصلنا الى رحاب قدسه ، فالايمان بالغيب ، والايمان بالماضي وبالمستقبل ، والايمان بالرسالات السماوية هو الآخر نتيجة للعلم ، وبهذا المفهوم سوف نستخدم كلمة « العلم » .

ثالثاً

هناك نظريات تدّعي « العلمية » قد تصدق احياناً اذا ما قورنت بنظريات فوضوية لا علمية ، ولكنها تصبح جاهلية اذا ما قورنت بالاسلام . ومن بين هذه النظريات « النظرية الماركسية » ، فالماركسية تعتمد على التحليل المادي للتاريخ ، قد تصدق في زعمها اذا قورنت بالنظريات الطوباوية التي كانت سائدة حين نشأت الماركسية ، لان ماركس كما يقول بعض المؤرخين : قد فتح باب التحليل فيما يتعلق بصنع المستقبل حينما قال : « كما يخضع مستقبل الانسان ـ الفرد ـ للتخطيط والسعي ، فكذلك يخضع مستقبل الانسان ـ المجتمع ـ للتخطيط والسعي والتحرك » ..

وقد ضرب « الجنرال بوفر » في بعض كتبه الاستراتيجية ، مثلا لصحة هذه الحقيقة بهتلر صاحب كتاب « كفاحي » الذي رسم فيه مستقبلا لأمته كما يراه هو وبالسعي راح يطبق نظرياته ومبادءه ، بل وحتى التكتيكات التي تنبأ بها ، اتبعها .

اننا نرى ان ذلك لا يدل على صحة ما كتبه وتنبأ به في كتابه ، وانما يدل ذلك على ان العمل والسعي والتحرك نحو صنع المستقبل ، هو حق لا غبار عليه في هذا العالم .

« وان ليس للانسان الا ما سعى » (٣٩ـ النجم)

في ذلك الجوّ المشحون بالنظريات الطوباويّة التي كانت سائدة في اوربا في عصر ماركس ، جاء هذا الرجل ليبيّن ان المستقبل ، انما يصنعه الانسان .

وقد لا تصح نظريته في تحليلها الطبقي للصراع وتفسيرها المادي للتاريخ ، ولكني أرى أنها صحيحة بنسبة ضئيلة . ولا يكفي للنظرية ــ لكي تكون صحيحة ــ ان تكون صحيحة بنسبة ضئيلة ، وانما اذا كانت واقعية في جميع أبعادها .. وعلى أي حال تعتبر أهمية نظرية ماركس في عالم الثورة ، في كونها قد اعطت شرعية للعمل ، ولسعي الفرد والمجتمع لصنع مستقبله ، ــ مما جعل هذه النظرية ــ دون النظريات الاشتراكية الاخرى قادرة على ان تبني دولاً وتقوض أخرى ، فما ذلك بسبب صحتها كلا ، ولكن لصحة جزء منها وهي القاعدة التي تقرر بأن السعي يصنع المستقبل ، أو كما قال غوته « في البدء كان العمل » ونظراً لصحة هذه القاعدة ، استطاعت النظرية أن تفعل ما فعلته في العالم .

من هنا فان الماركسية ــ قياساً لتلك النظريات الطوباوية ــ صارت علمية في بعض جوانبها ، بينما لدى مقارنتها بالنظرية الاسلامية ذات البصيرة الالهية المتكاملة تبدو تلك النظرية جاهلية حتى النخاع ، لانها تنفي مصادر عديدة للعلم .

ان العلم هو العلم سواء حصلت عليه عن طريق المبضع أو المجهر أو العقل أو الوحي أو عن طريق آخر ، فمهما اكتشفت حقيقة أو عرفت شيئاً معرفة حقيقية واضحة فذلك علم ، كما يقول ديكارت الفيلسوف الفرنسي الشهير بان « العلم هو التمييز الواضح امام الانسان بالشهود المباشر بين الانسان و بين الحق » ، اي حينما تتجلى لك حقيقة ما بصورة واضحة فلا تتساءل آنئذ عن المصدر الذي دعاك للاطمئنان والاعتراف بتلك الحقيقة ، لانك ان آمنت بشيء فانك لا تستطيع انت تنكره أو ترفضه لانك وصلت اليه .

ومن أين عرفنا بان الصدق حسن ، هل جربناه ؟

وهل يستطيع انسان ان يقنعك قناعة لاشيّة فيها ان الاحسان الى الآخرين عمل سيء ، وان الاساءة اليهم عمل حسن ؟

أبداً اذ ان الاقرار بهذه الحقيقة هو علم وهو ارفع درجة من العلم التجريبي أو الحسّي ، انه أسمى من العلم بلون شعاع الشمس ، لان الحواس قد تخطىء سواء العين أو

الاذن أو غيرهما ، ولكن العقل لا يخطىء ، وهذه الحقيقة انما عرفناها بالعقل والواقع .

ان لهذا البحث مقامه الخاص في الفلسفة ، ولكن أشرنا اليه لنقول ان الماركسية التي تنفي ان يكون الوحي مصدراً آخر للعلم هي نظرية جهل وليست بنظرية علم ، انها نظرية جاهلية ، اما الاسلام فانه يقول ان كل علم تحصل عليه بالتجربة فهو صحيح وذلك كما يقول الحديث :

« في التجارب علم مستحدث »

كما ان العقل هو الآخر منبع اصيل لكشف الحقائق وتحصيل العلم ، فالحديث يقول :

« الفكر مرآة صافية »(١)

اما العلم الذي يحصل عليه الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام عن طريق الوحي فانه علم أعمق بكثير من علم المجرب والمتفكر ، فالعلم الذي يصل بصاحبه الى ذلك المستوى الرفيع حيث يقول الامام علي (ع) :

« والله لو كشف لي الغطاء ما أزددت يقيناً »(٢)

لحقيق به ان يوصلنا الى ارقى درجات اليقين ، ونحن هنا لا نستطيع ان نوفي هذه الكلمة حقّها من التفسير في هذه العجالة ، لان الامام علي (ع) لا يتحدث عن العلم الذي يبصره بعينه كلون الحائط حيث تخدع العين بالنظر ولا يتكلم عن نظرية كالتي قال بها أرخميدس حول « الطفو » و « الوزن » ، وانما يقصد بكلماته تلك معرفته بالله رب العالمين ــ الذي عجزت عن ادراك كنه صفته العقول ــ .

وما علم العرفان بالله ببسيط حتى يدّعيه انسان كعلي بن أبي طالب (ع) الذي لم

---

(١) نهج البلاغة ص ٤٦٩ خطبة رقم ٥

(٢) غرر الحكم ص ٦٠٣

تسجل عليه كذبة في حياته قط ، ثم يقول و بهذه القاطعية والاطمئنان :
« والله لو كشف لي الغطاء ما أزددت يقيناً » .

فهذا هو العلم الذي يحصل عليه الانسان عن طريق ـ الوحي ـ والالهام والا تصال الروحي بينه و بين ربه سبحانه ، كما وعن طريق التقوى والزهد .
من هنا فان الماركسية التي تنفي هذه المصادر الصريحة للعلم هي نظرية جاهلية . يقول احد الكتاب الغربيين حول علاقة العلم بالايمان في كتابه « لمن ترهقهم الحياة » : ان الجاهل والعاجز هو الذي لايستطيع أن يؤمن ، لان الايمان مستوى رفيع .
ومتى وصل الانسان الى قمة انسانيته آمن ، وان الجاهل هو الذي لا يؤمن ، انه تماماً كالشخص الذي يقول أنا لا اعترف بوجود الدنيا ولا بالشمس ولا بالقمر ، فهو انسان ذو عقل محدود والمشكلة فيه هو ، لا في الحقيقة التي لا يعترف بها .

علمية الثورة الاسلامية

حينما نقول الثورة الاسلامية ، ثورة علمية لا نعني انها تنفي المباديء ، أو أنها تستهين بقيمة الوحي والشرع وقوانينهما ، كما لا نعني انها تنفي قيمة التجربة والعلوم التي تخضع للحسابات الرياضية ، وانما نعني انها تعتمد المباديء العلمية التي يراها الاسلام ، ولنعفي الثورات التي تعتبر نفسها اسلامية ثم لا تتبنى المباديء العلمية للاسلام .. ولتوضيح الفكرة ، لا بد من توضيح عدة نقاط :

الاولى

انني حينما اسميها الثورات «الاسلامية» فان ذلك من باب التغليب لانها في الاطار الاسلامي ؟ وذلك لان الثورة التي لا تعتمد العلم كقيمة أساسية فهي ليست علمية ، ولا يهم العاملون فيها ان يصلوا الى نتائج ، وانما همهم العمل ، وكأن العمل لا يرتبط بالنتائج .
ينبغي ان نعمل ولا ندع فجوة بين العمل و بين النتيجة ، أي لا بد أن نخطط لكافة

المراحل التي نجتازها حتى النصر.

اننا نرى الكثير من العاملين يعيشون فجوة في عقولهم، أنهم يعملون.. والهدف واضح أمامهم، ولكن بين العمل اليومي الذي يقومون به، والهدف الاسمى الذي يرمون الوصول اليه مراحل طويلة لا يعرفون كيف يتجاوزونها، ولم يخططوا، ولم يفكروا، ولم يسعوا من أجل تجاوزها، ان هذا ليس تحركاً علمياً.. وليس بثورة علمية ولا يتفق مع النظرية العلمية في الثورة الاسلامية التي تعتقد ان كافة المراحل ينبغي ان تكون مغطاة بالاستراتيجية، والتخطيط، والمعرفة.

الثانية

ان الثورة الاسلامية الحقة لا تعتمد «الوحي» فقط كمصدر لصنع المستقبل، فالوحي طريق واحد فقط للمعرفة وهو موجه بشكل رئيسي لاثارة القيم العقلية الموجودة لدى الانسان، وفي نفس الوقت يرسم الاستراتيجية العامة والخطوط العريضة لتحرك الانسان، الا ان ذلك لا يعني ان نقتصر على القرآن في العلم فقط، بل القرآن نفسه يحثنا على طلب العلم في حوالي ثلاثمائة موضع بمختلف العبارات التي تدل على ذلك كالعلم، والتفكر، والسمع، والبصر، والسير في الارض، والتذكرة وما أشبه، فالقرآن منهج للمعرفة وليس معرفة كاملة للانسان، وانما جزء من معرفته، ودعوة الى تكميل الجزء الثاني عن طريق السعي والتجربة والتفكر وهكذا، وكما القرآن كذلك النصوص الدينية، والحديث الشريف يقول:

«اطلبوا العلم ولو في الصين»(٣)

ماذا كان يقصد؟ هل يقصد الذهاب الى الصين لتعلم تفسير القرآن؟

أبداً، وانما العلوم التي نحتاجها في كل شئون الحياة.. من هنا فان الثورة التي لا تأبه بمكتسبات الحضارة الحديثة وتنغلق ازاء التقدم العلمي والتكنولوجي في العالم هي ثورة

---

(٣) بحار الانوار ج ١ ص ١٨٠

لايمكن تسميتها بالعلمية .

الثالثة

الثورة الاسلامية هي التي تعتمد العلم وتعمل به وتسير وفقه ، فالقرآن الحكيم يقول :

« ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا »

(٣٦ / الاسراء)

فالآية صريحة بأن لا يخطوا الانسان خطوة دون علم (لا تقف) أي لا تتحرك وراء شيء بلا علم ، و يعبر الامام علي (ع) عن هذه الفكرة في وصيته لأحد اصحابه هو (كميل) قائلاً :

« واعلم انه لا بد لك قبل كل جولة من فكرة »(٤)

فقبل كل حركة على المؤمن ان يرسم خطة متكاملة و يدرس القضية من جميع جوانبها ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى عليك ان تتبين المعلومات التي تسمعها جيداً كي لا تستقبل معلومات مغلوطة أو غير صحيحة ، و بالتالي كل ما تسمع وتطالع وتفكر يجب ان يكون علمياً ، كما ان القرآن في هذه الآية الكريمة يوجهنا الى اتباع الاساليب العلمية في كل تحركاتنا خارجياً **« ولا تقف ما ليس لك به علم »** وداخلياً **« ان السمع والبصر والفؤاد »** يعني من جميع النواحي علينا ان لا نتخلى عن العلم لحظة واحدة ، وهذا يعني ان الثورة التي ترفع العلم شعاراً ، ولكن لا تتقيّد به في واقعها الحركي والعلمي فانها تفقد شرطاً اساسياً من شروط النجاح والانتصار ، فالتغيير الخارجي منوط بالتغيير الداخلي .

« ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم »

(١١ / الرعد)

---

(٤) تحف العقول ص١١٩

الاستراتيجية العلمية

بما أن الثورة الاسلامية ثورة علمية ، لذا ينبغي ان تكون واضحة المعالم محددة الخطى ، ثابتة الاستراتيجية ، عبر مختلف المراحل ، الا أننا نرى ان الثورة الاسلامية في العالم اليوم تتمتع بوضوح كاف في الاهداف ، اذ ليست هنالك ثورة في العالم واضحة الاهداف كالثورة الاسلامية ، ومن ناحية التكتيك والاهداف هنالك فجوة كبرى حيث تفقد الثورة الاسلامية وضوح الرؤية في الاستراتيجية فقداناً يكاد يكون تاماً .

ولدى المناقشة مع بعض القادة الاسلاميين حول الاستراتيجية فانهم يتحدثون عن التكتيك أو الاهداف ، مما يدل على انهم يعوضون عجزهم الاستراتيجي بالحديث المفصل عن الاهداف الواضحة ، أو عن التكتيكات المعروفة . فطباعة الكتب مثلاً : كتكتيك ، وان سئل احدهم عن استراتجية في ذلك أجاب بأنه يطبع كتباً في الاقتصاد والاجتماع والسياسة جاهلاً بأن هذا تكتيك وليس استراتيجية ، ومرة اخرى يجيب بأنه يطبع كتباً صغيرة وكبيرة بأحجام مختلفة ولغات شتى ، ولا يدري ان هذا تكتيك وليس استراتيجية ، ولو سئل ايضاً عن الاستراتيجية لأجاب بأنه يعمل من أجل الاسلام ، بينما هذا هدف وليس استراتيجية .

ان بين الهدف والتكتيك فجوة الاستراتيجية التي تلعب دوراً في تأخير انتصار الثورة الاسلامية ، ولا يمكن الاستمرار في هذا الوضع ، واذا كان الكتّاب الاسلاميّون قد اشبعوا ــ أو كادوا ــ المكتبة الاسلامية بمؤلفات الفكر الاسلامي في قضايا الفكر والفلسفة والثقافة والفقه و.. و.. فانهم قليلاً ما كتبوا عن اساليب العمل والتكتيك رغم ان العاملين لا يعوزهم ذلك ، فيما نلاحظ ان الكتابة حول الاستراتيجية في الثورة الاسلامية تكاد تنعدم ، وغني عن القول ان المنتصر في شئون الدنيا هو من يمتلك في تحركه استراتيجية واضحة صادقة سواء كانت اهدافه سليمة أم لا ؟ و يكفي ان نعرف ان الاستعمار لم ينجح في استعبادنا الا أنه يمتلك الاستراتيجية الواضحة فالله سبحانه وتعالى لم يجعل الدنيا للمؤمنين فحسب ، وانما جعلها للعاملين فقال تعالى :

« كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك »

(٢٠ / الاسراء)

لان الدنيا دار ابتلاء لذلك حينما سأل ابراهيم الخليل ربّ العالمين ان يرحم المؤمنين فقط و يرزقهم الثمرات وحدهم ، قال سبحانه وتعالى :

« قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار »

(١٢٦ / البقرة)

فالدنيا دار الجميع ، ولهذه الدنيا قوانينها وأسبابها ، ومن اسباب الدنيا ان من يمتلك وضوح الاستراتيجية فانه ينجح ، وهذا ما يفسر مثلاً نجاح مجرم كهتلر الذي كتب استراتيجيته في كتابه « كفاحي » ثم طبقها في الواقع .

الاستراتيجية هي وضوح الهدف مع وضوح الامكانات المتوفرة حالياً ، ومعرفة النتائج التي يمكن الحصول عليها من هذه الامكانات ، ثم معرفة الامكانات الاخرى التي يمكن الحصول عليها بالسعي ، ووضوح المكاسب التي يمكن ان نصل اليها عن طريق تلك الامكانات التي نوفرها بالسعي ، و باختصار ، فان الاستراتيجية هي وضوح حالة الانسان ، كما يعبر عن ذلك الامام الرضا (ع) بقوله :

« المؤمن العارف بأهل زمانه لا تهجم عليه اللوابس »(٥)

فمعرفة الزمان والظروف والامكانات الموجودة ، ثم السعي والاستفادة من كل تلك الامكانات حسب الظروف للوصول الى الاهداف .

والفرق بين الاستراتيجية الثورية ، والاستراتيجية العلمية غير الثورية ، هو ان صاحب الاولى لا يقتصر على الامكانيات القائمة ، بل و يوظف الامكانات التي يمكن ان يفجرها في ذاته .

انه مثلاً يفكر في ارادة الجماهير والمعنويات ، وأثر التشجيع في الصراع ، يقول الله سبحانه :

« يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين »

(٦٥ / الانفال)

---

(٥) تحف العقول ص ٢٦١

هذا عن الثوري ، اما الآخر فانه يفكر كيف يستفيد من الموجود بين يديه و يقسمها على الفترة الزمنية الممنوحة له تماماً ، كمخطط الميزانية الذي يريد ان يقسم عشرة آلاف دينار لبناء بيت بنصفها والنصف الآخر للاستهلاك لمدة عشرة شهور فانه رأساً يجعل خمسة آلاف لبناء البيت وخمسمائة دينار لكل شهر ، هذا طبعاً مع الفرق ما بين ميزانية شخصية و بين الذي يرسم الاستراتيجية التي تخضع لكثير من العوامل الخارجية بينما لا تخضع الميزانية لتلك العوامل .

من هنا فان على الاستراتيجي الثوري ان يحسب حساب الاحتمالات ، ولا يفكر في بعد واحد ، وانما يفترض عدة حالات ويجد لكل حالة حلاً .

الجماهير هدف ووسيلة

ان الثورات التي تندلع الآن في اقطار العالم الاسلامي هي ثورات رسالية إلهية في منطلقاتها وقيمها وأهدافها ، وذات هدف مرحلي هو التحرر من الطغاة ، ومضمون اجتماعي هو اشاعة العدالة والكرامة الانسانية في المجتمعات ، وتطلعات حضارية تقدمية هدفها تجاوز مرحلة التخلف والضعف واللحاق بركب الحضارة ، بل واستباق الأمم المتحضرة في العالم .

هذه المضامين العالمية وهذه الأهداف البعيدة التي تسعى ثورة شعوبنا في الأقطار المختلفة من العالم الاسلامي الوصول اليها ليست بسيطة . و باستقراء خاطف الى التاريخ ولا سيما الحديث منه ، ابتداء من خمسة قرون سابقة والى الآن ، وبمراجعة لمدى عطاء الشعوب في البلاد التي أصبحت الآن قائدة للعالم وستبقى لسائر الأمم ، نلاحظ مدى الحاجة الى العمل والعطاء .

نحن عادة ما ننظر الى الحضارة الحديثة من خلال وجهها المخملي وصورتها النهائية الجميلة .

وننظر الى التقدم في عالم التكنولوجيا ، فاذا بنا ننبهر بالصواريخ العابرة للقارات ، والطائرات الأسرع من الصوت ، والقدرة على اختراق الفضاء ، والوصول الى القمر والمريخ .

وننظر الى القدرة الهائلة في عالم الالكترونيات والعقول الالكترونية الصغيرة في

حجمها والكبيرة في اعمالها المتنوعة ، ننظر الى الشوارع المبلطة نجد في ايران البلد الذي يعتبر نصف متقدم حسب التعابير في كل (١٠٠٠) كم مربع من الأرض يوجد فقط (٤) كيلومترات مبلطة بينما نرى في اليابان ان في كل (١٠٠٠) كلم مربع من الأراضي اليابانية يوجد اكثر من (٢٢٠) كلم معبد من الطرق ، ومن جانب آخر نسمع أو نرى الأنفاق الطويلة في العالم ، والمترو ، والطرق الطويلة السريعة ، وهذا هو الوجه المخملي للحضارة .

اما الشيء المخفي لهذه الحضارة فهو الوجه الآخر المتمثل في الأعمال المكثفة والجهود المركزة والأتعاب المضنية التي تبذلها شعوب تلك المناطق ، والدماء السخية التي اريقت من أجل الوصول الى هذا المستوى المتقدم الذي نراه .

إن الحروب الأهلية التي انفجرت في كثير من انحاء العالم .. كالحرب الأهلية في بريطانيا والتي تسمى «بحرب الوردة» والثورة الفرنسية المعروفة ، والثورة البلشفية في الاتحاد السوفياتي ، وحرب التحرر الوطنية في الولايات المتحدة الامريكية ، هذه الحروب وتلك الثورات قدمت لها شعوبها الكثير من النفوس والجهود .

فالثورات الشعبية في كل هذه البلاد ، والأتعاب المجهدة لرواد الحضارة ، ليست أموراً بسيطة ، بل أنها كانت وراء هذا الوجه غير الكامل الذي نراه للحضارة والتقدم للعالم الغربي ولأجزاء اخرى من الشرق .

اننا نلاحظ الوجه ، وانما نلاحظ الوجه الظاهر منها ، ولكن حينما نريدان نعيد النظر في واقعنا ونغير الواقع الفاسد في بلادنا ونلحق بركب الحضارة ، فعلينا أن ننظر الى الوجه الخشن منها ، ذلك الذي كان يحتاج الى جهود جبارة ، علماً بأن عامل الزمن يلعب دوراً أساسياً وسلبياً في قضية حضارتنا ، لأنه في كل عام نرى العالم المتقدم يسبقنا بأميال وأميال ، ولا يسمح لنا بالتقدم ، إنما يحاول تكريس هذا التخلف لأستغلالنا وابتزازنا وامتصاص جهودنا وثرواتنا .

من حيث المجموع ماذا نرى ؟

نرى وجهاً قاتماً حيث ان الفجوة بين البلاد المتحضرة والمتخلفة أو التي تسمى تأدباً بالبلاد النامية كبيرة جداً وهي في حالة تزايد ، فقبل خمسين سنة لم تكن بهذا القدر

والمسافة التي نراها الآن ، الا ان المسلمين وفي خلال هذه المدة الزمنية الطويلة لم يستطيعوا ــ كذلك البلدان النامية في العالم ــ ان يردموا تلك الفجوة ، وانما زادت اتساعاً أكثر فأكثر .

خلال خمسين سنة الماضية لم نستطع ان نبني بلاداً حرة ومجتمعات رسالية عادلة ، وانما ازداد الارهاب ، واشتدت القبضة الحديدية للحكومات الفاسدة في بلادنا .

الثورة بناء حضاري :

ولكننا الآن وبالتوكل على الله وبالاستقلال عن قيم المادة وحضارتها ، والاعتماد الكلي على الجوانب الروحية والرسالية في حياتنا وبأكتشاف كنوز الثورة الاسلامية ، نحاول ان نعيد الكرة ونردم هذه الفجوة ونبدأ مرحلة البناء ونلحق بالحضارة ، حتى نتمكن من سبقها وتجاوزها .. ونحن نرى اننا قادرون على ذلك .

فإذا كان الغربيون يتحركون بدافع واحد المتمثل في المطامع والاهداف المادية ، فاننا المسلمون سنتحرك بدافعين .. فنحن نريد ان نبني حضارتنا ، ونعمل لدنيانا ، كما نريد العمل لآخرتنا واكتشاف كنوزنا المعنوية . ومن حيث المجموع نحن نرى بأن قدرتنا ، وتطلعاتنا التي ننشد الوصول اليها ، متوازية ، بل ان قدرتنا اكبر وبأستطاعتنا ان نلحق بالحضارة .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن وقد يتوقف امام الانسان هو في كيفية الوصول الى تحقيق الحضارة ، وبماذا ، وبأي قدر من الجهود ؟ .

هنا يجب أن نقف لحظة ونؤكد بأن الثورة الاسلامية ليست بالتمني ..

« أم للإنسان ما تمنى ، فلله الآخرة والأولى » (٢٤/النجم)

الثورة ليست بالأحلام ، والأهداف لا تتحقق بالأماني . والقرآن الحكيم يعبر عن طائفة من اليهود ، من بني اسرائيل بأنهم لا يعرفون من الكتاب إلاّ أماني . فيتخذون الكتاب لمجرد الأحلال ليثيروا بها أحاسيسهم الداخلية وخيالهم وعواطفهم .

ان القرآن ليس بحبات مخدرة .. والثورة ليست شعراً او أناشيد وشعارات وحتى تضحيات باردة . وليست في السجون والمعتقلات والتظاهرات غير المخططة والمنظمة .

بل ان الثورة هي جهود حضارية جبارة وعمل متواصل والخروج من الذات والأنانيات .

فللثورة مفهوم آخر .. وان لم نستطع ان نفهم ذلك المفهوم ، فسوف تكون حالتنا كحالة اليهود و بني اسرائيل حينما اتخذوا كتابهم اماني .

ان لم نكن نفهم حقيقة الثورة فستكون حالتنا كالمسلمين المتدينين الذين يتخذون الدين مجرد أحلام وسنكون كالذين يتخذون آيات القرآن الحكيم مجرد تعاو يذ واقراص مخدرة و وسيلة للنوم .

المطلوب ثورة رسالية جماهيرية :

اذن لنطرح هذا السؤال والذي يجب ان نجيب عليه بعمق ونجد أنفسنا مسؤولين عن الاجابة الصحيحة على هذا السؤال :

والسؤال هو: كم من الجهود تحتاجها الثورة ؟

هل تنتصر هذه الارهاصات الثورية التي نراها هنا وهناك في العالم الاسلامي وهل تصل لأهدافها .

ما هو الطريق والسبيل الى ذلك ؟

للاجابة على هذا السؤال المتفرع يجب أن نبين مقارنة بسيطة بالنسبة الى توازننا ، فنحن الآن نحارب على جبهتين في بلادنا .

وهاتين الجبهتين هما :

الجبهة الاولى : جبهة التخلف .

وان شئت فسمها الرجعية ، والانطوائية ، والانهاك ، وهذه الجبهة يسميها القرآن الحكيم بالجبت ، أي العوامل الداخلية المثبطة للانسان .

في هذه الجبهة نحن نواجه ركاماً عمره (٧٠٠) سنة ، ونحن نريد ان نذوب هذا الركام الجليدي .

الجبهة الثانية : جبهة الطاغوت .

وتشمل الأنظمة الفاسدة ، والثقافات الفاسدة ، والأعلام المضلل والارهاب .

في هذه الجبهة نحن نواجه الحكومات الطاغوتية المتحكمة على رقابنا .

وهذه الحكومات المتسلطة علينا ليست حكومات ديكتاتورية ، فالدكتاتورية قد ولت لتعطي مكانها للفاشية .

والفرق بين الديكتاتورية والفاشية هو ان الدكتاتورية انما هي مجموعة تحكم بلداً بصورة استبداد و بدون استشارة و بدون قيم ، اما الفاشية فهي ان تحكم مجموعة بلداً ما وتحول البلاد وشعبها الى مجموعة خدم يخدمون النظام .

ومثل ذلك النظام النازي . فالنظام النازي لم يكن نظاماً ديكتاتورياً ، وأنما كان نظاماً فاشياً والسبب في ذلك ، أن هتلر كان قد حول كل انسان في المانيا حينها الى مستخدم للدولة وعامل في سبيل مخططاته . وكذلك موسوليني في ايطاليا كان نظامه أيضاً فاشياً .

وصدام في بغداد لا يحكم العراق ديكتاتورياً ، لأنه لا يعتمد على الأمن والحزب والجيش فقط ، وإنما يحاول الاعتماد والى حد ما على ان يجعل كل انسان في العراق مرتبطاً بنظامه وقد نجح نوعاً ما في تلك السياسة ، وهذا ما يسمى بالحكم الفاشي .

في مقابل الحكم الديكتاتوري من الممكن ان تكون هناك حركة منظمة تنظيماً دقيقاً في داخل الجيش أو في الأجهزة الحساسة ، و يقومون بانقلاب عسكري أو بثورة وطنية و يسقطوا النظام الديكتاتوري ، حيث تأتي فئة مكان فئة اخرى على دفة الحكم وتجلس مكانها . وهذا ما قام به الضباط الأحرار في مصر في (٢٣ يوليو ١٩٥٢م) .

ولكن في ظل النظام الفاشي الحاكم في بغداد ، فإن هذا العمل ليس ممكناً ، لأن كل شيء قد صبغ بصبغة الارهاب .

ونحن في هذا المجال نحتاج الى الثورة الشعبية ، كما حدث في ايران الثورة تماماً .

لقد صنعت الجماهير عملاً عظمياً ، بحيث ان الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفياتي والمانيا ، لو أرادوا ان يرجعوا هذه الجماهير الى بيت الطاعة الشاهنشاهي الفاسد لما استطاعوا .

لماذا ؟

لأن الثورة كانت شعبية .

ونحن في بلادنا لا نستطيع الاكتفاء بالقيام بتكوين الحركات الرسالية لمقاومة الأنظمة الفاسدة ، لأن هذه الحركات تفشل ، والدليل على ذلك انه لم تستطع أي ثورة وخلال الخمسين سنة الماضية أن تنتصر في بلادنا سوى الثورة الاسلامية الشعبية التي انطلقت في ايران ، مع العلم بأنه قد كانت هناك حركات وطنية وتحركات اسلامية ونشاطات لجمعيات اسلامية .

ففي مصر وحدها كان الاخوان المسلمون في يوم من الأيام يبلغون حوالي ستة ملايين عضواً ، ولكن هل استطاعوا ان يقوموا بثورة شعبية او أن يصعدوا الى دفة الحكم .. الجواب كلا .

وكذلك فالحزب الماشومي في اندونيسيا كان يمتلك اعضاء كثيرين يقدرون بحوالي اثني عشر مليون عضو، ولكن لم يستطيعوا ان يصلوا الى الحكم .

والسبب في ذلك كله هو ان البلدان سواء في مصر أو أندونيسيا وسائر البلاد الاسلامية كانت بحاجة الى الثورات الشعبية وليست التحركات الوطنية .

وبلادنا الآن تحتاج الى الثورة الشعبية وفي النهاية سنستعرض لكم بعض الاطروحات العلمية لهذه الثورة وبعض الوصايات المرتبطة بالواقع الخارجي .

بالنسبة الى الثورة الشعبية ، فإنه ليس بالامكان الاعتماد على حركة أو حزب أو منظمة أو جماعة واحدة .

وانما على الحركات ان تحاول بتكثير امثالها في داخل الشعوب ، وحتى ولو كانت هذه المنظمات والأحزاب والجماعات كبيرة وذات قاعدة قوية فإنها لن تستطيع وحدها أن تقاوم الأنظمة الطاغوتية .

إنما الواجب عليها استيعاب كل الطاقات العاملة في الساحة حتى تستطيع أن تقاوم بذلك الانظمة الارهابية دون أن تستطيع اسقاطها .

فعندما تقوم الانظمة بتصفية واحدة منها فان المنظمات الأخرى تبرز وتصبح المنظمة غير القابلة للتصفية والانهيار .

وهذا الأمر لا يعني ابداً ان هذه المنظمات والأحزاب يجب ان تحل نفسها وتترك التنظيم .

فالتنظيم هو السلاح الفعال ، وان مجتمعاتنا في البلاد الاسلامية والبلدان النامية انهارت بسبب عدم وجود التنظيم الحديدي ، بعد ان استطاع التنظيم الدقيق للغرب اسقاطها .

وكذلك في البلدان النامية نرى بأن الجيوش هي التي تحكم . وهناك تحليلاً علمياً يقول (ان السبب الذي يجعل العسكريين هم المسيطرين في الدول النامية انما يرجع الى انهم اكثر وأقوى تنظيماً من الشعب) .

اننا لا نخالف التنظيم وانما ندعو اليه ونعتقد بأنه السلاح الفعال في البلد النامي وخصوصاً في البلدان الاسلامية . وانما لا يجب أن يكون هناك تنظيماً واحداً أو بشكل واحد .

إنما الواجب ان تكون هناك تنظيمات عديدة على طول الساحة الاسلامية . وعلى الأحزاب والمنظمات الاسلامية ان تبحث عن صيغة للتعاون والتعارف بدلاً من التناحر والتنابز . فالصيغة ممكنة ويمكن البحث عنها وسنجدها ان كنا جادين في ذلك . فالمسألة الأساسية اذن تكمن في انتشار التنظيمات وتعدادها وتنوعها .

العمل الدائب .. طريق الانتصار:

في البلاد الاسلامية والبلاد النامية عموماً يجب أن لا يتعب الانسان من العمل المتواصل وأن لا ينتظر النتائج بسرعة .

عندما تريد ان تشتل شجرة ، فإنك تقوم بحفر الأرض وتشتل الفتيلة ، و بعد مدة تتجاوز السنة أو السنتين فاذا بها تتحول الى شجرة .

واذا أردت أن تنشأ حقلاً «بستان» فأن العمل الذي ستقوم به هو المجيء بمجموعة من الشتائل وايصال الماء لها وانتظار النتيجة بعد ذلك .

اما اذا اردت ان تنشأ غابة ، فهل بأستطاعتك ان تعمل نفس العمل في مجال زرع الفسيلة أو تكوين الحقل .

بل انما الواجب عليك ان تعمل ليلاً نهاراً وتعمل على توفير الأجهزة اللازمة والطاقات والقدرات والعناصر وتعبئتها في سبيل زرع الشتائل وسقايتها ورعايتها .

و بعد تعب قد يطول سنين عديدة ، فلعل وعسى أنك تستطيع ان تنشأ غابة .

وحينما نريد ان ننظم شخصاً واحداً ونوجهه فإن باستطاعتنا ان نجلس معه يومياً ساعة واحدة ، ونقوم بشرح التعاليم الاسلامية والتحدث له في بعض القضايا والأمور الدينية . و بعد انتهاء فترة ستة أشهر أو سنة سنرى ان هذا الشخص سيصبح متديناً كما الشجرة .

أو حينما نريد القيام بتربية مجموعة من الرجال .. فإننا نقوم بتهيئة مدرسة وكتباً للدراسة ، ونحاول ان ندرسهم ونتكلم معهم ونأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر .

و بعد سنة أو سنتين سنراهم وقد أصبحوا كما حقل اخضر ومثمر ، انهم سيصبحوا مجتمعاً منتجاً وفعالاً .

ولكن حينما تريد ان تحول مجتمعاً ، وتنشأ تحولاً جذرياً وأساسياً وعميقاً في جماهير تبلغ (٤٠) مليون نسمة ، أو (٣٥) مليون ، أو (١٤) مليون أو (١٣) مليون ، أو (١٠٠) مليون ، أو ما يقارب (١٢٠) مليون في بلادنا الاسلامية ، هو اصعب من انشاء غابة بمساحة مليون كلم مربع .

فإن انشاء مثل هذا المجتمع انما هو تعامل مع بشر وليس وحدك الذي تعمل ، فآخرون ايضاً يحاولون هدم ما تبنيه .

من جهة اخرى فلو انك حاولت الذهاب الى منطقة حربية وفكرت ان تبني مدينة تحت القصف ، فكم انت بحاجة الى الجهود ، من الطبيعي ان الجهود التي ستبذلها في بناء هذه المدينة ليست بأكثر من الجهود التي ستبذلها لبناء مدينة في منطقة آمنة لان باستطاعتك ان تكمل ما بقى من البناء ، اما اذا اردت ان تبني مدينة في منطقة حربية فان الصواريخ العمياء ستهدمها .

حينما تريد ان تبني مدينة حربية ، فإنك تحتاج الى مثل هذا العمل . وكذلك حينما تريد ان توجد تحولاً جذرياً في مجتمع تعداده خمسة وثلاثين مليوناً انسان .

ففي الوقت الذي تبدأ العمل من أجل بناء هذا المجتمع ، فإن الاذاعات والصحف والمبشرون والدوائر والمنظمات والاستعمارية بالاضافة الى الثقافات الباطلة . كل هذه الأجهزة ستعمل ضدك وتحاربك من أجل ان تهدم كل ما تبنيه ، فأنت في نفس الوقت الذي تحاول فيه مقاومة جهود الآخرين تحاول ان تنمو ايضاً .

لذلك نجد القرآن الحكيم يركز و بصورة مستمرة على كلمة الجهاد . ان كلمة الجهاد ليست كلمة بسيطة يا أخوتي ، وليس من البساطة ان تصبح مجاهداً وتحمل شارة .. « يرفع الله الذين آمنوا والذين أُتوا العلم درجات » أو الآية الكريمة الأخرى : « فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً » (٩٥/النساء)

فليس باستطاعة الانسان أن يكون مجاهداً بتلك السهولة التي يتوقعها .

ان القرآن يؤكد علينا بالجهاد في سبيل الله ، لأن كلمة الجهاد تعني استفراغ الجهد في سبيل الله ، وأن لا تدع جهداً تستطيع ان تبذله في سبيل الله ألاّ وتؤديه ، في كل ظرف وكل مكان ويجب أن يقوم الانسان بالجهاد وتأدية هذا الواجب الرسالي حتى يصبح مجاهداً حقاً .

لذلك فالآية القرآنية تقول :

« اتقوا الله حق تقاته » (١٠٢/آل عمران)

« فاتقوا الله ما استطعتم » (١٦/التغابن)

ان كل استطاعتك وكل امكانياتك يجب ان تسخرها في سبيل العمل الاسلامي .

فالمجاهد في العالم الاسلامي يجب ان لايكتفي باصدار كتاب ، اذ انه في مقابل اصدار الكتاب الواحد فان الاعداء والطواغيت سيصدرون آلآف الكتب .

وفي نفس الوقت الذي يقوم الانسان بالقاء خطاب جماهيري ، فالإذاعات العالمية العميلة ستبث الآف الخطب .

اننا نريد العمل المتواصل وفي جميع الاتجاهات وعلى كافة الأصعدة وفي كل مكان . في السوق ، الشارع ، المعمل ، المكتب ، الكتابة على الجدران ، كتابة الرسائل

الشخصية والكتب ، قراءة الأشعار والأناشيد ، وكل مايستطيع ان يبذله الانسان حتى يلقى الله ابيض الوجه يوم القيامة .

ان الله اعطى للانسان القدرة وهيء له الامكانيات و بقي عليه ان يبادر و يباشر العمل من أجل خدمة الدين والمجتمع ، وهو محاسب يوم القيامة لقاء عمله الصالح ولقاء تقاعسه عن تحمل المسؤولية . والقرآن يقول :

« وجاهدوا في الله حق جهادة » (٧٨/الحج)

ان القيام بأعمال بسيطة ثم الذهاب الى النوم والخلود الى الراحة لن ينفع شيئاً مالم يقم الانسان ببذل الجهد وتجد نفسه لذه التعب ، ولا يكتشف قدراته وطاقاته المكنوزة ، وغير ذلك لايسمى جهاداً .

ان على المنظمات والطلائع الثورية في عالمنا الاسلامي أن لايدخروا جهداً إلاّ و يبذلوه ، ولا يكتفوا بالعمل القليل وعليهم ان يتطلعوا و يطمحوا الى العمل العظيم وان تكون رؤاهم وتطلعاتهم عظيمة وعملهم بمستوى تلك التطلعات

ان المسألة في ذلك ليست في انشاء حركة وطنية أو حزب ومنظمة ، انما هو االقيام بثورة شعبية على امتداد طبقات الشعب . ان علينا ان نقوم بأعمال ومشاريع اخرى تخدم الثورة في الوقت الذي نقوم بمباشرة اعمالنا ، لا ان ننتظر حتى يتم انجاز العمل الأ ول .

وكذلك فان علينا أن نطرد من أذهاننا التفكير في النتائج ، وان نعمل ونجاهد ونطبع ونؤلف للأجيال القادمة وليس شرطاً ان ننتصر في مرحلة ما ، فالأجيال القادمة بأستطاعتها ايصال جهودنا الى مرحلة الانتصار .

ان انتصار الثورة الاسلامية في ايران جاء نتيجة سنين طو يلة من العمل والجهاد ، ابتداء من النضال الذي خاضه العلماء في عهد رضا بهلوي وانتهاءاً الى حركة وانتفاضة الامام الخميني في عهد الشاه محمد رضا بهلوي ، وانتصار الثورة و بناء صرح الحكومة الاسلامية .. وكل ذلك كان محصلة جهاد أجيال كانت تحلم باقامة الحكم الاسلامي .

وصايا للمجاهدين :

الوصية الأولى :

اننا نوصي الحركات الاسلامية والطلائع الرسالية والمجاهدون في الساحة ان يقوموا بواجبهم الثقيل ، فان الأهداف كبيرة والتطلعات سامية والطريق بعيد ونحتاج الى زاد هائل لهذا الطريق والى عمل جبار لتحقيق هذه التطلعات ، وعندما لاننتصر بعد هذه الجهود فلا يجب ان نحاسب غير انفسنا . وان عدم الوصول الى الانتصار اما يرجع الى التهاون أو أن عملنا لم يصل بعد الى مرحلة الاختمار والنضوج .

الوصية الثانية :

قد لايستطيع جيلنا المعاصر ان يحقق الثورة الشعبية و يبلغ نهايتها ، ومن الممكن ان لا تصل هذه القافلة الى منزلها وموطنها في عهدنا .

لذا فان علينا ان نربي الجيل القادم لكي يحمل هذه الرسالة ، واذا كنا مشركين وساكتين عما يجري في بلادنا وخاضعين للطاغوت الذي لم يبقي لنا أي ذرة من الكرامة والضمير حتى ننتقم من الذين يخوضون في دمائنا ، اذا كنا هكذا فلا أقل من ان نربي الأجيال القادمة تربية نظيفة .

علينا أن لا نحمل الجيل القادم سلبياتنا ومشاكلنا ورواسبنا الفكرية التي هي حصيلة ثلاثين سنة اوالف سنة من التخلف .

ان تربيتنا للجيل القادم يجب أن تكون تربية فطرية سليمة بحيث نبني اطفالنا على الفطرة بدل ان نهودهم أو ننصرهم أو نمجسهم فهم قد ولدوا على الفطرة ولكننا نحن المسؤولين نتيجة اعمالنا وسلوكياتنا في انحرافهم .

ففي الوقت الذي نتحمل لعنة الله نتيجة اعمالنا الفاسدة وخيانتنا للأمانة الملقاة على انفسنا ، يجب ان لا تصيبنا لعنة الله في خيانتنا بدفعنا الجيل القادم للتشرب برواسبنا واعمالنا الفاسدة .

على الانسان ان لا يحمل نفسه وزرين ، وهذه هي القضية الأساسية ، وكثيراً ما يحدث في بلد ما كما حدث في ايران أو في زمن الامام علي بن أبي طالب (ع) .

فهناك روايتان هما :

الرواية الاولى : ان احد من الناس سأل الامام علي (ع) لماذا لا تقوم يا أمير المؤمنين ؟ فأجابه الامام قائلاً : بأنني انتظر ، ثم اشار وقال له في حرب صفين : انظر الى هؤلاء مشيراً الى المحاربين وقال : « كنت انتظر هؤلاء » .

والرواية الثانية : هي ان الامام الخميني في انتفاضة (١٥) خرداد قال : «ان انصاري لا يزالون يرضعون» . فقد كانوا يومها في مرحلة الرضاعة ، مرحلة الاخذ والتربية والاعداد ، وبعد (١٥) عاماً اصبحوا الجيل الفاعل والحاسم في الأحداث ، وبالتالي استطاعوا بأن ينصروا الثورة الاسلامية و ينتصروا ، إذا لم تكن هذه الثورات وهذه المفاهيم تختمر في النفوس الحاضرة . هؤلاء الذين أفسدت الدوائر الاستعمارية والأنظمة الطاغوتية الفاسدة ، فأصبحت قلوبهم وأفكارهم مسلوبة وكرامتهم وأندفاعهم وشجاعتهم و بطولا تهم باردة ، فلابد لهذه الأفكار ان تختمر في قلب الجيل القادم .

واخيراً فالثورة بحاجة الى العمل الدئوب والدائم والذي سنقوم به نحن المسلمون انشاء الله ، وهذا العمل لا بد وأن يتراكم في يوم من الأ يام ومع مرور الزمن .. يتراكم كيفياً لينفجر في ثورة عارمة شعبية اسلامية اصيلة عبر امتداد الوطن الاسلامي الكبير.

الحوافز الخيرة

هناك سؤال يشغل بال الكثير من العاملين في الساحة الاسلامية اليوم .. وهو ما هي الاستراتيجية المقترحة للثورة الاسلامية في ظروفها الراهنة ؟

لا تتم الاجابة على هذا السؤال الا بمعرفة أمرين :

(أ) عوامل الثورة .

(ب) المجتمع بين العلم والعمل .

عوامل الثورة :

حين يطرح الكثير من مؤرخي الثورات تحليلا تهم ، يُقسمون الثورات على اساس عواملها الظاهرة دون الغوص الى أعماقها ، فيصنفونها الى ثورات تحريرية تهدف تطهير الارض من المحتل الاجنبي ، وثورات تحررية غايتها تغيير النظام السائد ، والتي تصنف بدورها الى ثورات اجتماعية أو دينية ، أو اقتصادية ، أو عنصرية ، أو طبقية . ولكن هذا يتناول الفهم الظاهري من الثورة ، و يدع الجانب الحقيقي والجوهري ، الذي يكشف لنا فعلا العوامل الاساسية للثورة .

بينما لا يستطيع احد وضع استراتيجية حكيمة من دون فهم عميق لعوامل الثورة الأساسية ، من هنا كان من الضروري ان نبدأ ايضاحنا للاستراتيجية بالتعمق في عوامل الثورة التي نلخصها في أربع نقاط :

أولاً : الأحساس بضرورة التقدم :

ان للانسان رغبة في ان يكتسب تقدماً مضطرداً في حياته ، فمهما تنوعت المشاعر والاحاسيس البشرية الا ان الناس جميعاً يشتركون في الاحساس بضرورة (التقدم) سواء كان هذا التقدم اقتصادياً ، أو اجتماعياً ، أو مادياً ، أو معنوياً .

وهذا الشعور هو الوقود الذي حرك البشرية عبر مراحل التاريخ ، منذ كان الانسان يسكن الكهوف في العصر الحجري ، والى عصر السرعة والالكترون وغزو الفضاء وسبر اغوار المحيطات(٥) وهذا الشعور ــ حسب اعتقادي ــ كان وراء اجتياز الانسان للصعاب وابتكار الوسائل المختلفة في سبيل تقدمه ، فهو شعور يشترك فيه الناس جميعاً أنّى كانوا و باية فكرة أو مذهب آمنوا .

وحينما يشعر مجتمع ما ان هناك حاجزاً يحول دون تقدمه ، أو يشعر الجزء الاعظم منهم بذلك ، فان المجتمع يبدأ بالتململ ثم لا يلبث ان يثور محطماً ذلك الحاجز بهدف الوصول الى وضع افضل من السابق .

وكثيراً ما تكون الانظمة الحاكمة هي الحاجز الذي يقف في وجه المجتمع الثائر ، ولهذا فان الانظمة هي التي تتحطم بفعل الثورات الجماهيرية ، ليقوم مكانها نظام جديد يتناسب وتطلعات الجماهير نحو التقدم والرقي .

لا أريد أن أقول ان الدافع المادي فقط(٦) هو سبب الثورة ، كما لا اقول ان النظام الذي يقف فعلاً امام تقدم المجتمع هو الذي يتعرض للثورة ، بل اقول ان النظام الذي يحسبه المجتمع حاجزاً امامه هو الذي يتمرد عليه و يثور ضده ، فشعور المجتمع هو الفيصل ، اذ قد يوجد نظام تقدمي ولكن تحس الجماهير بأنه رجعي ، أو بالعكس ، فقد يقوم النظام الرجعي بتضليل المجتمع اعلامياً فيحسبه تقدمياً ، فمثلاً يطور وضع الرياضة على حساب التقدم الصناعي ، والاقتصادي ، والعسكري ، والسياسي ، ثم يقنعهم بالتطور والرقي فيسكتون عليه .

بينما النظام الذي يحاول ان يوصل البلاد الى حالة من التكامل ولا يستطيع اقناع الجماهير بعمله الصامت يثورون ضده ، فاصطدام النظام برغبة الجماهير واحساسها بضرورة التقدم سبب في انهياره ، وهذا يوضح لنا اهمية عامل «الاعلام» في مجال الثورة .

ثانياً : مواكبة التقدم الاجتماعي :

حينما تكون الانظمة ضعيفة لا تستطيع مواكبة الاندفاعة الجماهيرية ولا تستوعب التقدم الاجتماعي فانها سرعان ما تتفكك وتنهار امام قوة المجتمع ، تماماً كالقنوات التي سرعان ما تنهار وتتحطم امام اندفاعة السيل الهادر. وهذا شأن الحكومة التي لا تستطيع أن تطور من قدراتها ومكانياتها بتطور المجتمع ، اذ ستكون عبئاً على المجتمع ، ولا سبيل الا الثورة عليها وتحطيمها ، ولعل ذلك يفسر سر تغيّر الحكومات حين انطلاق الثورة الثقافية ، أو الصناعية ، فتقدم مجتمع ما في المجال الاقتصادي أو الثقافي أو الاجتماعي مع انعدام مقدرة الحكومة على مجاراة ذلك التقدم ، يتسبب في انهيارها .

وهناك بعض الدراسات تعزي الثورة الفرنسية الكبرى ، الى قوة المجنمع الفرنسي في ذلك اليوم في المجال العلمي والاقتصادي والاجتماعي ، بحيث لم تستطع حكومة لويس الرابع عشر ــ التي كانت تسيطر على المجتمع آنئذ ــ ان تستوعب تلك القوة الجديدة فانهارت السلطة وقام مكانها نظام جديد .

ثالثاً : حدّة التناقض الثقافي :

عندما تبرز ثقافة من نوع جديد في المجتمع ــ لتسبب تناقضاً حاداً بين الثقافة السائدة ، والثقافة الوليدة ــ فان النظام القائم على اساس الثقافة السابقة ، لا يستطيع استيعاب الوضع الجديد . حينما انبعثت الرسالة الالهية ، فقد انهارت تلك السيادات امام الدفع الثقافي الجديد الذي فجره الاسلام بقيادة الرسول الاعظم (ص) .

رابعاً : الشعور بالتغيير :

ان الثقافة التي تحكم سلوك الفرد وتوجه تحركاته هي التي تقوم بدور الوسيط الثوري بالنسبة للمجتمع ، حيث تقوم المشاعر التقدمية ، والتطلعات السامية للجماهير التي بطبعها تشعر بضرورة التقدم نحو الأفضل ، فتخضع للثقافة كي تترجم ذلك الاحساس وتجسده واقعاً حياً .

فالثقافة هي التي توجه ذلك الشعور من اجل مصلحة الثورة اذ ان الحرمان لا يكون دليلاً او سبباً للثورة ان لم يتحسسه المجتمع و يشعر بأن من الممكن تغييره ، والظلم كذلك ليس سبباً كافياً لتفجير الثورة ان لم تشعر الجماهير بفداحته وانها قادرة على كف

أكف الظالمين عن نفسها ، و بالتالي العمل من أجل حياة عادلة ، وهذا ــ كما اسلفنا ــ يعتمد على مدى وعي الجماهير الذي لعبت الثقافة دوراً كبيراً في بلورته ، من ثم تمكين الجماهير من اصدار الحكم الصحيح بعد وضوح الرؤية وفهم الحقيقة ، اذاً الثقافة تقوم بدور الوسيط من أجل الثورة .

المجتمع بين العلم والعمل

يبدو لي ان المجتمع البشري قائم على أساسين متفاعلين هما :

١ ــ الوعي

٢ ــ الادارة

وهذا ما نجده في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، و يتجلى ذلك بوضوح اكثر فيما يختص بالثورة التي لا تقوم الا بفعل هذين الاساسين .

١ ــ الوعي

فمن دون التوعية ، وتحريك الناس ، واثارة تطلعاتهم ، وتوجيه شعورهم بالحرمان والشعور بالقدرة على تغيير الواقع الفاسد ، لا يمكن حشد الطاقات جميعاً لتصب في قنوات محددة ، لتسير بصورة تدريجية وتصاعدية حتى تبلغ ذروة الوعي المتجسدة في التحرك الجماهيري الصانع للثورة .

٢ ــ الادارة

الادارة التي تقوم بحشد الطاقات ، وضبط الامور ، وتوحيد الصفوف ، للأستفادة من كل الجهود في سبيل الحصول على المكتسبات الثورية عبر رحلة التغيير التحررية .

ويمكن ان نشبه التوعية الثقافية بالامطار الهاطلة من السماء التي تهز الارض بعد ذلك ، معطية الفرصة للبذور الكامنة في باطن التربة كي تنبت وتتبرعم ، وهكذا المشاعر والاحاسيس الكامنة في اعماق الجماهير ، كالاحساس بالحرمان والاحساس بضرورة التغيير . وهنا يأتي دور الادارة التي تصنع القنوات التي تستوعب تلك الامطار ، والثورة لا تقوم بغير هذين العاملين .

الاستراتيجية الثورية :

بعد ان أوضحنا عوامل الثورة ، وأسس المجتمع البشري نلخص الاستراتيجية الثورية في النقاط التالية :

١ ــ لا بد من اشعار الجماهير بالوضع السيء الذي يعيشونه ، وتعميق هذا الاحساس بضرورة التغيير، مع بث الثقة في قدراتهم وامكاناتهم بتحمل مسئولية التغيير و بجدوائية العمل في هذا السبيل .

٢ ــ لابدمن تأمين ذلك الملاك الثوري الذي يقود عملية التغيير، و يعمل على تكريس الاحساس الاجتماعي بضرورة الاصلاح و بالقدرة عليه ، كما نقوم بتوجيهه حتى الانتصار، فأساس الثورة قائم على التوعية اولاً والكوادر ثانياً ، بينما يلعب المال والتنظيم والمؤسسات الثورية وغيرها دوراً ثانو ياً كعوامل مساعدة لهذين العاملين الاساسين .

هذه هي الاستراتيجية الحكيمة والرشيدة للثورة الاسلامية اليوم والتي تتلخص في هذين العاملين بشكل رئيسي ، توعية الجماهير و بناء الكوادر القادرة على قيادة الناس ، وهما عمليتان متوازيتان يجب الا تنفصلا ، فالجماهير تتحرك عندما يرتفع وعيها ، والكوادر توجه التحرك . عندها لن تكون بحاجة الى مال ، لانك انما تحتاج اليه لكي تحرك الجماهير.

وها هي الآن تتحرك وستكون في خدمتك .. ان حركة الناس سوف تعوضك عن صرف جهود مشتتة في سبيل جمع بالمال .

ان رسول الله (ص) لم يكن يملك كثيراً عندما هاجر، إذ انه كان قد صرف كل ما كان لديه من أموال أم المؤمنين خديجة (رض) في مكة ، و يوم هاجر الى المدينة المنورة كان (ص) بحاجة الى قوت يومه ، ولذلك كان الامام علي (ع) يذهب الى العمل منذ صلاة الفجر وحتى الليل لقاء بضع تميرات يتقاسمها والرسول (ص) . كما كان المسلمون جميعاً يقومون بالعمل الجسماني المضني من أجل لقمة العيش .

ولكن انظر ماذا يحدثنا به التاريخ نفسه عن حركة الاعمار مع هجرة الرسول الذي

استطاع ان يبني مسجد (قبا) قبل ان يحط الرحال . وبعد ان استقر به المقام بادر ببناء المسجد الكبير في المدينة لتتابع سلسلة الاعمال الاعمارية بعد ذلك لبناء بيوت اصحابه رضوان الله عليهم ، وردم البؤر والمستنقعات المبثوثة حول المدينة والتي كانت مصدراً للامراض آنذاك ثم زراعة الارض وبناء مجتمع متكامل وصل الى مرحلة الاكتفاء الذاتي . ورغم ان بعض المؤرخين يزعمون ان الرسول (ص) انما استطاع القيام بتلك المنجزات بفضل الغنائم التي حصل عليها في حرب بدر وما تلاها من غزوات ، الا ان الغنائم مهما كثرت لا تستطيع الوفاء بحاجات مجتمع بأكمله علماً بان مجتمع الرسول كان مجتمعاً محارباً آنذاك . فالحرب بحاجة الى سلاح واموال وبناء لان الحرب تهدم ايضاً .

ولولا ان الرسول الاعظم (ص) كان يملك جهود الناس وسواعد المسلمين ، لاحتاج الى المال ، ولكن متى امتلكت الحركة الاسلامية السواعد فانها افضل من كل الاموال .

نحن نحتاج الى المال لكي نسد حاجة الفقير ، ولكن الفقير الذي يصبر لا يحتاج الى المال .. اننا نحتاج المال كي نبني القلاع والحصون ونحفر الخنادق ونشيّد المصانع ، فاذا امتلكنا سواعد الناس فهي التي تبني وتحفر وتشيّد .

خلال حركة التحرير ضد هولندا قامت الحركة الاسلامية في اندونيسيا بحركة مبتكرة بارعة بما يعوض عن المال ، فقد اوجبت على كل فرد منتم للحركة ان يخصص من عمله يوماً في الاسبوع يعمل فيه للحركة ــ كبديل عن دفع اشتراك نقدي مالي ــ فما كان من المثقف الا ان يأتي الى مكاتب الحركة في ذلك اليوم ليكتب أو يخطط أو يترجم وهكذا .. والبنّاء يساهم بيوم في بناء مقرات للحركة ، والكهربائي يساهم في اضاءة البيوت ومقرات الحركة ، وكل انسان يعمل حسب قدراته وتخصصه ، وبذلك كانت الحركة مكتفية من الناحية المادية ، ولهذا فاننا لو امتلكنا الجماهير لما كنا أُسارى الحاجة مهما كانت كبيرة .

فالجماهير بالتعاون والعمل سوف يغنينا عن اجهزة للرصد ، لان الجماهير هي اجهزة الرصد ، ولا نحتاج مثلاً لأجهزة قولبة التجارب ، لان الجماهير وعقولها تصنع التجارب وتطورها .

فالجماهير اذا نشطت ضمن الحركة ، فانها ستغنيها عن كثير من العوامل المساعدة وكلما احتاجت الحركة الى المزيد من الطاقة فان الجماهير توفرها ، مثلا الجماهير تغني عن المال فان الجماهير تقدمه .

بعد انتفاضة خرداد حاول الشاه مساومة الامام الخميني (حفظه الله) فقال له : اعطيك مليون تومان واخرج من ايران .

فرد عليه الامام : أنا اعطيك ثلاثة ملايين تومان واخرج من ايران !

فبهت الشاه وسأله : من اين تأتي بالمال ؟

فأجابه الامام : بأنني قد أمرت الناس بايداع ما يستطيعونه في حساب احد البنوك الايرانية وخلال ثلاثة أيام اجتمعت الملايين الثلاثة ، ورغم ان الشاه صادرها الا انه بعد ذلك خرج من ايران صاغراً .

هكذا تكون الجماهير ، لقد استطاعت الثورة الاسلامية في ايران ان تمول العمال المضربين عن العمل ــ لا سيما عمال البترول ــ وذلك بأموال الجماهير . ومن قام بتضميد جراحات الثورة سوى المؤسسات الخيرية والثورية التي اعتمدت اساساً على تبرعات الجماهير وجهودهم .

ان الجماهير مستعدة للعطاء والتحرك ، ولكن شرط ان تشعر بفداحة الوضع الفاسد ، وقدرتها على تغييره .

وعلى هذا فمن السهل اقناع كل فرد حتى ولو كان مليونيراً أو اميراً أو وزيراً بأن وضعه سيء الا ان المشكلة تكمن في الخطوة التالية من العمل ، وهي ان تشعره بأنه هو المسئول عن التحرك والتغيير ، لأنه قادر على التغيير فيما لو سعى لذلك .

لقد دأبت السلطات والقوى المحافظة في المجتمع على تثبيط همة الجماهير عبر اقناعهم بان وضعهم حتى وان كان فاسداً فان وضع غيرهم أفسد ، وان لو تحركوا فسيفقدون ما اكتسبوا ولن يحصلوا على ما يريدون ، وهذا هو التضليل الاعلامي ، وعلى الثوريين والحركات الرسالية تغيير هذه الفكرة عند الناس ، فالتحرك واجب ، والتغيير مطلوب ، والانسان ذاته هو المسئول عن التحرك والتغيير ، لأنه قادر على ذلك ، وهذا هو دور الثقافة .

جماهيرية الثقافة الثورية

لا بد ان تكون الثقافة جماهيرية تتكلم بلغة الجماهير، لا ان تكون للنخبة المثقفة فقط، ولأن الثورات تبدأ من المكتب، قبل ان تتفاعل مع الجماهير وتجد طريقها اليهم، فانها غالباً ما تفقد الصلة المباشرة بالجماهير حيث انها تتحدث بلغة الكتب ولا تتحدث بلغة الناس، فهي ليست كما قال تعالى عن الرسل ــ عليهم السلام ــ :

« وما أرسلنا من رسول الاّ بلسان قومه »

(٤ / ابراهيم)

لذلك نجد ان الرسل عليهم السلام خاطبوا الجماهير بلغتها فنجحوا، وكما قال الرسول (ص) :

« أمرنا معاشر الأنبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم »

ان اللغة عادة تختلف، المنطق يتفاوت، التعابير ليست ذات التعابير، فالناس قد يحسون بشيء، ولكن بتعبير آخر فلا يفهمه الناس.

من هنا تأتي ضرورة ان تكون الثقافة جماهيرية، لا بد من التحدث بلغة الناس، ليس فقط في الاسلوب، بل وايضاً في المحتوى، ليس فقط في المظهر، وانما في الجوهر ايضاً، المظهر هو ان تحدث الناس حسب لغتهم ــ تعابيرهم ــ قناعاتهم السابقة ــ أمثلتهم الشعبية، حسب قوالبهم الثقافية، حسب ايامهم التاريخية التي يخلدونها تستخدم الفن، الشعر، الفن التشكيلي، المسرحية، وسائل سمعية وغيرها، من الامور التي ينبغي توفيرها في الثقافة، وهذا ما تفتقر اليه الثورة الاسلامية دائماً.

اضافة الى ذلك هنالك امر جوهري هو الاهم في مجال الثقافة، حيث ان الجماهير تمتلك ضميراً حيّاً لا تستطيع عادة التعبير عنه، ولا يفهمه كل الناس، ولكن الثوري الذكي والمفكر الناضج الحكيم، هو الذي ينفذ ببصيرته الى ذلك الضمير فيعبر عنه، واذا بكل انسان يجد تلك الكلمة التي تعبر عن ضميره، والذي لا يستطيع هو التعبير عنه، واذا الناس جميعاً يستوون في تلك الكلمة التي لم يستطع ان يعبر عنها، الاّ القائد فهو الوحيد الذي نطق بها معبراً عن ضمير الامة.

ان على الثورة الاسلامية ان تبحث عن ذلك الضمير وتعبر عنه ، فمثلاً ينبغي ان تحدث الناس عن تخلفهم ، لان المسلم اليوم يحس في اعماقه بالخجل امام تقدم الغرب عليه ، واذا ما استطاعت الحركة ان تخاطبه وتقنعه بأنه قادر على تغيير الوضع عن طريق الاسلام ، وبه يتحدى الغرب و يتحدى اجهزته وعملاءه كاسرائيل ، أو الانظمة المتسلطة عليه ، فانها آنئذ تكون تحدثت معه عن المصير الصامت وعن العقل الباطن .

ان الضمير الانساني المسلم اليوم يبحث عن الاستقلال ، فقد سئم التبعية وعافت نفسه المذلة ، بل اصبحت العبودية تؤلمه وتخز في صدره كالحراب ، من هنا لا بد ان تتحدث الحركة عن الاستقلال ، ولا بد ان تقول للجماهير المعنى الحقيقي لكلمة (**لا اله الآ الله**) كلمة الاستقلال والحرية .

لقد اصبحت الجماهير الاسلامية ــ اليوم ــ تتحسس في اعمق اعماقها حنيناً الى الاخوة الاسلامية ، وتحس بعمق الجرح الذي أوجدته الحدود المزيفة بين اقاليم الامة الواحدة ، وما علينا الاّ أن نذهب الى الحج ونلتقي بالملايين المتدفقة من البلاد الاسلامية كافة ، الى بيت الله الحرام ، لنشعر بمدى احساس الجماهير بجرح الحدود النازف ، فكم هو مؤلم هذا الجرح للجماهير المؤمنة في عالمنا الاسلامي ، وكم هم يحنون الى يوم التلاحم والوحدة ، والعودة الى بعضهم البعض ، وهذا هو ضمير الأمة ، تجاوز التخلف وتحقيق الوحدة الحقيقية ، والتصدي للتحدي الحضاري المتمثل في الغرب المتعجرف ، الذي راح بحضارته المزيفة وراء ماسرقه من تراثنا وعلومنا وامكاناتنا وثرواتنا .

وجماهيرنا تتلهف لليوم الذي ينهار فيه هذا الكيان الجاهلي من فلسطين الى اريتيريا .. الى الفلبين واندونيسيا والى كافة البلاد الاسلامية التي تتحدانا فيها الجاهلية الغربية ، محاولة تمريغ انوفنا في وحل الهزيمة والعبودية .

اجل ان جماهيرنا تتحسس بهذا الضمير وهو ضمير تحدي التخلف والتجزئة ، والبحث عن الاستقلال والتطلع نحو حياة افضل .. فلا بد ان تعبر ثقافة الثورة الاسلامية عن هذا الضمير بلغة مفهومة ، وهذا هو جوهر الالتقاء بين الثقافة والجماهير عبر الاطار والمحتوى الجماهيريين .

ومتى ماتمكنت الحركة الاسلامية الثائرة من توعية الجماهير بالثقافة المعبرة عن ضمير الامة والقريبة الى لغتها ، فانها سوف تتمكن من تحريك محيط الامة بامواج الثورة ، وبالتالي سوف تتمكن امواج المحيط الاسلامي من ابتلاع اسرائيل والقوى التي تدعمها .

بين القوة والمنطق

« لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وآلله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبِهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره آلله آنبعاثهم فثبطهم وقيل آقعدوا مع القاعدين * لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأ وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم وآلله عليم بالظالمين ».

صدق الله العلي العظيم

(٤٤ ـ ٤٧) سورة التوبة

سؤال عريض طالما حير الكثير من المفكرين الاسلاميين ، وهو هل يكفي أن يكون اصحاب الرسالة الخالدة مع الحق الذي يحمل في طياته قوة المنطق ، فتضاف لهم بالبداهة منطق القوة ، أم أن تحصيل منطق القوة أولاً يعتبر مقدمة لازمة لتنفيذ الحق الآلهي ؟

وهل ان القوة صفة مشروعة لأهل الحق .. أم أنها حكر على أصحاب الباطل الذين لا يستندون في عموم حياتهم على ذرة من الحق ؟ وأخيراً لماذا أنزل الله الحديد وأوحى إلى نبيه داوود صنعة لبوس الحرب ؟ أليس لكي يتسلح أولياء الله وجنده المخلصون بمنطق القوة مقابل زيف القوة الجاهلي الذي يتذرع به أصحاب الباطل ؟

كل هذه الاسئلة المتقدمة أعلاه تتفرع من أصل واحد هو طبيعة النظرة لتحصيل القوة ، ومعرفة مشروعيتها من أصول النظرة الاسلامية لها .. الجواب الصريح الذي يمكن

أن نسوقه في هذا الصدد حول القوة يمكن اكتشافه من التدبر العام لعموم آيات القرآن حيث تؤكد بصراحة و بصرامة على ضرورة أن يكون أصحاب الرسالة أقوياء .. وهنا يطرح تساؤل هام هو: أو ليس القرآن كتاب حق يتمتع بقوة المنطق ، فلماذا تدعو آياته باستمرار إلى تحصيل القوة ؟

الجواب على هذا التساؤل يبدو واضحاً في سورة الحديد المباركة اذ تشير الآية الكريمة بالقول :

« هو الذي أرسل رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » . (٢٥/الحديد)

إذ أن الحديد إنما أنزل ليكون سلاحاً فعالاً بيد الانبياء والرسل وأتباعهم لتطبيق العدالة الآلهية بل والقسط .. هذا في الوقت الذي نرى فيه أن سلاح الحديد أصبح وسيلة ضاربة بيد الظالمين والارهابيين .

وعلى أساس النظرة القرآنية لمسألة القوة ، يتحتم على أصحاب الرسالة المجاهدين الخلص تحصيل القوة أنى كانت و بأية وسيلة ، ذلك لأن القرآن الحكيم لم يحدد لنا طبيعة هذه القوة ونوعها تاركاً تحديدها لظروف الزمن ومعطيات العصر بقوله :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

فمثلاً كانت الوسيلة الحربية المناسبة في عهد نبي الله داوود الدرع .. ومن هنا اشتهر داوود بصناعة هذا النوع من أدوات الدفاع الحربي للحفاظ على أصحاب الرسالة وتركيز القوة من أجل هدف أكبر هو نشر الرسالة .. و يؤكد القرآن الحكيم ذلك بالقول :

« وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم » . (٨٠/الانبياء)

وكما الدرع وسيلة .. فان الحديد أيضاً وسيلة أخرى لدعم مسيرة الرسالة والحفاظ عليها من شرور الاعداء .. ومن هنا يتبين أن القوة بذاتها تعتبر هدفاً من أهداف الرسالة ، هدف ليس مقصوداً بذاته ، بل مطلوب لغيره لهدف أكبر وأعمق هو الدعوة إلى الاسلام الخالد والرسالة الخاتمة .

وعلى ضوء ذلك نستطيع تفسير بعثة الرسول (ص) وانتشار رسالته معتمداً على السيف ، هذا في الوقت الذي تصرح فيه كثير من الآيات القرآنية بأنه رحمة مهداة إلى

العالمين ، واتصافه بالخلق العظيم ، ومن هذا الجانب ايضاً نستطيع معرفة خلفية الأحاديث المروية عن الرسول الأكرم (ص) اذ يقول مثلاً :

« المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف » .

« ان الله يحب المؤمن الشجاع ولو بقتل حية » .

« الخير كل الخير تحت ظلال السيوف » .

« الخير معقود بنواصي الخيل » .

إذن لماذا يطلب من المسلمين في أغلب التوجيهات القرآنية والنبوية السعي نحو تحصيل القوة ؟ أو لا يمتلك المسلمون قوة المنطق مقابل منطق أهل الباطل الخاوي ؟ وهل من الممكن تصفية العقبات التي تواجه الانتشار الاسلامي دون تحصيل القوة .

إن منطق القوة الذي أتحدث عنه يتجلى اليوم لدى أعداء الانسانية الذين يستخدمونه في تحطيم كرامة الانسان ومسخ شخصيته والتغافل عن انقاذه من الورطات الحياتية ، فعلى سبيل المثال بعد الفيضان الكبير الذي حدث في السودان ، لم تقم الدول الكبرى إلا بعمليات اعلامية تقود فيها حملة مشبوهة لدعم المنكوبين هذا في الوقت الذي مات أكثر من ألف انسان بسموم الثعابين فقط !! .. وهكذا في بنغلاديش إذ أصبح خمسة وعشرون مليون شخصاً بدون مأوى ، لكن لم يحدث أي كلام حول كيفية انقاذ هؤلاء المستضعفين ، ذلك لأنهم استخدموا تقنيتهم التكنلوجية وقواهم العسكرية للقيام بأعمال ارهابية ضد الشعوب المستضعفة من قبيل الجرأة على إسقاط طائرة مدنية أو السيطرة الدبلوماسية على مسار حكومة ظالمة في بلد مستضعف ، أو التحكم في طبيعة الاقتصاد العالمي ، هذا التحكم الذي يموت بسببه ملايين الاطفال سنوياً بسبب عدم وجود أمصال مضادة للامراض المنتشرة في البيئات الفقيرة ، هذا في الوقت الذي يكفي دولار واحد فقط لانقاذ طفل مريض مهدد بالموت ، وهذا الدولار نفسه هو عصب الغرب للصرف التسليحي ، حيث يصرف على صاروخ (شلنجر) أربعة مليارات .

إن هذه بعض معالم القوة لدى اعداء الاسلام والانسانية بينما نجد أن المسلمين لا يمتلكون أدنى معالم القوة المطلوبة .. إن حديثنا عن تحصيل القوة بالطبع لا يعني البحث عن قوة السيف والبندقية فحسب ، بل أن الاساس لا بد أن يكون هو قوة المنطق الذي يمثل ٩٠٪ من القوة ، بينما قوة السيف لا تمثل سوى ١٠٪ .

ثلاثي القوة : ـ

تعتمد القوة التي ركزنا الحديث عليها على ثلاثة ركائز .. ينبغي على كل مسلم السعي وراء تحصيل هذه القوة ، لأن الامر الآلهي يتوجه إلى الجميع ، وهذه الركائز هي :

الركيزة الأولى : قوة المال : ـ

إن الامة الاسلامية تحتاج كل الاحتياج إلى قوة المال من أجل انجاز المشاريع الاسلامية الحضارية ، و بالطبع ان البعض و بوحي شيطاني يشيع جواً حول عدم حاجة الأمة إلى المال لا أقل إن لم نقل الاعلامية فهي العملية .. فمثلاً بعد حظر النفط عام ٧٣ م قفزت اسعار البترول بصورة سريعة ، لكن المؤامرة الدبلوماسية ابتلعت هذه الزيادة وخفضت اسعار البترول لصالح انتعاش الاقتصاد الاوروبي ، وهم بذلك يكونون قد أجرموا بحق الامة الاسلامية عموماً ، لأنهم قطعوا ذراع القوة الذي هو المال .

و بعيداً عن الأسباب الاستغلالية الخارجية التي تساهم في خلخلة القوة المالية لدى الامة .. يتطرق القرآن إلى أسباب داخلية تحد من قوة المال مثل التبذير والاسراف ، إذ أن كثيراً من النصوص الشرعية تتحدث عن الأساليب الحسنة في التعامل السليم مع المال .. وإليكم بعض النصوص الشرعية :

« إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين » . (٢٧/الاسراء)

« كلوا واشربوا ولا تسرفوا » . (٣١/الاعراف)

« من لا معاش له لا معاد له » .

إن هذه التعليمات الاسلامية تؤكد على ضرورة الاقتصاد في الصرف ، حتى يكون بالامكان القيام بعملية الادخار المالي من أجل تطورات المستقبل من أجل التمكن من دعم المشاريع الخيرية والثورية ولزيادة المخزون المالي الاحتياطي تحسباً لمتغيرات المستقبل ، هذا بالاضافة إلى ان الكثير من الروايات تشجع على الزراعة والصناعة والاستثمار .

وهذه التأكيدات المتتالية لتقوية الاقتصاد الاسلامي ، انما هي من أجل تحصيل الاستقلال عن الاجنبي المستغل .. أما اذا كان وضعنا الاقتصادي متردياً ، فان طبائع

الغرب وثقافته وعاداته سوف تتحكم بنا .. لأن ثقافة الغالب تنتقل ــ بالطبيعة ــ إلى ثقافة المغلوب ، هذا بينما لو تقدم المسلمون في صناعتهم الاسلامية لاستطاعوا تصديرها إلى الغرب ، ومن ثم اجبارهم على الخضوع حتى إلى قيم الاسلام ومفاهيمه .. وهذا بالطبع هو الذي حصل إبان التقدم الحضاري لدى المسلمين ، حتى أن الغربيين كانوا يعدون صفة تعلم اللغة العربية من أهم صفات العالِم في نظرهم آنذاك .

وهذه القوة المالية انما تتسنى بالطبع من ايجاد قفزة نوعية في ماهية الاقتصاد الاسلامي ، حتى يكون بالامكان اللحاق بركب الحضارة الحديثة . والأئمة الهداة ضربوا لنا الامثال السامقة في هذا المجال ، فعلى سبيل المثال وفي عهد أمامة الامام محمد الباقر(ع) كان البيزنطيون متفوقين في مجال صنع السكك الذهبية ، حيث يصدرونها إلى بلاد الاسلام ، وهم بذلك كانوا في موقع قوة قياساً بالمسلمين ، حتى أنهم كانوا يحاولون تثبيت المباديء والافكار البيزنطية على هذه السكك ، فسُئل الامام الباقر(ع) حينها عن طريقة يمكن تحاشي تغلغل الافكار البيزنطية ، فأشار عليهم بسبك السكك الذهبية في بلاد الاسلام استغناءاً عن السكك البيزنطية ، وقد أشرف الامام الباقر شخصياً على ضرب أول سكة اسلامية ، ووضع على جانبيها (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) .

إن الحركات الاسلامية العراقية والشعب العراقي المستضعف الذي تآمرت قوى الاستكبار العالمي من أجل سحق ارادته ودوس كرامته ــ بل ابادته إن صح التعبير ــ ، هذه الحركات وهذا الشعب بحاجة ماسة إلى تقوية نفسه اقتصادياً من أجل التمكن من التحدي واستخراج الارادة و بلورة الشخصية الصامدة تجاه التحديات الضخمة ، وهذه الحاجة لا ينبغي التعامل معها على أساس نسيج خيالي من الامنيات والاحلام ، بل إن دخول التجارب المتتالية والغربة عن الاوطان وتأسيس الشركات وانشاء تجمعات اقتصادية في مختلف المجالات هي الكفيلة بتأدية الواجب الثوري ضد أعداء الرسالة .

إن الابتعاد عن بناء قوة اقتصادية بحجة الزهد في الدنيا وتجنب زخارفها و بهارجها غير مقبولة في هذا العصر .. لأن الامر بالزهد في الدنيا إنما جاء في أيام عز الحضارة الاسلامية .. الأيام التي كان زفاف المأمون العباسي مثلاً تملأ على حافتي نهر دجلة تلالا من الحلويات والمأكولات للضيوف .. في مثل تلك الايام حذر الائمة صلوات الله وسلامه عليهم الناس من مغبة التوغل في الفساد وفي ملذات الدنيا .. أما في هذه الايام

حيث يعيش المسلمون مستضعفين فقراء فان الزهد لا معنى له ، ومن هنا فإن على ابناء الشعب العراقي التوجه الجاد نحو تقوية النفس اقتصادياً ومن ثم التوحد في بوتقة واحدة من أجل العمل الثوري .. وفي هذا المجال اضرب مثالاً عن تجربة شيوعية صينية على رغم اشكالاتنا وتحفظاتنا على عموم هذه التجربة في بلاد العالم .. حين نشأت حركة شيوعية في الصين وسيطرت على الحكم بعيد الحرب العالمية الثانية ، خرجت طبقة الرأسمالية الصينية من الصين ، وكونت طبقة ملياردیرية قوية ، تواجد منهم في بريطانيا فقط ثلاثون ألف ملياردير .. وحين سمحت لهم الصين بالرجوع إلى الوطن ، رجعوا بقوة المال ، واستطاعوا بهذه القوة تحويل الحكم الصيني إلى حكم رأسمالي .

وبذلك يكون المال قد استخدم كوسيلة سياسية للسيطرة على بلدان كثيرة .. ومن هنا أيضاً تتأكد ضرورة بناء القوة الاسلامية المالية .. هذه القوة التي يحصل بعضها في مصر إذ توجه الاسلاميون في مصر بعد الانفتاح الاقتصادي المصري خصوصاً بعد معاهدة كامب ديفيد عام ٧٩م ، توجهوا إلى تأسيس بعض المشاريع الاقتصادية التي تصب في مصلحة الاسلام ، فقاموا بعمل استثمارات اسلامية وانشاء بنوك اقتصادية لا ربوية ،و تعاملت معهم غالبية الشعب المصري الباحث عن الرزق الحلال ، وفعلاً أصبحت هذه الشركات ذات النبتة الاسلامية على وشك السيطرة الكاملة على الاقتصاد المصري حتى أن نصف الدخل القومي المصري بات تحت اشراف هذه الشركات ، وهذا ما دفع الحكومة المصرية إلى محاربة هذا التوجه الاسلامي الاقتصادي ، لكنها لم تستطع فعل أي شيء ، لأن هذه الشركات تغلغلت في العمق المصري .

إذن على الجميع أن يبدأوا مسيرة جديدة في هذا المجال معتمدين على هممهم العالية وتخطيطهم للمستقبل البعيد وتجاوز الظروف القاسية مهما كانت من أجل الاسراع في عملية الانتصار الاسلامي ، هناك اسطورة صينية لطيفة في مجال تجاوز الصعاب ، حيث كان أب عجوز مع أحفاده وأولاده على حافتي جبل .. فأمر الأب ابناءه باختراق الجبل لالتقاء الأحبة .. فسأله الابناء وكيف يكون ذلك ؟

قال : ارفعوا الجبل !!

وبدأ الاحفاد يرفعون حجارة الجبل في كل يوم حتى تمكنوا من الالتقاء .

على رغم ان هذه اسطورة وليست حقيقة ، إلا أن الانسان قادر على تحدي متغيرات

الزمن بما وهبه الله من علم وارادة دون تشاؤم و يأس ، ففي اليوم الذي استشهد فيه الامام الحسين (ع) في تلك الواقعة الرهيبة التي لم ولن تمر في التأريخ واقعة أكثر منها بشاعة وفظاعة تشاءم الكثير من امكانية القيام مرة أخرى ، لكن الامام زين العابدين قاد مجاميع الرسالة مستفيداً من بركة دماء الامام الحسين في نشر قيم الاسلام ومبادئه الخالدة .

إن من أخطر الذنوب القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله ، والله سبحانه وتعالى يؤكد في آية كريمة :

« وأما بنعمة ربك فحدث » . (١١/الضحى)

يؤكد على أهمية عدم الكفر بالنعمة والتوجه نحو العمل الايجابي لا السلبي ، فالشعب العراقي اليوم يجب أن يتجاوز اشاعات المثبطين بعزيمة ملؤها الجد والاجتهاد ، كما أنني أبشر الذين يتوقعون اليأس لدى الحركة الاسلامية ، بأن هذه الحركة وفي هذا الوقت بالذات أقوى من أي يوم مضى ، لأنها تقوم على ساقيها متوكلة على الله ، وتفجر كفاءتها معتمدة على شعبها ورؤيتها للمستقبل ، لكي تكون بذلك البقية الصالحة التي تدعو إلى الله وتنهى عن الفساد والمنكر .

الركيزة الثانية : قوة الرجال :ـ

وهذه المادة الثانية في ثلاثي القوة المطلوبة .. ويمكن لهذه المادة أن تتراكم بعد الجهاد الطويل والتحدي الذي وصل إلى ذروته ، هذا التحدي الذي يستلزم تطوير الطاقات ونقل الشعب والابطال إلى مرحلة جهادية متفوقة ومتعالية تجعل من الرجل الواحد جماع ألف رجل من كفاءات العدو ، فالطبيب الذي تأهلت نفسه الايمانية إلى مستوى رفيع يتمكن من انقاذ العالم ، وكذا المهندس الذي يمتلك ارادة فولاذية يستطيع ان يتحدى الطغاة بقوة ارادته وهو شخص واحد .

نبي الله ابراهيم (عليه السلام) كان شخصاً واحداً يحمل في روحه و بين جنبيه كفاءة أمة كاملة .. ومن هنا فان قوة الرجال التي يحتاجها العمل الاسلامي في هذا العصر تنبغي أن تكون فريدة من نوعها تمتلك ارادة التحدي ولا تتهيب من دخول المشاكل بل تتحداها وتتجاوزها ، وهذا هو المطلوب من أفراد الحركة الاسلامية في

العراق اذ من الواجب عليهم توفير قوة الارادة أولاً ، ومن ثم يتميزون بالتربية الفاضلة المتضمنة لعوامل التفوق والهمة العالية التي يتميز بها على سائر الناس العاديين ، وحين يتراكم عندنا هذا المجموع المتفوق من أبناء الحركة الاسلامية ، فانه قادر على تغيير معادلات استراتيجية في المنطقة وفي كافة المجالات ، و بالخصوص في اسقاط نظام بغداد .

وتجدر الاشارة إلى أن المقصود من قوة الرجال هو قوة النوع لا كثرة العدد ، فاذا اكتملت تجارب الارادة ومصاديق التحدي عند رجل مؤمن ، فإنه يكون مادة الركيزة الثانية ، وحينها يتمكن من افتتاح المسيرة الثورية في نضج تام ، ولعل سن الاربعين كان لدى أغلب الانبياء حيث تتوفر لديه تجارب الحياة ، لتعطيه المزيد من الحيوية والنشاط والجد والاجتهاد .

النبي الأكرم (ص) في فتح مكة أمر اصحابه بالخضاب ، من أجل أن يتصورهم الاعداء شباباً ، وهكذا طلب منهم الهرولة في الطواف وكان هو يهرول معهم أيضاً لاظهار القوة الاسلامية .. وقوة الرجال تكون في كل الأعمار ، فسليمان بن صرد الخزاعي كان عمره يناهز الثمانين ، لكنه قام بعملية انتحارية ضد الحكم الاموي بعد شهادة الامام الحسين (ع) ، وعمار بن ياسر كان عمره يقارب التسعين لكنه كان يكرر في ميدان الحرب تحت امرة الامام علي (ع) كلمة (الرواح إلى الجنة) .

إن تفوق ابناء الحركات الاسلامية على ظروف الحياة العادية وامتلاكهم لمعظم ابعاد التحرك الرسالي يعطي لهذه الحركات قوة الرجال .

وهناك بعد آخر لقوة الرجال يتمثل في بعد الوحدة الذي تكلمنا عنه كثيراً ، لكني أود التأكيد على هذا البعد باعتباره لازمة أساسية في هذه الظروف الحساسة ، والوحدة تكون في وحدة الطاقات الاسلامية والتفكير في امكانات الاطراف الأخرى والاعتماد على الله سبحانه وتعالى .

إن الحركة الاسلامية في العراق مرت بمراحل عديدة ، ولكننا نرجو منها في هذه الايام أن تتجاوز حالة المراهقة لتدخل مرحلة الا تزان والتعاون البناء والتفكير بواقعية والتخطيط بمنهجية استراتيجية وتكتيكية .

ولكي نبدأ هذه الوحدة لا بد من توسيع المنهاج الفكري العام ، وتجاوز المنهجيا

الانفرادية الخاصة ، لتفكر بصورة جمعية على صعيد العمل .

الركيزة الثالثة : قوة السلاح :ـ

يقول تعالى شأنه في القرآن الحكيم :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

(٦٠/الانفال)

وسورة التوبة التي تقدم الحديث بها تؤكد على أن الانسان يعد الخطط لجهاده ، وعكسه صحيح ايضاً « ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة » بمعنى ان الانسان المجاهد يضع استراتيجية تحركه وجهاده ولكن الانسان القاعد لا يكلف نفسه عناء التفكير في طريقة الجهاد وأساليبه .

هناك مثل شائع عند الفقهاء ، هو (كن على السطح) ، أي يبحث عن درجة ليصعد إلى درجة أعلى ، لأنه لا يتمكن من القفز مرة واحدة إلى السطح ، إذ أن مقدمة الواجب واجب ، سواء كان شرعياً أو عقلياً .

وهكذا قوة السلاح حيث يحتاج إلى مقدمات من قبيل التدريب الجاد والمواصلة عليه ، لكي تتوفر قوة السلاح من أجل تهيئة الامة واعداد الشعب ليوم الانتصار الكبير .

ملامح المجتمع الثائر

مهما اختلفت الآراء حول العوامل الأساسية للثورات والظروف التي تصنعها أو تساعد عليها ، فان هناك حقيقة هامة لا يمكن انكارها ، وهي : ان للتربية الفردية والاجتماعية ، دوراً أساسياً في الثورات ذلك لأن (اصالة الانسان) هي محور الثورات لا (أصالة الحتميات) .

الانسان هو الذي يقرر ان يصنع واقعه حسبما يرى ، و يسعى من أجل ذلك فيصطدم بالعقبات ، و يتصارع معها حتى ينتصر عليها ، فيصبح (ثائراً) ، ونسمي هذه العملية بـ (الثورة) .

أما اذا خارت عزيمة الانسان ، واستسلم للحتميات والظروف المحيطة به ، فانه ليس فقط لن يصنع ثورة وحسب ، وانما سيصبح حجر عثرة امام أي تغيير أو تطوير

وكما ان اصالة الانسان محور الأفكار الرسالية ، فانها محور التربية ، فلولا قدرة التوجيه على تغيير مسار الانسان ، ولولا ان الانسان حرٌ في أن يتحدى واقعه الفاسد بقوة التوجيه لانعدمت فلسفة التربية أساساً .

وأن هناك نوعين من التربية يؤثر أحدهما في الثورات تأثيراً حاسماً ، بينما للثاني تأثير مساعد :

(١) التربية الفردية : وهي البرامج التربوية التي تنصب اهتماماتها على تربية القيادات والكوادر ، حيث يقول مؤرخو الثورات : ان القيادات التي توجه الثورة ، و بالذات شخصية القائد الأعلى ، والمرشد العام للثورة ، الذي يعطيها من روحه الوثابة ،

ومن عقله النيّر، ومن طاقته المتفجرة الروح والنشاط والتخطيط والدفع السريع، ان لها دوراً اساسياً في انتصار الثورات، فالقائد الملهم أحد الشروط الأساسية الذي يجمع عليه كل مؤرخيّ الثورات تقريباً، حتى الذين يؤمنون بالحتميات الاقتصادية أو الاجتماعية، وما اشبه يشيرون الى دور القيادات الكبيرة بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

(٢) التربية الاجتماعية: ان لكل مجتمع من المجتمعات روحاً تسوده، هذه الروح هي خلاصة تفاعلات التربية الفردية لكل فرد في المجتمع، مضافة الى مجموع افكارهم وأنماط سلوكهم وشخصياتهم، وانواع ردود افعالهم اتجاه الاحداث.

و يولي بعض المؤرخين وعلماء الاجتماع، لهذا الجانب أهمية كبيرة، ربما أكبر من حجمه، إذ أن هناك الكثير من البحوث والكتب التي تتحدث حول روح الشعوب، فتبين ــ مثلاً ــ ان الشعب الروسي منضبط كسول منضبط وحاد المزاج، والشعب البريطاني خامل الفكر، ولكنه منضبط و يتبع قاداته، وهكذا تراه يبين خصوصيات الشعب الهولندي، أو الصيني، أو العربي، خصوصية عامة تكاد تشمل كل الافراد.

ونحن وان كنا لا نوافقهم مائة بالمئة، الا أن كتاباتهم تحتوي على نسبة معينة من الصحة، اذ أن الروح الاجتماعية هي ــ بالفعل ــ نتاج الجهود والتصورات التربوية التي يراها كل أب لتنشئة أبنائه، و باجتماع الانماط التربوية المختلفة، تتشكل روح واحدة تطبع ذلك المجتمع بسمة تميّزه عن المجتمعات الأخرى.

والتربية الاجتماعية هي الأرضية التي تنبت فيها بذور الثورة، فان كانت صالحة لنبتات الثورة، نمت وترعرعت بقوة وسرعة حتى النصر، وان كانت غير صالحة لضعفها أو فسادها، لعدم ملائمة الظروف الاجتماعية والجغرافية المناسبة. فان الثورة ليس فقط لا تنمو، وانما تموت في هذا المجتمع، فمثلاً يذكر علماء الاجتماع أن المجتمعات النهرية لا تفكر في الثورة، وانما تتجه نحو الدعة والنظام، والاهتمام بالأستقرار، بينما المجتمعات الصحراوية التي تتجه نحو الصيد والرعي، أو تلك التي تعتمد على التجارة والصناعة، تراها تبادر الى الثورة كلما وجدت حاجة اليها.

الا ان السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل أن الروح الاجتماعية، و بالتالي التربية هي من صنع الانسان نفسه؟ ام هي نعمة إلهية؟ أو طبيعية ارضية حتمية، لا شأن

للانسان فيها ؟ هل هي ضمن حدود اختيار الانسان وحريته أم هي مفروضة عليه ؟

يجيب على هذا السؤال علماء الدين والتربية والاجتماع والفلسفة : بأن التربية عمل اختياري للانسان ! فالأب يستطيع أن يربّي ابنه حسب ما يشاء ، فاشلا أم ناجحاً ، أنانياً أم اجتماعياً ، مستأثراً لنفسه أم مؤثراً عليها ، شجاعاً أم جباناً ، ونمط التربية يخضع بدوره لنمط الثقافة التي يؤمن بها الفرد .

ان التربية الاجتماعية اذن عامل أساسي من عوامل الثورة ، وهي من صنع الانسان ذاته ، فاذا أردنا أن تتفجر ثورة في مجتمع ما بعد ثلاثين عاماً مثلاً فلا مندوحة من أن نهتم بتربية الجيل الصاعد منذ اليوم كي نحصد ثمار التربية بعد الثلاثين عاماً ، تماماً كما لو أردنا أن نأكل الجوز ، فاننا لا بد أن نزرع أشجارها قبل ثلاثين عاماً .

وهذا أمر طبيعي ، اذا أردت للثورة أن تينع ، فلا بد أن تتعب عليها غرساً وتنميةً حتى تمتد جذورها في كل الأوساط الاجتماعية ، وتمتد فروعها سامقة الى أعلى المستويات ، ويخطىء الكثير من الثوار الذين يستعجلون النتائج و يريدون أن يزرعوا صباحاً ، و يقطفوا مساءً ، أجل بامكانك أن تبذر حبوب الفجل اليوم وتقطف أوراقه بعد ثلاثة أسابيع ، ولكنك لن تحصل على بساتين النخيل أو الزيتون من هذه العملية اطلاقاً ، واذا كنت تزرع الفسائل اليوم وتريد أن تأكل منها بعد شهر أو شهرين فأنت واهم .

لقد قام الامام زين العابدين (ع) بزرع بذور الثورة عبر التربية الرسالية منذ عام (٦١) للهجرة ، وظل خمساً وثلاثين عاماً على هذا المنوال ثم جاء ابنه الامام الباقر(ع) ليواصل المسيرة ، غرساً وتعهداً ، ليفجر بعد ذلك زيد بن علي جزءاً من تلك الثورة ، ثم ليستمر الامام الصادق (ع) في الغرس والتعهد ، لأن أوان القطف لم يحن بعد ، وكان مقدراً ان يقوم الامام الكاظم عليه السلام بعملية التفجير ، ولكن لم يفعل ، لأن رياح التغيير لم تجر بما اشتهت سفن الثورة .

القضية ليست بسيطة ، لأنها قضية بناء ثورة . بامكانك ان تزرع قنبلة هنا فتنفجر في لحظات ، أو تقوم باخراج مسيرة جماهيرية ، الى الشارع العام ولكن مثل هذا العمل يعد سريعاً وعليه فانك تأخذ نتائجه سريعاً ، و ينتهي العمل وتتبخر النتائج .

وهنا سؤال آخر يطرح نفسه يقول : ما هي الأسس التربوية التي نستطيع بموجبها أن نحسب حساباً للثورة ؟

ان هناك جانبين رئيسيين للتربية الثورية هما :

ــ تربية الفرد الثوري .

ــ تربية المجتمع الثوري .

ألف ــ لوسعى كل أب الى تربية أبنه على الصفات الحسنة التي يأمر بها الاسلام ، كالشجاعة والاقدام وحب الآخرين والاحسان اليهم ، والايمان والاستعداد للدفاع عن الحق الى آخر نفس ، والمبادرة ، والوعي والذكاء ، ومجموعة الصفات الفردية الأخرى ، فانه سوف يُصبح عنصراً ثورياً ممتازاً .

باء ــ ولكن الأفراد كأفراد لا يثورون ، وانما يثور المجتمع حينما يتمتع الأفراد بروح جماعية ، فلو تصورنا مجتمعاً فيه مليون شخص ، يعيش كل شخص لنفسه و بطريقته الخاصة ، لاحتاج ذلك المجتمع الى مليون سنة لتثويره ، لأن كل فرد يعيش في حدود ذاته .

هل سمعت قصة العصى ؟ حينما حانت وفاته استدعى الأب أبناءه العشرة وناولهم حزمة من القصب ، وأمر كل منهم أن يكسروا الحزمة فحاول الواحد بعد الآخر كسرها فلم يستطع ، فما كان منه الا أن فك رباطها ووزعها عليهم ، لكل فرد قصبته ، فكسر كل منهم قصبته بسهولة ، ثم قال لهم : هذا مثلكم أنتم اذا اجتمعتم تحديتم الناس جميعاً ، والاّ فان اضعف الناس سوف يتحداكم ! وهكذا المجتمع الذي يعيش أحاديّاً ، فانه لا يقدر على الثورة .

انما الروح الجماعية أو الوحدة دعامة اساسية في الثورة ، الا أن الوحدة ، تخضع للنسب ، فقد تبلغ نسبة الوحدة في مجتمع (١٪) ، بينما تبلغ النسبة في آخر (٥٠٪) ، في حين تبلغ في ثالث (٩٨٪) ، وهكذا دواليك ، والوحدة لا تكفي لثورة المجتمع اذا كانت بنسبة دانية ، وانما يجب أن تبلغ نسبتها مستوى عالياً يهيء الظروف للثورة .

اذن لا بد ان نربي المجتمع على الوحدة بتنمية الصفات التي توفر التفاعل بين افراد المجتمع ، كصفة الاخوة ، والاستشارة ، والنصيحة ، والتواصي بالحق والصبر ، والعطاء المتبادل ، والقدرة على تكوين التجمعات الحضارية .. و بالطبع فان تنمية هذه الصفات ليست هيّنة ، وانما هي بحاجة الى برامج تربوية تبدأ مع الانسان منذ الطفولة ، بل منذ اللحظات الأولى لولادته !

ونحن بحاجة اليوم الى برمجة تربيتنا لاولادنا على أساس الوحدة ، وعلى أساس عدم العزلة عن المجتمع ، على أساس الحرية ضمن النظام ، والمبادرة مع الانضباط ، والتنفيذ وليس الجدل ، وتفجير الطاقات ، وليس التبرير .

واذا أردنا لامتنا الاسلامية بعد (٣٠) عاماً أن تعيش بحرية وكرامة واستقلال ، وتتحدى القوى المناهضة ، فان ذلك لا يتم الا عبر برامج تربوية اجتماعية تبدأ من الآن .

القوى الامبريالية ، والقوى الصهيونية ، يخططون لاستعمارنا ثم يبرمجون تربية أولادنا على أساس الخضوع لهم ، أفلا يحق لنا أن نفكر جدّياً في تربية أولادنا على الثورة ضدّهم ؟

فتلك اسرائيل ــ الغدة السرطانية والقوة التوسعية التي لا تعتمد سوى قدرتها العسكرية وتنشر خلاياها العميلة ، وهيمنتها الاقتصادية والحربية ، على كثير من المناطق ، ومن ضمنها منطقة البترول ــ تربي ابنائها على الروح العسكرية منذ الصبا ، ففي تقرير حول تربية الجندي الاسرائيلي يقول : ان وزارة الدفاع تأخذ الجنود أطفالاً منذ الأسبوع الثالث من ولادتهم لحساب الوزارة ، لتنشئتهم على روح الحرب للدفاع عن المطامع الامبريالية العالمية باسم اليهودية والصهيونية والتوراة والدفاع عن الله !

فاذا كان عدونا يربي أطفاله منذ أسبوعهم الثالث من العمر للاعتداء علينا ، وهدم البلاد الآمنة في فلسطين ولبنان ومصر والشام ، افلا يجدر بنا أن نعمل مثله ، وان نقوم بتربية أطفالنا من نفس العمر لأجل الدفاع عن النفس !

تعاليم الاسلام في التربية :

ان برامج القرآن ووصايا رسول الله (ص) وتعاليم اهل بيته الكرام من الائمة الهداة المهديين تهدف فيما تهدف هذا النوع من التربية .

ان حديثاً كحديث رسول الله (ص) الذي يقول :

« انما بُعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

لا يتصل ببناء الشخصية الرسالية الثورية وحسب ، وانما هو مفتاح التربية الاجتماعية ايضاً ، فان المجتمع الذي تتركز فيه الامراض النفسية ، كعقدة الحقارة ، أو

الصعبة ، أو عقدة أوديب وغيرها ، لا يستطيع أن يثور ضد اعداءه لتفككه وعدم استقراره ، كما لا يستطيع أن يثور مجتمع ، الأخ فيه لا يصدق مع أخيه ولا يخلص له ، ومعظم الأحاديث تحذرنا من النتائج السلبية الواضحة لهذه السلوكات الاجتماعية .

فقد ورد في الحديث :

« اذا تحاسدتم ولي عليكم شراركم .. (أو في رواية) غيركم .. » .

فهل للحسد علاقة بتولية الآخرين ؟ بلى : اذا كان أفراد المجتمع يتحاسدون ، و يتنافسون تنافساً غير شريف ، يأتي العدو فيأخذهم جميعاً .

أجل ان الانسان الفرد لا يمكن أن يعيش مستقلاً موحداً لله غير مشرك به ، ان كانت نفسه مركزاً للصفات الفاسدة ، و بؤرة للخلقيات الرذيلة ، فكيف بالمجتمع ان كان كذلك ؟

من هنا نستطيع أن نتبيّن قيمة وصية الامام علي (ع) لابنه الامام الحسن (ع) والتي يطرح فيها برنامجاً متكاملاً لتربية الأب لابنائه ، فقد بدأ الوصية بالحديث عن البرامج العلمية والتعليمية ثم بالتوجيه الى ذكر الموت ، ثم ذكر عبر التاريخ باعطائنا منظاراً تاريخياً ، ننظر عبره الى الماضي والمستقبل ، ثم تطرق بعد ذلك الى سلسلة من الوصايا الاجتماعية التي لو طبقها المسلمون ــ وأرجو أن نطبقها ــ لنزلت علينا بركات الله وانتصرنا على الاعداء انشاء الله . يقول الامام علي (ع) :

« ومن خير حظ امرءٍ قرين صالح » .

يريد الامام (ع) في هذه الوصية الثورية ان يتجمع الصالحون مع بعضهم ليشكلوا بذلك الخلايا الاجتماعية الرسالية القادرة على التصدي للاوضاع الفاسدة .

ثم يقول (ع) :

« فقارن اهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن منهم ، لا يغلبن عليك سوء الظن ، فانه لا يدع بينك وبين صديق صفحاً (اي اعراضاً) » .

لأن سوء الظن بين الأصدقاء يزرع بينهم حب الانتقام و يفصم حبل المودة و يفسخ الثقة من بينهم ، و بعد ذلك يقول (ع) :

« بئس الطعام الحرام ، وظلم الضعيف افحش الظلم ، والفاحشة كاسمها ، والتصبر على المكروه يعصم القلب » .

من الناس من لا يمتلكون الصبر، ولكن عليهم ان يُنمّوصفة الصبر في انفسهم بالتصبر واحتمال الاذى فمن احتمل صفة يكاد ان يصل اليها ، ر يقول الامام (ع) :

« واذا كان الرفق خُرقاً ، كان الخرق رفقاً » .

في بعض الاوقات ، نحتاج الى ان نثور ونتمرد ونخترق القوانين ، كما نحتاج في أوقات اخرى ان نكون هادئين ونتحمل الصعاب ، فعملية الخرق أو الرفق ، انما هي خاضعة لتخطيط الانسان ، لعقله ووعيه و بصيرته وليست لارتجالياته ، فعلى الانسان ان لا يسترسل في الحياة ، فربما الناصح ينصح ، وربما الناصح يغش .

« واياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى » .

فالأحمق هو الذي يمنّي نفسه ، أما العاقل فانه يعتمد السعي والحركه ، كي لا تقعده أمانيه بالتماطل عن الوصول الى أهدافه الدنيوية والأخروية .

« وزكِ قلبك بالأدب كما يُذكى النار بالحطب ، ولا تكن كحاطب الليل وغثاء السيل » .

ان الادب يزيد القلب نزاهة واشتعالاً بحب الحياة والخير، كما يزيد الحطب النار التهاباً واشتعالاً ، فحسن الأدب هو الذي يمحو من القلب العقد ، وأوساخ الشهوات والأطماع ، ليوجهه نحو العطاء والبذل والشعور بالراحة واللذة خلال التعامل بالحسنى ، بعكس الأناني الحقود الذي لا يستشعر سوى الضجر الدائم كالجسد القذر مثقل بالأمراض والتعب .

وهنا على المؤمن أن ينتقي من الآداب ما نفع ، فما كل مكتوب بنافع . فقد يجمع الحطب في الليل فيجد انه كان مجموعة اشواك في النهار أو كغثاء السيل الذي يصور لنا السيل شيء كثير وعندما نضع يدنا نجده لا شيء .

ثم يوجه الامام النصيحة حول الاستقامة في السيرة قائلاً :

« وكفر النعمة لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم ، والعقل حفظ التجارب ، وخير ما جربت ما وعظك ، ومن الكرم لين الشيم » .

فمن حق المنعم أن يُشكر لا أن يجحد ، اذ أن من الناس من يقول لمن ينعم عليه بشيء انك لم تصنع لي شيئاً انما نفذت الواجب عليك وهذا غير صحيح لأنه لؤم .

ان الكرم ليس بالمال فحسب ، والذي لا يملك المال قد يملك الأخلاق الفاضلة ،

والعفو والبشاشة ، ثم يقول (ع) :

« وبادر الفرصة قبل أن تكون غصة » .

وهذا أقوى سلاح يمتلكه الثوري اذا امتلك عنصر المبادرة وترك عدوه في دوامة من ردود الفعل ، والبعض يترك الفرصة تمر دون اغتنامها ، وفوتها غصة ، اذ لا تعود اليك .

و يؤكد الامام الفكرة ذاتها بتعبير آخر قائلاً :

« ومن الحزم العزم ، ومن سبب الحرمان التواني » .

بعد ذلك يلفت الامام النظر الى مسألة هامة قد يتعرض لها الكثير منا ، الا وهي التفريط في الزاد ، زاد المسيرة حيث لا ننتبه للمأساة الا حين نمد الأ يدي الى اللئام .

يقول الامام (ع) :

« ومن الفساد اضاعة الزاد ولا تبيّتن من أمر على عذر» .

اي لا تأت عملاً تعتذر منه .

« ومن حلم ساد ، ومن تفهم ازداد ، ولقاء أهل الخير عمارة القلب ، ساهل الدهر ما ذلّ لك قعوده ، واياك أن تطيح بك مطية اللجاج ، وان قارفت سيئة فعجل بمحوها بالتوبة ، ولا تخن من ائتمنك وان خانك ، ولا تذع سرّه وان أذاع سرّك ، ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه ، وأطلب فانه يأتيك ما قسم لك ، والتاجر مخاطر ، وخذ بالفضل ، وأحسن البذل وقل للناس حسناً » .

كل هذه الصفات من شأنها أن تخلق الانسان الثوري ، ان الانسان المنضبط يكتم غيظه ، فيحبب اليه الناس فيسود بحلمه ، مع ما يمتلك من ميزات قيادية أخرى ، و يزداد قرباً لأصحابه بالتفهم والتقاء أهل الخير ، وهو لانضباطه لا يذيع سرّاً ولا يخون من ائتمنه ، ولا يترك ما بيده طمعاً ولا يقعد عن السعي طلباً لما قسم الله له ، ودأبه قول الحسن لمستمعيه .

والمجتمع الذي يتربّى على هذه الأسس التربوية ، هو مجتمع يصلح للثورة .

و يتابع الامام تربية نجله الامام الحسن عليه السلام بالقول :

« وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لها ، انك قلما تسلم ممن تسرعت اليه » .

أي لا تتسرع في صداقاتك ومعارفك فاذا أردت أن تتعامل مع الناس فاختبر من تريد

صداقته ، فاذا اختبرته تعامل معه كي لا تندم فيما بعد .

« واعلم ان من الكرم الوفاء بالدمم ، والصدود آية المقت ، وكثرة العلل آية البخل ولبعض امساكك على أخيك مع لطف ، خير من بذل مع جنف الجور والتجهم وجه القطيعة » .

أجل ان الامساك مع البشاشة خير من العطاء الذي يستهدف التسلط والظلم ، كما أن الصداقة لا تكون بالثرثرة ، وانما باسداء الجميل وحسن العشرة والألفة .

« واحمل نفسك من أخيك عند صرمه إياك على الصلة ، وعند صدوره على لطف المسألة ، وعند جموده على البذل ، وعند تباعده على الدنو ، وعند شدّته على اللين ، وعند تجرمه على الاعذار ، حتى كأنك له عبدٌ » .

وهذه صفات الرسالي انه لايواجه اخطاء اخوته بالمثل ، ولا يحاول ان يتصيد اخطاءهم و يسجلها عليهم و يشهر بهم ، عليه ان يعذرهم ، يتلطف لهم يصلهم كأنه لهم عبد أي احسب نفسك عبداً لصديقك ، وهذ النصيحة هي للجانبين ، فانت تحسب نفسك عبداً له ، وهو يحسب نفسه عبداً لك ، لكي يعيش التجمع حياة الفة ومحبة .

و يذكر الامام باي نوع من الأخوان يمكن التعامل معه بهذه الطريقة اذ يقول :

« واياك أن تضع ذلك في غير موضعه ، أو تفعله في غير أهله » .

فليس كل صديق جدير بتلك المعاملة فقد تصادف شيطاناً فهل تؤاخيه ؟ لنبحث بجد عن صديق ونكتشفه ونتعامل معه بالاحسان والايثار ، ولا ننتظر منه ان يكون هو كذلك قبل ان نبدأه بالخير ، كقصة ذلك الطفل الذي اعطته امه تفاحة وأمرته بأن يقسمها بينه و بين اخته ، تقسيم إبن فاضل حسن الأدب فسألها : ما هي صفة الابن الفاضل الحسن الأدب ؟ فقالت : هو الذي يُعطي لأخته القسم الأكبر من التفاحة اذا قسمها بينه و بينها ، فما كان من الابن الا أن اعطى التفاحة لأخته وقال لها : اقسميها قسمة البنت الفاضلة الحسنة الأدب فهناك من الناس من يريد ان يعطي لصديقه التفاحة ليكون صديقه الحسن الأدب وليس هو .

فهل الصديق أولى بالخير منه ؟ لماذا ينتظر الآخرين أن يحسنوا اليه ، فالامام يخاطبنا في مناسبة أخرى قائلاً :

« ولا تقل أن غيري أولى بالخير مني » .

ثم يقول في الوصية بصدد اختيار الصديق :

« ولا تتخذن عدوّك صديقاً فتعادي صديقك » .

وهذا كلام موجه الى من يوزع صداقاته هنا وهناك وعلى صعيد واحد ، فيجمع بين الشتات ، وقد يكون صديقاً لأطراف متعادين ، وكيف يتسنى له ذلك ، إلا ان يكون بالنفاق .

« ولا تعمل بالخديعة فانه خلق اللئيم ، وامحض أخاك النصيحة » .

وأما بالنسبة للأخ فلا بدّ من محضه النصيحة سواء قبل أم لم يقبل سواء رضي أم سخط ، وافق أن يبقى صديقاً لك أم لم يوافق ، ان الصديق هو من أهدى الي عيوبي وأبكاني من أجل أن أسعد ، لا من يضحكني فأشقى هكذا تمحض النصيحة .

« وساعده على كل حال وزلّ معه حيث زال ، ولا تطلبن مجازات أخيك وان حث التراب بفيك ، وجد على عدوّك بالفضل فانه أحرى بالظفر ، وتسلم من الدنيا بحسن الخلق ، وتجرع الغيظ ، فاني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألذّ منها مغبة ، لا تصرم أخاك على ارتياب ، ولا تقطعه دون استعتاب ، ولن لمن غالظك ، فانه يوشك ان يلين » .

وهكذا يستمر الامام في النصح والارشاد بما يحفظ للانسان اخوته وأصدقائه ، فانهم حتى ولو بدا منهم شيء ، فلا يجب أن يحمل على السوء ، فان الصديق لا يُفرط فيه بمجرد الخطأ ، ولا يسقط من العين لاي عيب ، فلا يجوز أن تترك صديقك دون أن تستعتبه وتصارحه ، بما فيه من الاخطاء ، لأن من الجائز أن تكون أنت المخطيء ، ولدى المصارحة تنكشف الامور ، وتصفو القلوب ، فتعود المياه الى مجاريها ، أما اذا كان معك غليظاً ، فعامله بلطف ولين ، مهما كان شديداً فانه ــ بدوره ــ يلين معك تدريجياً .

وهكذا يستمر السياق في بثّ النصائح الهامة لوضع البرامج التربوية الاجتماعية التي تدفع الى تلاحم المجتمع ليتحول المجتمع المفكك الأحادي الى مجتمع متماسك مركز متلاحم متفاعل كالكتل الصخرية القوية التي تتحدى الأمواج العاتية .

الوعي الثوري

ما هي الثورة التي نقصدها ؟

[وهل هناك حدود فاصلة بينها و بين الحركة الاصلاحية التي تستمر طبيعياً في الحياة أم لا ؟

لقد اصطلح على تحديد معنى الثورة بالتغيير الجذري ، فهي في الاصل «اثارة» والاثارة عملية لا تتم الا بتغيير أساس واقعٍ حتى يثار و يتحول الى واقع آخر.

بيد أن هناك فرق بين الثورة والاصلاح ــ في المصطلح السياسي الحديث ــ وهو ان الاصلاح عملية مستمرة في حياة الانسان ، سواء كان هذه الاصلاح في المجال المادي أو المعنوي ، حيث ان حياة البشرية تسير بطبعها نحو الاصلاح (كما يراه البشر سواء اخطؤا في تقدير حالة الصلاح أم أصابوا) .

بينما الثورة ظاهرة لا تتكرر الا في ظروف خاصة وتختلف مضامينها باختلاف الفلسفة التي تقف وراءها ، فالفلسفة المادية تعتقد ان الثورة هي التحول الجذري في حياة الانسان باتجاه تغيير واقعه الفاسد المتمثل في التخلف ، في حين ان الفلسفة الاسلامية تنفي هذه الفكرة من رأس وترى ان الثورة الحقيقية هي تغيير حياة الانسان القائمة على أساس الانحراف واعادتها الى فطرتها المستقيمة .

الحرية أم القمع والارهاب ؟

هل تنشد الكرامة أم الاهانة والذلّ ؟

هل تطلب المعرفة أم الجهل والتضليل ؟

وهل تفضل الوحدة والوفاق أم التجزئة والخلاف ؟

ثم و بعد ان نبلور فطرتنا دعنا ننظر الى العالم و بالذات الى عالمنا الاسلامي فما عسانا نرى ؟

اني اعني هنا هؤلاء الشبيبة الذين لم تتلوث نفسياتهم بوسخ الجاهلية الحديثة ولا تزال شعلة الرفض متوهجة في اعماقهم ، ولا تستطيع اجهزة الارهاب الفكري والسياسي ان تدجن نفوسهم أو تمسخ فطرتهم النقيّة ونفوسهم الأ بية .

انّي ادعوهم للعودة الى فطرتهم وهم في مقتبل العمر ، وليسألوها ماذا تريد من هذه الحياة ؟ اما أولئك الذين تجاوزا هذا السن ليعودوا بذاكرتهم الى الماضي ــ أيام نشأتهم وشبابهم ــ هل كانوا يحلمون بحياتهم التي يعيشونها الأن أم لا ؟

ذلك لان الشباب الناشيء في الواقع وخلال المراهقة هم المقياس الفطري لحياة الاستقامة البعيدة عن الانحراف ، لان أيام الشباب هي الايام التي يكشف الله فيها عن عقل الانسان ، ففي تلك الايام يهب ربنا تقدّست أسماءه لقلب الانسان فجوره وتقواه حسب ما جاء في الاحاديث الشريفة ، فتلك الأ يام هي مقياس تقييم الحياة .

فلنتساءل اذن من خلال استعادة الذكريات آنئذ : أي حياة كنا ننشد وأي مجتمع كنا نعيش فيه ؟ ولربما لو قيل لنا آنئذ ان لا أمل في تغيير الأ وضاع فهي ستستمر بما فيها من ذل وارهاب وقمع ، لكنّا نفضل الموت على الاستمرار في الحياة ، ولكن شيئاً فشيئاً استطاعت اجهزة القمع والتسلط بوسائلها القمعية والتضليلية ، واجهزة التلو يث الفكري والروحي التي تمتلكها ان تتغلب على فطرتنا السليمة ، حتى فرضت علينا الامر الواقع .

فلننظر بتلك الفطرة السليمة ــ والعقل الوهاج الذي غرسه ربنا في اعماقنا ــ الى الحياة لنكتشف مآسينا ولنعرف في أي وضع شاذّ نعيش ، وهل خلقنا الله سبحانه لمثل هذا الوضع ؟

هل خلق الشعب العراقي ــ على سبيل المثال ــ حتى يصبح لعبة بيد جبّار زنيم يلعب بالنفوس والاموال والاعراض ، بل و بالمقدسات الدينية ؟ .

لقد نقل لي أحد الوافدين من العراق ان الطاغية صدام فرض على شعبنا المسلم في

العراق ان يسلموا عليه باعتباره قائداً، قبل أن يسلموا على الامام أمير المؤمنين على بن أبي طالب (ع)، أو على الامام أبي عبد الله الحسين (ع)، اذ فرض عليهم أن يبدأوا قبل الزيارة بهذه العبارة «اللهم احفظ لنا صدام قائداً وذخراً في الدنيا والآخرة».

هل خلق الشعب العراقي ليكون صدام، مثل الجريمة والفساد، ذخراً له في الدنيا والآخرة؟

وهل يجعل الله مجرم المجازر والتهجير والاعتداء على الاعراض والابادة بحرب مفروضة وتغيير المعالم الجغرافية والارهاب والاعدامات ذخراً للشعب المسلم؟

ربما فقد البعض في العراق فطرتهم النقية ودجّنوا وروّضوا وسلبت منهم فطرتهم وقالوا لا بد أن نقبل بهذا الوضع وكأنه قدرنا ومصيرنا!

ونقول كلا.

ماخلقنا الله هكذا، ولا أراد لنا ان يكون صدام ملكاً على العراق، أو حسني اللامبارك فرعوناً على مصر، وما خلق الشعب المسلم في الجزيرة العربية ليحكمه القرود، كلما مات قرد نزى على السلطة قرد آخر، وأمر جميع الناس ان يبايعوه ملكاً أو وليّاً للعهد. أبداً لم يخلق شعب الخليج ليحكمهم مجموعة ممن لا دين لهم ولا شرف، فيبددوا ثروات المسلمين على نزواتهم الشخصية، ثم يخلقوا في تلك البلاد ثقافة تبريرية رجعية فاسدة.

ان الله لم يخلق الشعوب الاسلامية لتقع تحت سيطرة الامبريالية الغربية أو الشرقية، أو تحت قبضة مجموعة من العملاء، فعندما تأمرهم الامبريالية بقطع مساعداتهم عن قوات الردع في لبنان تمهيداً للتدخل الاسرائيلي، نجد ان البرلمان الصوري في الكويت يوافق على قطع تلك المساعدات، وفي أقل من اسبوع تقتحم القوات الاسرائيلية المعتدية الاراضي اللبنانية، بينما نجد ان هذا البرلمان الصوري نفسه يفرض عليه ان يوقع على مساعدة النظام العراقي العفن، فيوقّع.

ان تدخل الشيوعيين والاحزاب اليسارية في السياسة لا يمانع! لان الاستعمار يريد اليسار، فهو بديل عن الاسلام و يمكن مساومته واستدراجه الى الاحضان، اما الاسلام فلا، لأنه يعارض الكيان الجاهلي ككل، ولا يمكن التفاهم معه، بينما اليسار فانه يريد

ان يغير جانباً من الجوانب فقط ، فيستبدل عميلاً بعميل ! وهل يهم شكل العميل او طوله وعرضه ؟

ففي العراق يحكم يوماً باسم البعثية ، وغداً باسم آخر والله اعلم .

فالمهم ان لا يحكم الاسلام ، لأنه الروح الاصيلة في هذه البلاد والتي ترفض اي لون من التواجد الاجنبي ، اذن فالشرط الثاني للثورة متحقق ايضاً في بلادنا .

واما عن الارادة الحازمة والعزيمة الصادقة لتغيير الانحراف و وضع الخطط والبرامج العملية لهذا التغيير، فذلك ما نريد ان نتناوله عبر بحثنا ، لان الامة لازالت تفكر بجدية وتبحث صادقة عن طريقة للخلاص من محنتها القاتلة .

يبقى ان نعود الى موقف الاسلام من الثورة ، فكما سبقت الاشارة ان القرآن يتطرق بشكل صريح لمضمون الثورة ، ولكن دون التلفظ بنص هذه الكلمة « الثورة » فبالتدبر في الآيات القرآنية لا نجد دعوة لغير الثورة الجذرية التي لا تعترف بانصاف الحلول أو المواقف المهادنة . بلى ، يتحدث القرآن عن الاصلاح ولكنه لا يعني المصطلح المعروف للاصلاح ، ففي قوله تعالى :

« ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً ان رحمة الله قريب من المحسنين » (٥٦-الاعراف)

وقوله عز وجل :

« ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب » . (٨٨-هود)

أقول : حين يتحدث عن الاصلاح ، فليس بمعنى الترميم مع تقبل الوضع الفاسد القائم ، فالقرآن صريح في هذا الصدد ، لان المهادنة مع الشرك حرام .

يقول تعالى :

« قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين » (سورة الكافرون)

و يقول سبحانه :

« ودّوا لو تدهن فيدهنون » (٩-القلم)

ان الاسلام يرفض لا تباعه ان يهادنوا الظالمين .

« ولو ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً » (٧٤-الاسراء)

فحتى هذا الشيء القليل من الركون الى الظالمين مرفوض اسلامياً ، بل حتى مجرد التمني بمهادنة الفاسدين والمفسدين من قبل المؤمن باطل وحرام ، فكيف حيث يتمنى الرسول او الرسالي ذلك ؟

من هنا فان الاسلام لا يقبل الترقيعات الاصلاحية بالمفهوم الراهن ، وحينما يأمر الاسلام بالتوحيد و ينهى عن الشرك ، انما ليلغي سلطة الطاغوت نهائياً لان الطاغوت شرك ، وعليه فطاعة القوى السياسية غير الدينية في اي مجتمع اسلامي شرك ، لأنه قبول بحكم غير ما انزل الله .

« ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٤٨-النساء)

ولان الاسلام لا يقبل بحكومة الفساد لحظة واحدة ، فان الامام علي بن ابي طالب (ع) حالما اصبح خليفةً للمسلمين كتب رسالة الى معاوية يعزله عن ولاية الشام رغم اعتراض اصحابه على ذلك الاجراء ، مقترحين مهادنة معاوية حتى يبايع الامام ثم يعزله بعد ذلك ، الا ان الامام العادل أبى ان يرضى باجتماع الحق والباطل في لحظة من الزمن ، كيف يولي من لا يراه صالحاً للولاية على المسلمين ، أو ليس ذلك خيانة بحق الله ورسوله ؟

هكذا هو الاسلام ، فهل يقبل اليوم بان نخضع للطغاة الذين يتحكمون في رقابنا ؟

وهل يرضى بمناهج التربية والتثقيف التضليلية التي تقوم بها الوسائل الاعلامية والاجهزة التعليمية في بلادنا ؟

وهل يسكت عن تحكم القوى السياسية وتسلط كل جبار عنيد ؟

أبداً فكل ذلك شرك بالله ، والشرك مرفوض من الاساس .

من هنا نستطيع التأكيد بكل اطمئنان ان اساس الاسلام واساس الرسالات السماو ية قائم على الثورة الشاملة .

الفصل الرابع :

معالم الحضارة الالهية

* التنمية الحضارية.
* الحضارة من اجل الانسان (١).
* الحضارة من اجل الانسان (٢).
* الاســـلام والتقدم الحضاري.
* لكي نتحدى التخلف.
* الاسلام والسلام.
* ازمات الحضارة المادية.

التنمية الحضارية

مشكلة الانسان اليوم لها وجهان

لوجه الاول : يتمثل في مشكلته مع الحياة

والوجه الثاني : في مشكلته مع نفسه .

والانسان المسلم يعيش في العصر الحاضر صراعاً حاداً مع الجاهلية المحيطة به ، ولكن هناك صراع آخر يخوضه الانسان المسلم مع نفسه دون أن يَعيهَ ، ذلك الصراع هو صراعه مع الجهل .

والجهل خفيٌّ لانه يعشعش في داخل الفرد ، على نقيض الجاهلية المتمثلة في القوى الاستكبارية ، ولو قضى الانسان على الجهل في ذاته لاستطاع ان يقضي على الجاهلية في الحياة المحيطة به .

واساس الجهل الذي يتخبط فيه الانسان كأنسان ، هو ابتعاده عن رسالات الله ، فحتى لو بلغ أسمى وأرفع درجة من العلم والحكمة فانه يضل جاهلاً منتمياً الى الجاهلية مالم يستوحي و يستلهم من رسالات الله البصائر والرؤى الالهية ، ذلك لان عقل الانسان الذي يُعدّ العدو القاهر لجهله ، لايمكن اثارته بقوة خارجية ، و بومضة من هدى الله ووحييه ، و بدون الوحي والايمان يبقى العقل ضعيفاً وسقيماً .

ولقد سيطر الانسان اليوم على الطبيعة وسخر الارض ومعادنها ، والسماء ورياحها ، وهو يتحكم باعظم الاجهزة وادقها ، ابتدءاً من الكمبيوتر الذي تستطيع كل حبة منه ان

تحمل ثلاثمائة الف حرف من المعلومات ، ومن الكمبيوتر الدقيق الذي يعيش اليوم عالمنا الجيل الخامس منه ، ومن الذهاب الى قاع المحيطات واستخراج اللئاليء ، وانتهاءاً باجراء اللقاح الاصطناعي بين ماء الرجل والمرأة في الانبوب وزرع الناتج في رحم امرأة اخرى ، كل ذلك استطاع ان يقوم به الانسان بعلمه ، ولكنه بالرغم منه لا يمكنه ان يقاوم شهواته ، أو أن يقاوم الاستكبار أو التعالي والعصبية الا بالوحي و بالوحي وحده .

والدليل على ذلك نرى ان هذا الانسان الذي بلغ ارفع واسمى مبلغ من العلم لا يمكنه مقاومة شهواته الداخلية أو بالتعبير القرآني جهله ، بل يخضع لهما ولانانيته ولشيطانه الداخلي و يوظّف كل ذلك التقدم والحضارة في تحطيم نفسه ، في صنع القنابل الهيدروجينية ، والنتروجينية ، وسائر القنابل الجرثومية و يسخر علمه لدمار العالم وتخلف الشعوب وتبعيتها وليس لاسعادها وتقدمها ، وفي هذا برهان ساطع على انه ضعيفٌ امام جهله ، ذلك الجهل الذي لا يمكن قهره الاّ بتوفيق من الله وعبر رسالا ته .

ان مشكلة الانسان المسلم لا نتركز في عدم ايمانه بالرسالات الالهية ــ حيث انه قد تجاوز هذه المرحلة ــ ، بل تتركز مشكلته في مرحلة معقدة لم يبلغها الانسان المسلم بعد ، وهي مرحلة تجاوز شهواته في فهم الرسالة ، وعدم تبعيضها .

فرسالات الله لا بد ان تُفهم كما هي ، لان التبعيض فيها دمار للانسان في الدنيا والآخرة . والله سبحانه وتعالى لم ينزل الاّ ديناً واحداً موحداً لا تجزئة ولا تفرقة فيه . فلا يمكن ان تقول :

(أنا اؤمن بالصلاة ولكني لا أصوم ، أو أني اؤمن بالصوم ولكني لا أحج ، أو اؤمن بالجانب العبادي في الاسلام وأرفض الجانب الاقتصادي فيه ، أو اؤمن بالجانبين العبادي والاقتصادي ولكني لا التزم بالجوانب السياسية والعسكرية فيه ... الخ)

وتاريخ الدين الاسلامي و بالاخص في عهد الرسول (ص) يؤكد بوضوح على هذه الحقيقة المسلّم بها ، فنحن نرى عندما يعود الجيش الاسلامي من احدى معاركه فاتحاً منتصراً وقد اجتاز اعظم ابتلاء وفتنة نرى هذا الجيش ينتهي الى حيث رسول الله (ص) ، فيقف فيهم القائد الاعظم خطيباً ليقول بايجاز وقوة :

مرحباً بقوم عادوا من الجهاد الاصغر وبقي عليهم الجهاد الاكبر

فقيل : وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟

فقال (ص) : جهادك مع نفسك .

فذلك الجيش كان مقيماً للصلاة مؤمناً بالصيام والحج والاسلام السياسي عبر ايمانه بشخص الرسول القائد الاعلى للجيش ، و يؤمن بالعمل العسكري لخوضه معارك ناجحة ، ولكن مع هذا كان ذلك الجيش دون التكامل ، لانه لم يمارس بعد الجهاد الاكبر .

اذاً فالاسلام كلٌ لا يتجزأ ، والذي يجاهد في سبيل الله و يدخل في خضم العمل العسكري ، يبقى امامه طريق آخر ينبغي سلوكه ، وعمل هام يجب القيام به وهو العمل الاخلاقي المتجسد في الجهاد الاكبر .

لقد عرف الكثير من المسلمين اليوم حقيقة الاسلام واهميته فعادوا اليه للعمل به ، ولكن لا يزال بعضهم يؤمن باسلام متوارث ، أي انه يخلط بين الدين والتراث .

هذا البعض يقدس كل شيء قديم سواء كان صالحاً أم غير صالح ، وموقفه هذا يتأتى من عدم قدرته على تقييم التأريخ ، ولذا نراه يعتبر كل ما في التاريخ وكل من كان حول الرسول (ص) أو جاء بعده من الجيل الاول والثاني والثالث ، يعتبره باجمعه صواباً وحقاً .

ان هذا الاسلام الذي يُعبَّر عنه بـ (الاسلام السلفي) بحاجة الى اصلاح في الرؤية ، لانه لا يمثل فهماً للقرآن .

نحن ينبغي لنا أن نؤمن بالقرآن لا أن نؤمن بالتاريخ . والتاريخ الوحيد الذي نعتبره حجة علينا هو ما يمثل و يشمل سيرة الرسول (ص) والأئمة المعصومين من أهل بيته ، اما ما عدا ذلك فليس بحجة .

هنالك من الناس من يؤمن بالاسلام ، ولكن بجوانبه القشرية والظاهرية ، بجوانبه الفوقية والشعاراتية ، بالانخراط في التظاهرات والحضور في المجالس العامة واداء صلاة الجمعة والجماعة ، دون تعمق في الاسلام الامر الذي يؤدي الى عدم تطبيقه لكافة ابعاده .

وفي الاسلام ابعادٌ كثيرة من اعظمها بُعده الحضاري ، على ان هنالك ابعاد كثيرة

على قدر كبير من الاهمية كعلاقة الانسان بربه ، وعلاقته بالآخرين ، و بالطبيعة ، وعلاقته بالمجتمعات الاخرى ، و بصحبه واقاربه وعائلته ، كل هذه الابعاد وغيرها هي جزء لا يتجزأ من الدين الاسلامي الحنيف .

فلا يمكن ان يعترف الانسان المسلم باسلام مجرد عن هذه الابعاد ، اسلام ليس فيه قانون للاقتصاد للسياسة ، للاجتماع ، للاسرة ، للاخلاق ، للسلوك ولسائر المسائل الاخرى .

ولكننا ــ ومع الاسف الشديد ــ نجد ان الرؤية الناقصة والتجزيئية هي السائدة حتى الآن لدى الكثير من المسلمين ، وهذه الرؤية هي المسؤولة عن تخلف وعدم انتصار العالمين في سبيل الاسلام ، لأنهم فهموا الاسلام مبعّضاً لا كلاً متكاملاً .

فالاسلام لو جُرّد عن أحد ابعاده واجزاءه لأصبح كالطائرة التي لا يمكنها التحليق بجناح واحد ، ولو حلّقت لسقطت لان الطائرة لا تطير الا بكل ما فيها من اجهزة واجنحة وغير ذلك .

وهكذا هو الاسلام ، لا يستطيع ان يحلّق بالانسان المؤمن الى معارج المجد دون تكامله في ذات الانسان .

هنالك سؤالان يلحان في الطرح وسنجيب عليهما بالترتيب والسؤالان هما :

ــ كيف ان هذه النظرة التجزيئية هي المسؤولة عن وضع المسلمين اليوم ؟

ــ ولماذا يفهم الانسان دينه ورسالات ربه بصورة تجزيئية ؟

عندما هاجر الرسول الكريم (ص) الى المدينة المنورة ، كانت المدينة في ذلك اليوم قرية صغيرة قد لا يتجاوز عدد سكانها عشرة آلاف نسمة ، وكانت معروفة بـ (يثرب) وكلمة يثرب تعني المرض ، وسماها البعض بـ (طيبة) للتفاؤل ــ كما كانوا يسمون الصحراء الواسعة بالمفازة ، أو يسمون الاسود بالكافور ــ . وكانت هذه المدينة مليئة بالاوبئة بالاضافة الى ما تعانيه من شحة المياه بالرغم من كونها منطقة زراعية .

ولقد كان التناحر والاحتراب بين قبيلتي الاوس والخزرج قائماً على قدم وساق مما سبب هلاك الحرث والنسل ، حيث كان تاريخ هذا العداء والحقد المتبادل يعود الى ثلاثمائة عام ، اضف الى هذا العصبيات السائدة والتخلف الاقتصادي والجهل المنتشر ،

حتى لم يكن فيهم من يعرف القراءة والكتابة ، كل هذه الظواهر المتأصلة كانت سبباً في تخلف هذه المدينة .

ولكن حينما حلّ الرسول (ص) بالمدينة هبطت معه و بقدومه بركات السماء ، وانهالت عليها منذ ان لامست قدماه الشريفتان اطراف يثرب في (قبا) .

فقد بنى في قبا مسجداً ، ثم دخل المدينة و بنى فيها ايضاً مسجداً آخر ، ثم ابعد عن المدينة المياه الموبؤة الموجودة فيها ، واستصلح الاراضي والمسلمون المهاجرون معه وفي طليعتهم الامام علي (ع) حيث استصلح الكثير من الاراضي بيديه الشريفتين .

ثم نظم الرسول (ص) المدينة تنظيماً ادارياً ، قضائياً ، اجتماعياً ، سياسياً ، دقيقاً ، وحث اهاليها على السعي والعمل والتجارة ، وألّف منهم ــ وهم اضعف اهل الحجاز عسكرياً ــ قوة عسكرية متنامية .

وهذا موجز لسيرة الرسول (ص) نستشف منه ان الاسلام ليس مجرد الصلاة في المسجد ، وانما ينبغي اولاً المسجد ومن ثم الانطلاق من بناء المسجد الى الزراعة ، و بناء الكيان السياسي والتجمع الحضاري والقوة العسكرية وتنمية النفس وتطويرها . فهذه هي سيرة رسول الله (ص) .

الاسلام الحركي يصنع الثورة :

هنالك في عالمنا اليوم حركات اسلامية رائدة وثورات منتصرة ، وفي طليعتها الثورة الاسلامية في ايران . ومن عبر انتصار هذه الثورة المباركة ان الذين آمنوا بالاسلام في ايران قبل انتصار الثورة آمنوا بالاسلام ككل أو على الاقل بكثير من ابعاد الاسلام .

فعلى سبيل المثال نجد ان المسجد في ايران قد تحول في ذلك الحين الى منطلق لمجموعة اعمال ومهام . فالمسجد في البلاد الاسلامية عادة ما يكون لاداء الصلاة والعودة الى البيت ، أما في ايران فقد تحول المسجد الى خلية اجتماعية ، الى تجمع وحزب الهي تحت ظل الاسلام ، وليس حزباً عصبياً جاهلياً .

فالمسجد هنا تحول الى مكان لتداول ومناقشة الافكار السياسية والاخلاقية والحياتية وغيرها ، و بالاضافة الى ذلك نلحَظ فيه حالة من التعاون الحياتي حيث يتعاون روّاد

المسجد للخروج الى السوق ، ولقد تمثّل رمز هذا التعاون الاقتصادي في دعم الحركة الاقتصادية .

لذلك حينما كانت الحكومة البائدة ، تلملم نفسها لتنسحب من هذه الارض بما في جهازها من موظفين واداريين ، كانت الى جانب ذلك مؤسسات اقتصادية واجتماعية جاهزة لتحل محل الحكومة البائدة ، وهذا هو الفهم الجديد والسليم للاسلام .

والعلماء في قم حينما كانوا يبعثون بالرسل والدعاة الى سائر المدن ، لم يكونوا يكلفوهم الاهتمام بصلاة الناس وصومهم بقدر ما كانوا يوصوهم بالاهتمام بالقرى وطرقها وحماماتها ومساجدها ومستشفياتها .

حتى بنى هؤلاء العلماء الكثير من المستشفيات ، والتي كانت من ابرزها مستشفى آية الله العظمى الگلبايگاني (حفظه الله) في مدينة قم .

بالاضافة الى المستشفيات فقداعتنوابناء المدارس العلمية مثل مدرسة الرفاه الابتدائية في طهران ، وعشرات المدارس الاخرى التي كانت تخرج الطلاب بنسبة نجاح كبيرة حتى انه (٩٩٪) منهم كانوا يدخلون الى الجامعات بينما تهبط هذه النسبة الى (٥٠٪) في المدارس الاخرى .

ولقد تداخلوا في السوق محاولة منهم في اصلاح الامور و بناء الشركات الاقتصادية ولكن بصورة سرية . اذاً فالاسلام هنا لم يتخذ شكله الاجوف الخاوي والمقتصر على الذكر والتصوف ، وانما تمثل في اسلام الحياة والحركة والتعاون و بالتالي كان اسلاماً متحركاً .

هناك مثل آخر للحركة الاسلامية يتجلى في مصر اليوم ، فالمد الاسلامي في مصر يتعالى و يتعاظم ، ومن وسائل تعالي هذا المد الجمعيات الاجتماعية والثقافية والدينية التي يبلغ عددها تسعة آلاف جمعية ، ينتمي اليها عشرات الالوف من الناس ، وهي تقوم بدور تكوين المؤسسات الاجتماعية (وهي رسمية) .

ولكن هذا العدد الهائل من الجمعيات التي تقوم بمختلف الادوار الاجتماعية والثقافية والدينية لها اكبر الاثر في نمو الحركة الاسلامية في مصر .

ان الحركة الاسلامية في أي مكان ما هي الا كيان متكامل صالح في مقابل كيان آخر فاسد ، أي ان الحركة الاسلامية لا تنوي فقط الاطاحة بهذا الرئيس وتبديله برئيس آخر لمجرد تبديل الصورة ، بل ان الحركة الاسلامية جهاز يأتي ليخلق جهازاً متكاملاً في كافة ابعاد الحياة ، لذلك فان نموها يكون بطيئاً لكنه راسخاً .

ففي مصر يوجد عشرات الالوف من المساجد التي لا تخضع لسلطة الاوقاف ، وبالرغم من ان حكومة السادات حاولت تأميم المساجد ، أي ربطها بوزارة الاوقاف الا انها فشلت ، لانه ــ وكما يقول بعض الاخوة في مصر ــ ان نمو المساجد اصبح بصورة رهيبة لا يمكن للحكومة ان تلاحقها ، ففي كل شارع يوجد خمس أو ست مساجد ولو بعبارة غرفة واحدة .

ان تغيّر الحياة على الارض قضية مهمة ، وهي قضية جارية في كل من افغانستان ولبنان والسودان . ففي السودان مثلاً كان جعفر نميري ــ الرئيس المخلوع ــ مسيطراً في الظاهر على السودان ، لكن الحركة الاسلامية فيها كان كما الماء الذي يجري على الارض ويحفر طريقه و يشقه ببطء وهدوء . وانتشرت الحركة الاسلامية وتأسست البنوك اللاربوية ، وارتبط الاقتصاد السوداني بهذه البنوك بصورة فعالة .

هذه البنوك قامت بدور صناديق قرض الحسنة في مساجد ايران قبل انتصار الثورة . وجاءت هذه البنوك اصلاحاً للوضع الاجتماعي من جهة ، وتقوية للحركة الاسلامية مقابل الجهاز السياسي الفاسد من جهة اخرى .

وبالفعل تمت الاطاحة بالجهاز السياسي الفاسد ، وتمت لهذه الحركة السيطرة على الحكم في السودان .

وفي مصر الآن توجد شركات مساهمة كبيرة تنمو بعيداً عن البنوك ونظامها الربوي ، مثلاً (شركة الريان) التي تبلغ ثروتها البلايين من الدولارات ، وهي تربط شعب مصر بعضه ببعض ضمن حركة اقتصادية متكاملة .

ان مثل هذه الاعمال تبعث على ايجاد ارضية للثورة ، اي للحركة الاسلامية بصورة خاصة ، وهذا لا يتم عبر الكلام ، بل عبر تغيير الواقع حيث نستطيع من بعد تغييره الوقوف عليه ودعوة الناس الى الدين الاسلامي الحنيف لاننا نكون حينئذ قد صنعنا

واقعاً جديداً ، و بذلك نكون قد دعونا الناس بغير السنتنا ، بعملنا و واقعنا .

ضرورة البناء الحضاري في الصراع :

ونحن الآن نحتاج الى مثل هذا الامر ــ تغيير الواقع وصنع الواقع الجديد ــ في افغانستان ولبنان ، والمثل نستوحيه من فيتنام . فالشعب الفيتنامي خاض حرباً مدمرة ، والطائرات الامريكية كانت تقصف فيتنام الشمالية في موجات ، كل موجة خمسون طائرة أو ستون ، ومنها قاذفات القنابل (بي ٥٢) التي كانت متطورة جداً ، كل هذه الطائرات كانت تسقط آلاف الاطنان من المتفجرات .

وكان الطيارون الامريكيون يتساءلون في حيرة من مسؤوليتهم : اننا نكلف عشرات المرات بقصف مصنع واحد فلماذا ؟ هل اننا نقصف الارض أو الركام ؟ .

وكان يقول مسؤولهم : كلا ، انكم تقصفون كل مرة ذات المصنع ، لانكم تهدموه في كل مرة ، يعود الشعب الفيتنامي لبناءه من جديد !

وعندما انتهت الحرب في فيتنام لم يكن الشعب بحاجة الى بناء وطنه لانه كان قد اعاد بناءه في اثناء الحرب . فلقد كانوا كلما اخذوا ارضاً صغيرة وحرروها حولوها الى مصانع ومزارع ومدارس وحتى الى معاهد عالية .

ان افغانستان اليوم تعيش هذه المعادلة وكذلك لبنان ، بل وسائر بلادنا . حتى شعبنا المسلم في العراق يعيش هذه المعادلة في الاهوار وفي الشمال .

اخواننا في افغانستان لا بد لهم من تحويل الاراضي المحررة والتي هي (٩٠٪) من اراضي افغانستان ، يحولوها الى حضارة اسلامية ، يقيمون فوقها المعاهد الدينية والتكنلوجية والعلمية ، و يبلطون الشوارع ، و يبنون الملاجيء تحت الارض و يهتمون بالامور الصحية وتربية المواشي واستصلاح الاراضي و بناء المصانع و بالتالي يهزمون الروس بارادتهم وسعيهم وقوتهم .

اخواننا في لبنان ايضاً بحاجة الى ذلك ، فهم اليوم يسيطرون على (٨٠٪) من اراضي لبنان ، و بامكانهم ان يبنوا حضارتهم على تلك الاراضي ، و يقولون للعالم انكم لا تحاربونا .

ان العالم الاستكباري يحاول الحاق الهزيمة بالشعب اللبناني عبر اسقاط قيمة النقد اللبناني . **فلقد كانت قيمة النقد في لبنان كل ثلاثة ليرات دولار اما الآن فأصبح وضع الليرة مهزوزاً و بذلك اصقطوا قيمة هذا النقد بأساليبهم الاستكبارية الماكره .**

ان الاستكبار قد اسقط قيمة النقد ، بالاضافة الى ما يسقطه من القنابل على رؤوس الابرياء ، والطائرات الامريكية تحلق اليوم على صيدا ، والبوارج الحربية الاسرائيلية احتشدت امام مينائها ، وفجروا الضاحية الجنوبية التي قد عانت الامرين ، انهم يحاربونا ، لكن كيف علينا ان نواجه هذه الحرب ؟

ان الحرب والصراع امرٌ طبيعي فوق هذا الكوكب وهو قائم ما دمنا فوق الارض اما اذا ذهبنا تحتها فان القضية تختلف وهذه هي سنة الله .

« بعضكم لبعض عدو»

(سورة البقرة/٣٦)

فلقد جرت هذه السنة منذ ان قتل قابيل هابيلاً واستمرت هذه الحرب حتى اليوم والى قيام الساعة . اذاً فالصراع مستمر ولا بد لنا من الاستعداد لهذا الصراع .

وفي الواقع ان جماهيرنا مستعدة للصراع ، لكن لا بد لنا من قيادة هذه الجماهير لما فيه الخير والصلاح .

ان الجماهير التي هتفت ضد الاستكبار العالمي وضد صدام حين ظهور طائرات الاستكبار في طهران واصفهان وقم وسائر المدن التي اشتعلت هتافاتها وشعاراتها وتحولت الى كتلة نارية ورفضت الالتجاء الى الملاجيء وهتفت متحدية الاستكبار وعملائه ، هذه هي جماهيرنا المؤمنة وهي موجودة في كل مكان .

والجماهير التي تستقبل طائرات العدوان الروسي في افغانستان بالهتافات و بالاسلحة البدائية ، و يؤون المجاهدين بالرغم من معرفتهم بان ايواء المجاهدين في منازلهم يعني ان تهدم قريتهم باكملها ، هؤلاء هم جماهيرنا المؤمنة .

والجماهير في مصر يحتشدون بصورة رهيبة في صلوات الجمعة والجماعة فلا يوجد في مصر مسجد يمكنه ان يستوعب الجماهير المؤمنة في ايام الجمعة والاعياد وما اشبه ، وكذلك في لبنان .

ان الشعوب في كل مكان مستعدة لخوض الصراع لانها تشرّبت بروح الاسلام والايمان ورضعت من ثدي التقوى وحب الدين والرسول وأهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين .

لكن بات علينا ان نخطط لهؤلاء ، وأن نعلمهم الاسلام من جميع جوانبه ، فان كانوا عسكريين ينبغي ان ندربهم افضل تدريب ، وان كانوا في المصانع علينا ان نعلمهم كيف يصنعون افضل الاسلحة .

فالى متى نشتري الاسلحة من هنا وهناك ؟

والى متى نشتري الطائرات ؟

ولم لا نبني ونقيم حضارة الاسلام جميعاً بانفسنا ؟

حينما سمع رسول الله (ص) بان سلاحاً ما قد اخترع في اليمن بعث باثنين من شباب المسلمين ليذهبوا الى اليمن و يتعلموا صنع ذلك السلاح ، ولعلهم ذهبوا الى هناك بصورة خفية أي قاموا بالتجسس العسكري وعرفوا كيفية صنع ذلك السلاح ، واخبروا الرسول بما رأوا .

جماهيرنا في داخل العراق ، وفي الاهوار وفي مخابئهم وقواعدهم العسكرية يجب ان يكونوا في هذا المستوى ، يجب ان يصنعوا اسلحتهم ومتفجراتهم بايديهم ، وان يحولوا منطقة الاهوار الى منطقة زراعية وصناعية متقدمة .

ان قيام اخوتنا في داخل العراق بالعمليات البطولية يعني ان الرفض يتحول الى عمل وفاعلية ، فالفرض لا يجب ان يبقى مجرد كلام بل يجب ان يتحول الى سعي وحركة وجهاد .

اما في الاجابة عن السؤال الثاني لماذا يفهم الانسان دينه ورسالات ربه بصورة تجزيئية ؟

فنقول ان القرآن الحكيم بعد ان يبين لنا اهمية الاسلام وانه يعطينا كل ما نرجوه ، بعد ئذ يحدثنا عن قيام الساعة فيقول لنا ان عدم الايمان أو عدم الوعي بالساعة وعدم تحولها وقيامها بعذابها وعقابها وثوابها ، عدم تحولها الى حقيقة مشهودة امام اعيننا هو المسؤول عن فهمنا التجزيئي للاسلام .

فالانسان يحب الخلود الى الراحة ، فلو قيل له ان الاسلام مجرد اقامة ركعتين صلاة وبعدها افعل ما يحلو لك فانه يقبل ، اما اذا قيل له ان الاسلام يعني الجهاد والسعي والحركة والسهر والتعب وطوي الكثير من المراحل الشاقة ، آنئذ يرفض هكذا اسلام .

فهو يفهم الاسلام معكوساً أو مجزءاً لانه لا يؤمن بالساعة ، اما اذا عرف انه مسؤول ومحاسب في يوم القيامة فانه سوف يسعى من اجل تخليص نفسه من نار جهنم .

و ينقسم الناس الى قسمين :ـــ

قسم اذا مات شعر بالموت وعُذّب .

وقسم لا يشعر بالموت بل و يُثاب عليه ، وهؤلاء كما جاء في الاحاديث هم الذين محضوا الايمان محضاً ، أو محضوا الكفر محضاً ، أي ان المؤمنين الصادقين ، والكفار الموغلين في الكفر هؤلاء لهم برزخ ، أما اغلب الناس اذا ماتوا غفل عنهم ، أي لا يحسبون بشيء من موتهم الى قيام الساعة .

لو عرفنا هذه الحقيقة الرهيبة ووعيناها لكفتنا عضَةً ، لان مجرد التفكير بهذه الحقيقة ـــ ان يغمض الانسان عينه ثم يفتحها واذا بالساعة قائمة باهوالها وعذابها وشدة بأسها ووقعها في السموات والارض ـــ يكفينا رؤية لمسؤوليتنا ووعياً ومعرفة بها ، و بالتالي محاولة وسعياً لفهم الاسلام فهماً صحيحاً وسليماً .

من أجل الانسان (١)

حينما نحصن مجتمعنا الاسلامي بأسوار عالية من الاستقلال الاقتصادي والسياسي ، والاجتماعي ، وحين ننشر الحضارة في كل ابعاد هذا المجتمع على أساس جماهيري دون تفكير في النخبة ، فآنئذ تبدأ المرحلة الاولى في بناء أسس الحضارة الاسلامية .

وقبل توضيح هذه المرحلة وتسجيل بعض الملاحظات حولها ، لا بد من القول ان الحضارات البشرية قد اختلفت من البدء في اهدافها ، فبينما كان أساس التقدم الاقتصادي في اغلب الحضارات المادية هو الحصول على المال والثروة وسيطرة جماعة ضد أخرى ، نجد أن الهدف في الحضارة الاسلامية هو اسعاد الانسان نفسه ، لا لأن الانسان وسيلة مناسبة لتقدم المجتمع ، ولا لأن الحضارة لا تتم الا ببناء الانسان ــ كما تقوله العقلية المادية الجاهلية ــ وانما لأن الانسان هو هدف الحضارة .

ان الانسان هو الغائب الاكبر في جاهلية القرن العشرين ، فكل شيء يُحسب له حساب الا الانسان !! ونظرة بسيطة الى واقع المعسكرين الغربي والشرقي تكشف لنا هذه الحقيقة المرة ، فاذا قرأت كتاب «الانسان ذلك المجهول» أو كتاب «صدمة المستقبل» أو كتاب «سقوط التكنلوجيا» الصادرة عن العالم الغربي والكتّاب كلهم غربيون ومتوغلون في الغربية ولا يؤمنون بالقيم التي نؤمن بها نحن ، مع ذلك عندما تقرأ كتبهم تكتشف مدى المأساة التي يعيشها الانسان الغربي بسبب المكننة التي حوّلته الى مجرد «برغي» في آلة الحضارة التي سحقت الانسان ، وقد عبر أحد المؤلفين عن واقع

الحضارة الجاهلية بقولة : حينما تنظر من فوق بناية شاهقة نظرة عابرة الى الشارع القريب منك ، تجد الناس يتحركون بسرعة والى اهداف معينة ومحددة سلفاً واكثرها هادفة مخططة تخطيطاً كاملاً ، ولا يعرف أحد من الذي خطط له هدفه .

و يشبّه هذا الكاتب الناس في العالم الغربي وهم يتحركون الى أعمالهم ، يشبههم بالأدوات التي توضع على الحزام المتحرك في المصنع ، ثم تتحرك هي بدورها ، ولكن دون ان تعي لماذا تتحرك ؟ وكيف ؟! انها تتحرك وتتوقف قليلاً عند كل عامل ليضع فيها شيئاً جديداً أو يتأكد من ضبط برغي في مكانه .. حتى تنتقل من لدنه الى الشخص الثالث فالرابع الى أن تخرج على شكل سيارة ، والسيارة بدورها لا تستقل في أمرها ، انما تُباع الى حيث تشاء الشركة المنتجة لها ، أليس كذلك ؟

لقد تحول الانسان في الغرب هكذا الى آلة في الجهاز العام ، والجهاز بكامله اصبح غير عقلاني ولمعرفة ذلك علينا ان نتدرج ولنتدرج نزولا من القمة الى القاعدة .

فرئيس الجمهورية يختاره كبار الرأسماليين الذين يدعمون ترشيحه لهذا المنصب ، و يصرفون على الدعاية له ولحزبه ، والرأسماليون الكبار يتبعون بدورهم نظاماً اقتصادياً معقداً لا ارادة لهم في اختيار غيره ، لأنهم مرتبطون بالبنوك والعمال والشركات والمصانع ، ومرتبطون بديناميكيات المجتمع ، وقوانين السوق القائمة بدورها على قانون العرض والطلب ، و بالتالي مرتبطون بمجموعة متكاملة من القوانين التي لا تدعهم يملكون من أمرهم شيئاً .

اذا نزلت قليلا الى المدراء واصحاب المكاتب أو من يسموهم «بأصحاب القمصان البيض» هؤلاء بدورهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً ، لأنهم موظفون أدوات وكل واحد منهم يدير شيئاً بسيطاً ، ولا علم له بما يجري في الغرفة المجاورة له ثم هكذا هبوطاً الى العمال ، فهم حسب تعبير بعضهم (السائمة البشرية) حيث تتم ادراتهم ادارة ذاتية أو شبه ذاتية فهم لا يستطيعون أن يختاروا نوع ملابسهم بحرية الا بالكاد ، لأن اختيار الملابس يخضع للاعلانات ، وحسب ما يقول مؤلف كتاب «صدمة المستقبل» أصبح الناس ــ اليوم ــ يختارون شعر زوجاتهم حسب الاعلانات التي يجدونها في الجرائد والمجلات أو حسب الأزياء والالوان التي يرونها في التلفزيون !

من خلال أسفاري الى القارتين الأوربية ، والامريكية ، وجدت ان الانسان

الأوروبي اليوم هابط الفكر لأنه تحول تدريجياً الى جزء من جهاز كبير، لايعرف دوره فيه، فهو لا بد أن يذهب الى روضة الأطفال ولا خيار له في ذلك و بعد الروضة تأتي المدرسة الابتدائية، ومن ثم المرحلة المتوسطة فالثانوية.

وما يدرس في الابتدائية خاضع لما تقرره مناهج التربية، وهكذا في الثانوية والجامعة ثم يتخرج ليبحث عن مكان يأوي اليه ويملأ فيه بطنه!! فيذهب الى وكالات مختصة للتوظيف وحسبما يقيموه يتعاملون معه، تماماً كما يتعاملون مع بضاعة تباع وتشترى! لا كأنسان، هكذا يتعاملون معه كالآلة، لا يحس بانسانيته و يعيش غريباً طول عمره والى أن يحال الى التقاعد، لا يعرف ماذا عمل؟ ولو طلبت من أحدهم أن يكتب مذكراته فليس لديه في حياته شيئاً مثيراً يكتب عنه، انه لا يملك شيئاً غير ما تمليه وسائل الاعلام، انه يكون معلوماته وافكاره واراءه حسب التلفاز والراديو والصحافة، فهو يتحرك على أساس ما يقوله جهاز التلفزيون، يتصرف و يعمل حسب ما توحي له الشبكات الاعلامية الكبرى، ولو سألت الشبكات الكبرى نفسها لرأيت انها هي الآخرى جزءاً من ماكنة كبرى اسمها «المجتمع الغربي»!

التكنلوجيا تلتهم الانسان

وحسب تعبير «سقوط التكنلوجيا» يقول الكاتب: ان الانسان في اوربا اصبح لا يستطيع مقاومة غول التكنلوجيا، فالتكنلوجيا الآن اصبحت اكبر من الانسان.

إن الانسان صنع التكنلوجيا ليستفيد منها فاذا بها هي التي تستفيد منه وتسخره، فكل شيء لمصلحة الربح، وكل شيء لمصلحة النمو الاقتصادي، ولكن النمو الاقتصادي لمن؟

فالسيد هو المصلحة والمصلحة هي الدنيا، والدنيا هي اللاعقلانية، والبشرية تتجه بسرعة الى الجاهلية واللاعقلانية، وهذا أحد معاني قول الله سبحانه وتعالى:

«ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم»

ـ ١٩/الحشر ـ

لقد تحوّل الانسان الى ادارة صغيرة في جهاز كبير، لايملك فيه اي خيار، الامام الحسين (ع) يعبر عن ذلك بقوله:

«الناس عبيد الدنيا».

انهم عبيد لايملكون لأنفسهم خياراً، هذا بالنسبة الى العالم الغربي الذي يدعي الحرية الذاتية وما أشبه.

أما العالم الشرقي فانه يقول بصراحة: ان الانسان يجب أن يذوب في بوتقة المجتمع ولا شيء آخر..

الميكانيكيا الاجتماعية في الشرق ميكانيكيا صريحة.. وفي الغرب مغلفة... وسواء كانت واضحة كما لدى الشرق او مغلفة كما في الغرب فان الانسان بالتالي قد احترق بنار التكنلوجيا و بنار المكننة، واللاعقلانية في الحياة، وقامت مظاهرات كبيرة وكثيرة من قبل الشباب في أوروبا وفي امريكا باسم ثورات الشباب ضد «البزنس»[1] وهي كلمة لانعرفها ــ نحن الشرقيين ــ ولكن يفهمها الشباب الغربي أكثر منا لأن الشباب هناك لا يفتح عينيه الا على كلمة بزنس، ولا يفتح أذنه الا على البزنس ولا يرفع رجلاً و يضع اخرى الا من أجل البزنس، وعند النوم يحلم بالبزنس.

وهكذا الى ان تنتهي حياته وهو مع البزنس، لذلك تجد في سنة ٦٨م كيف انفجر الشباب كبركان ثائر في النحاء فرنسا يطالبون بنوع من الحرية وكان فيلسوف تلك الثورة التي سميت بثورة الشباب «أربيرت ماركيوز» الذي كتب كتباً كثيرة من أبرزها كتابه «الانسان ذو البعد الواحد» والذي قال فيه: «ان الانسان قد ولد انساناً فحولناه نحن الى آلة ففقد انسانيته».. والغريب في الامر ان بعض الفلاسفة الغربيين قد اكتشفوا ظاهرة غريبة هي ان التكنولوجيا لم تكتفِ بابتلاع الانسان الذكر، وانما هي الآن تتجه الى ابتلاع الانسان الأنثى، ورغم ذلك فان الغرب ما زال مصراً على التحرك ــ تحت شعار تحرير المرأة ــ في هذا الاتجاه تصبح المرأة عاملة في مصنع، او بائعة بنزين في محطات الوقود. أو شرطية مرور في الطرق، وسوف تواجه المرأة نفس المشكلة التي حوّلت الرجل الى آلة.

ماذا يريدون من المرأة؟ اذا كانوا يريدون لها الحرية، فممن تتحرر؟ هل تتحرر من انسانيتها لتستعبد للمادة كما استعبد الرجل لها؟

---

(١) «البزنس» كلمة انجليزية تعني الانهماك في الاعمال المادية تجارياً.

يقول أحد الفلاسفة الغربيين : « بالله عليكم دعوها في بيتها ومخدعها ! دعوها تكون انسانة مربية للبشر القادمين لا تأخذوا الاجيال القادمة من حضن الانسانية بأخذكم للمرأة ، حينما تأخذون المرأة من بيتها ومن أنوثتها ومن حكمة خلقها ــ لان الله قد خلقها لتربي الاولاد وتربي الجيل القادم ، فانكم سوف تظلمون الاجيال القادمة ــ أنكم ظلمتم هذا الجيل فكفى ! لا تظلموا الاجيال القادمة » ، ونعم ما يقول هذا الانسان ..

وللامام الخميني حفظه الله تعالى كلمة قالها في باريس عن المرأة وأهدافها حيث قال : (أننا لا نريد ان تتحول المرأة الى شيء ، نريدها ان تبقى انسانة) وهذه الكلمة لا يفهمها الانسان الا اذا نظر الى مئات الألوف من النساء في اوروبا وامريكا كل صباح كيف يخرجن من بيوتهن و يغبن في أسفل الأرض او في الانفاق او في القطارات السريعة ليتحولن الى جزء من تلك الماكنة الكبيرة ماكنة الحضارة اللاعقلانية ، ولا يعرفن لذة تربية الاولاد ، ولا يعطين الحب للجيل القادم ولا يشعرن بانسانيتهن وهكذا تصبح المرأة مجرد « شيء » .

نظرة الاسلام للانسان :

وعلى العكس من ذلك تماماً نجد كيف يؤكد الاسلام على انسانية الانسان وعلى حريته ، بل وعلى فردية وذاتية الانسان كانسان ، اذ يقول للانسان : حذار ان تستعبدك المادة فانها تخدعك وتغرك ، انها في البدء تقول انت الذي تسود ولكنها في النهاية هي التي تسود عليك .. فأنت من الوهلة الاولى قد تعتقد انك تركب السيارة ولكن حينما تلاحقك اقساطها الشهرية ، يتضح لك ان السيارة هي التي ركبتك ، انك أنت الذي تسكن البيت ، ولكن البيت الذي تشتريه بثمنٍ غالٍ فتبيع نفسك وشرفك وقيمك من أجل الحصول عليه هو الذي يسكنك ، وهو الذي يستعمرك لا أنت الذي تستعمره ومنذ البدء قال لنا الأنبياء (ع) ان الدنيا خدّاعة حيث يقول تعالى :

« فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » .

(لقمان / ٢٣)

فالانسان المسلم لا يتحرر من سيطرة التكنولوجيا والمادة فحسب ، وانما يسخرها

لخدمته ، فاذا سخرها استطاع ان يفك رمزاً من أعقد رموز حضارتنا الحديثة ، وهذا هو الفرق بين الحضارة الاسلامية والجاهلية الغربية .

من هنا فان الاسلام لا يرضى بأن تكون في بلادنا جزر صناعية متقدمة تعيش في محيط من الفقر والتخلف ، ولا يرى ان هذا الاسلوب هو اسلوب مجدٍ ونافعٍ لتقدم بلادنا ، لان بلادنا لا تستطيع ان تتقدم بهذه الوسيلة ، وليس الهدف من المال والثروة ان نمتلك الصناعة . فالصناعة وسيلة وليست هدفاً كي تصبح الآلة هي السيد الذي يستعبدنا . ان فلسفة الاسلام تؤكد على ان الانسان هو الذي يجب ان يسود الصناعة واننا يجب ان لا نعظم هذه الصناعة الا في حدود سيطرتنا عليها فلا نجعلها إلهاً تسيطر علينا .

من هنا علينا بعث روح العمل والسعي في الامة وقطع الأ يادي المستغلة والخائنة من المجتمع فهذه الأ يادي هي التي تسبب تخلف المجتمع .

وهنا لي كلمة وهي : أننا نعتقد ان العالم الغربي اليوم يتقدم بقوة، ولكنه في نفس الوقت يحمل في داخله بذور التخلف ، لأن الانسان الغربي سيصل بالتالي الى قناعة واضحة ، ان ما يفعله لا ينتهي الى جيبه ، ولا يؤدي الى رفاهيته ، وانما يتجه الى آخرين ، فهذا الشعور لن يغيب ، ومهما حاولت اجهزة الصحافة والاعلام ان تخفي الحقيقة فان الانسان الغربي سوف يتوصل الى هذه القناعة يوماً ما .

كتب أحد الكتاب مؤلفاً باسم (الثورة في الولايات المتحدة الامريكية) مشيراً فيه الى أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الأقرب احتمالاً الى ان تتفجر فيها أكبر ثورة في عصرنا الحاضر ضد النظام القائم ، وان هذه الثورة ليست ثورة شيوعية ولا ليبرالية ولا برجوازية ! وانما هي ثورة من نوع آخر ، والملفت للنظر ان الكاتب لا يعرف ماهية النوع الجديد من الثورات ، ولكنه يتنبأ به ، وهناك الكثير ممن يتنبأون بهذه الفكرة ، فقد ظهر الى الآن العديد من الكتب حول هذه القضية وكلها مهتمة ببيان ان الولايات المتحدة الامريكية تحمل في أحشائها بذور الثورة لأسباب لا مجال لذكرها هنا ، انما نستطيع ان نقول انه مهما حاولت الاجهزة المختلفة ان تخفي الحقائق عن الانسان الغربي فانها ستظهر يوماً ما ، فالى متى لا يتساءل الامريكي لمن أعمل ؟ ومن المستفيد ؟ ولماذا هذا المخزون النووي ؟ ولماذا هذا الظلم ؟ وهل صحيح أني أسعد لكي يشقى الآخرون ؟ وهل أنا بشر ؟ لقد جرت في سنة ٧٩ م عملية انتحارية جماعية غامضة

انتحر فيها حوالي ٩٠ انساناً في احدىٰ المدن الامريكية ، لأنهم اكتشفوا ان حياتهم شقاء ، وانهم يعيشون في جحيم !

اذن لا بد ان يصل الغربي يوماً الى هذه النتيجة .. وهي ان جهوده ضائعة .. ومن هنا فان عجلة التقدم ستتوقف ، هذا بالاضافة الى ان التقدم الامريكي والأوروبي والروسي ما هو الا تقدم كاذب وليس سوى سرقة وغشاً ! واذا ما تقدم العالم الثالث واستقل عن الغرب ، فان الغربيين لن يتوقفوا عن التقدم فحسب ، وانما ينهارون . والدليل على ذلك ما يجري في بريطانيا وفرنسا اليوم وأيضاً ما جرى قبيل الحرب العالمية الثانية . وأنني أعتقد بأن ما يجري في امريكا وأوروبا من تململ انما يعود الى سبب هام ، هو ان الانسان الفرد في امريكا وأوروبا بدأ يشعر بأن ما يعطيه أكثر مما يأخذه بكثير ..

ومما يجدر الاشارة اليه أن هذه المشكلة نفسها باتت تخيّم على شعوب العالم الثالث بالنسبة للفرد ، والا فلماذا الركود ؟ ولماذا النوم والكسل في بلادنا ؟ ان أحد الاسباب الرئيسية هو ان الانسان يشعر بانه لماذا يتحرك و يعمل ليل نهار ، ثم يرى ان مكاسبه تذهب الى الدول الاشتراكية او تذهب الى المصارف الغربية والى كل حاكم سارق ، ولكن لا تعود اليه بنفع ، فيصل الى نتيجة هي ان سعيه « هواء في شبك » فلماذا يسعى ؟ فالانسان يسعى لكي يأخذ نتيجة ! لذلك حينما يأتي الاسلام ، يقطع كل الأيادي السارقة .. وعندها تنطلق طاقة الجماهير التي اذا شعرت بان مكاسبها ترجع اليها فستتحرك وتنتج .. لأن الانسان خلق بطبعه متحركاً نشطاً ، فاذا ما شاهد جهوده تسرق ، فان حماسه سرعان ما ينطفيء فيخلد للجمود والكسل .

من اجل الانسان (٢)

لتجاوز مرحلة التخلف التي يعيشها العالم الثالث ، ولما لهذه المرحلة من مآس وكوارث ، ولكي يخرج العالم من قبضة السيطرة الاستكبارية الاحتكارية للدول الاستكبارية الشرقية والغربية المتحكمة في مصير العالم ، ولكي لا يكون مصير حوالي أربعمائة مليون من البشر في كف عفريتين أحدهما أقذر من الثاني ، وأبعد عن الانسانية والعقل ، ولكي لا يكون مصير كوكبنا هذا بيد مجموعة قفزوا في ظلام الليل الى مركز الصدارة في الاتحاد السوفيتي وشكلوا المكتب السياسي هناك وراحوا يخططون لأتخاذ قرار البدء بحرب نووية لا تُبقي ولا تذر ، ومجموعة أخرى سمّوا أنفسهم بمجلس الأمن القومي في أمريكا وهم بدورهم أيضاً يخططون لمثل هذا القرار فيضعون العالم بأسره على حافة الهاوية التي تبتلع الارض بمن فيها ، ولكي لا يأتي من هو مثل نيكسون الرئيس الامريكي الأرعن الذي قرر أن يضع جزءاً كبيراً من الصواريخ الذرية في حالة انذار قصوى من أجل الدفاع عن اسرائيل ، ومن أجل ان لا يزاح عن السلطة بسبب فضيحة (ووترغيت) .

من أجل ذلك كله لا بد وان يقفز العالم الثالث الى مرحلة التصنيع والتقدم ، ولو استطاع ان يتجاوز هذه الهوّة المصطنعة بينه و بين العالم المتقدم ، وأن يصنع نفسه و يكتشف سرّ اللعبة الدولية و يفك لغز الذرّة و يغزو الفضاء و ينفذ الى عمق المحيطات والى آخر ما هناك من حقول التقدم ، فمما لا شك فيه أن هذين القطبين لا يستطيعان أن يلعبا بمصير العالم ، اذ سيكون هنالك أقطاب أخرى قادرة على فرض رأيها في هذا

العالم ، وستكون للقارة الافريقية شخصيتها وثقلها ووزنها وقرارها السياسي . والعسكري ، وسيكون للدول العربية وزنها وقرارها السياسي والعسكري ، وسيكون أيضاً لدول جنوب آسيا وزنها وثقلها وقرارها .

وكلما استطاع العالم ان يتقدم باتجاه تنويع وتكثير الأقطاب ، فان سفينة الارض سوف تكون اكثر استقراراً ، أما اذا كانت أمور الارض بيد قطب أو قطبين فان هذه السفينة ستتعرض للاخطار .

يقول الرئيس اليوغسلافي السابق (جوزيف بروستيتو) في كتاب له : « ان من جنون هذه الحضارة ان يكون مصير العالم بيد ستة عشر فرداً فقط في هذا العالم ، هم الذين يقررون لحظة سوداء من لحظات العالم الكونية التي تبيد كل شيء ، ولا تذر أحداً على وجه الارض ، ربما لا انساناً ولا حيّاً غيره » .

اما اذا تعددت مصادر القرار في العالم فان هذه المأساة سوف لا تقع . ان هوّة التخلف ، هوّة سحيقة لا بد أن نجتازها بالقفز عليها ، وذلك بايجاد روح التقدم في الامة .

التقدم روح الامة :

ولكي نوضح هذه المرحلة لا بد ان نشير الى نقطتين تمهيديتين :

الاولى : (روح الامة) تعني مجمل الحالة النفسية التي يعيشها الشعب ، والتي تملي ردود فعله تجاه الأحداث ، وهي ايضاً مجمل القواعد الفكرية والثقافية والسلوكية والأخلاقية عند الشعب ، والتي تشكل مجموعها ما يسمّى بـ « روح الأمة » ، فاذا أردنا أن نلقي نظرة على هذه الامة فيلزمنا أن نقول :

ما هي روح هذه الامة ؟ أي ما مجمل أوضاع هذه الامة ؟

وما هو مجمل الانعكاسات الشرطية التي تقع لهذه الامة امام الحوادث ؟

والاجابة على هذه التساؤلات هي في الواقع مجمل ردود الفعل لدى الامة ، والذي نسميه « روح الامة » وقد تتجه روح الامة ناحية التقدم ، أو قد تتجه ناحية التخلف ، وهذه هي الملاحظة الاولى .

الثانية : حينما نقول ان الأمة ينبغي أن تتحرك روحها باتجاه الصناعة والتقدم فلأنه

من دون تحرك تلك الروح ، فان الامة حتى لو تقدمت لن يكون لحسابها ، وانما لحساب قوم آخرين ، ونستشهد حول هذه الفكرة بمقتطفات من اقوال كاتبين كلاهما يعتبر قوله حجة ومرجعاً علمياً في مجاله ، الكاتب الاول :

يقول « ايسبينوت » : التقدم الذي يحدث عبر التمويل الخارجي ، وهو ما اسميه « الطيران بأجنحة الآخرين » ومن طار بجناح غيره كان على جناح السقوط .. يقول الكاتب في كتابه : « أصبحت القوة التي اكتسبها التمويل الاجنبي الخاص من الخطورة بحيث صارت قادرة على مواجهة مجهودات التصنيع المستقلة وان تحطمها عبر انقلابات » .. كما جرى في كل من : (البرازيل ــ والارجنتين ــ والمكسيك ــ وغانا) حيث استطاعت الرساميل الاجنبية في هذه البلاد أن تبدل النظام اساساً عندما رأت أنها لا تستطيع أن تواجه المجهود الوطني في الصناعة فقامت بتبديل النظام وتغيير الوضع .

لقد شهدت امريكا اللاتينية الكثير من الانقلابات ، التي تسمى بـ « انقلابات الموز » لان الشركات الاحتكارية القائمة على زراعة الموز هي المسبب الرئيسي لتلك الانقلابات ، تماماً كما في بلادنا حيث تقوم الشركات النفطية الاحتكارية بصنع انقلابات النفط ، وكالانقلابات النحاسية في زائير ، وانقلابات الكوكاكولا في كثير من البلدان النافذة فيها ، فمعظم هذه الشركات تقوم باعداد الانقلابات في مطابخها لتغيير السلطة القائمة فتأتي بسلطة أخرى ترغم الشعب على تغيير عاداته وترتب الوضع بما يتلاءم مع المصالح العليا لتلك الشركات .

وما هذه الانقلابات الا وسيلة ضمن الوسائل العديدة التي يصطنعها أصحاب الرساميل الخاصة ضد الاقتصاد الوطني ، وضد النمو الصناعي الوطني ، وهناك طرق أخرى ، لاخضاع الدول اقتصادياً وصناعياً ، ولتدمير الاقتصاد الوطني والقضاء على محاولات الاستقلال الصناعي حيث تقوم الرساميل الاجنبية بشراء المنشآت الصناعية الهامة ــ الخاصة منها والعامة ــ بثمن بخس ، ثم تقوم بتدميرها اذا كانت تزاحمها في التصنيع والانتاج وأيضاً تقوم بالتسلل الى داخلها وأخضاعها لمصالحها الخاصة ، وهذا يبدو كثير الحدوث في امريكا اللاتينية ، وفي الهند .

اما الكاتب الثاني :

فهو « هاري ماجدوف » وهو استاذ في جامعة هارفارد ، **وقد قال ضمن محاضرة له في** احدى الجامعات ، يقول هذا الرجل (وما هو بمسلم ولا عربي ولا حتى ينتمي الى العالم الثالث ، وانما هو امريكي قلباً وقالباً ، ولكن قد يعترف أحدهم بالحقيقة) يقول :

« صحيح ان هنالك هالة سحرية تحيط بالماكنات الأوتوماتيكية السريعة وعمليات الانتاج المتطورة (الالكترونية) والتي تعد معجزات في ميدان الانتاج الضخم لكنه ليس بوسع هذه المعجزات ان تفعل سوى القليل في ميدان رفع الانتاج الزراعي الى المستويات اللازمة ولقهر المجاعة والتغلب على سوء التغذية ، لهذا السبب فان المطلوب أولا بصورة عامة هو مشاريع حفظ المياه وانظمة الري والتجفيف ، بالانانبيب والمضخات ومعدات النقل البسيطة في الغالب كعربات اليد والدراجات وتشكيلة من الأدوات المتطورة والآلات البسيطة ، وقد تساعد المصانع الكبرى الحديثة ذات الانتاج الضخم نظرياً ، ولكنها ليست مفتاح الحل لمشاكل البلدان الفقيرة فمعظم ما هو مطلوب يمكن تحقيقه عملياً بتعبئة القوى العاملة وتركيزها على المشاريع الاجتماعية الاكثر الحاحاً فقط .

ان معظم الأدوات الضرورية لتحصين الزراعة يمكن ان تصنع في معامل محلية صغيرة تستخدم أساليب غير متطورة ، واساليب تقليدية في الغالب وتتمتع الصناعة المحلية المحدودة بمرونة اكبر في انتاج الأدوات الملائمة للتربة والظروف الطبيعية الأخرى ، ومثل هذه المرافق يمكن ان تكون مفيدة جداً في التغلب على مسألة البطالة في الريف واستخدام الموارد البشرية المهدورة لغايات بنّاءة .

ولا تنشأ الحاجة الى كمية كبيرة من قوة العمل في الريف عادة الا في ذروة الموسم الزراعي فيما تظل هذه القوة بقية العام خاملة ، وهكذا فانه بنمو الصناعة في الأرياف ، يمكن تشغيل هذه القوة الخاملة في المعامل ، وفي مشاريع البناء مع بقائها متوفرة في مواسم جني المحاصيل الزراعية . ان النقطة المهمة اذا ما وجه الانتباه للزراعة والصحة والاسكان وتعليم الطبقات المفروض عليها الفقر ، هي ان التكنولوجيا ونوع الانتاج المطلوب سيكونان مغايرين كل المغايرة للانماط ، والنماذج التي ترتبط عادة باستخدام التكنولوجيا الحديثة .

ثم يقول في مكان آخر : ان المطلوب قبل كل شيء هو تحويل الانتباه عن التكنولوجيا ورأس المال الى الناس ، فالتنمية الناجحة تعتمد في النهاية على تحوّل الناس

أنفسهم وطالما ان هذه هي الحال ، فعلينا ان نعي العقبات التي تفرضها روح الاتكالية لدى شعوب العالم الثالث ، والتي تبدو بشكل صارخ في الارياف حيث تعيش الأغلبية ، اذ ان سيطرة كبار الملاكين والمرابين وزعماء القبائل والموظفين البيوقراطيين الصغار، هذه السيطرة المدعومة بقوات الشرطة المحلية وعصابات المرتزقة ، عند الضرورة التي تضرب بجذورها عميقاً وتمس تقريباً جميع أوجه الحياة اليومية للعامل الريفي والمزارع » .

واضيف : ان هذه العوامل تجمد الانسان في الريف وتحوله من انسان منتج فعال متحرك معتمد على ذاته الى انسان ذيلي يلفظه الريف فيتحول الى بيوت الصفيح حول المدن ويحوّل البلد من بلد متخلف الى بلد مرتكز في التخلف اكثر فاكثر .

ثم يواصل الكاتب : « كما ان هذه الروح الاتكالية موجودة و باشكال مختلفة في المدن أيضاً » بعدئذ يقول هذا الكاتب : « فوق هذا كله هناك التبعية الثقافية وفقدان الثقة بالنفس الناشئان من مجمل التاريخ الامبريالي الرسمي وغير الرسمي . لقد لُقن الناس بأن أحسن السلع هو ما صُنع في الغرب (هذا انسان غربي يتحدث و يعلم كيف تعمل الشركات وكيف تربح) وان المخلوقات المتفوقة من سكان المراكز المترو بولية (أي الصناعية الكبرى) وحدها هي التي تستطيع ان تتقن فنون التكنولوجيا ، كما ان اتحاد القمع الطبقي « والاستكبار الروسي أيضاً » ، مع الامبريالية الثقافية يعززان الشعور بالعجز عن استخدام وادارة التكنولوجيا الحديثة . هذه العوامل مضافاً اليها عنجهية الاختصاصيين الغربيين الذين يذهبون الى العالم الثالث لاقامة وتشغيل المصانع الجديدة هي اسهامات مهمة في عزل القطاعات التكنولوجية الحديثة في بلدان هذا العالم في ادامة الاعتماد على التكنولوجيا الغربية » .

و بعد أن يبيّن كثيراً من هذه المفارقات يضرب لنا مثلاً من واقع الصين بالقياس الى واقع هونغ كونغ ، فهونغ كونغ مستعمرة تستورد آخر موديلات التكنولوجيا الحديثة ، ولكنها في الواقع ليست الا بلداً متخلفاً ، بينما الصين تعمل بعكس ذلك اذ تعتمد على ذاتها ، وتعتبر اليوم ــ خارجة تقريباً من العالم الثالث حتى لتكاد ان تصبح من أعضاء العالم الثاني ــ فيقول الكاتب : وأشير هنا الى مقابلة مع عالم الفيزياء (سي ان يانغ) الحائز على جائزة نوبل وهو امريكي الجنسية من أصل صيني أجرتها معه مجلة الصين

الجديدة في خريف عام ١٩٧٥ لقد سئل البروفسور يانغ عن مدى سرعة تطور العلم في الصين فأجاب : ان أسرع طريقة للحاق بالعالم الحديث واثارة اعجاب الزوّار الاجانب هي اقامة مختبر عملاق واستيراد كل المعدّات من العالم ثم الاستعجال في تدريب كادر من الخريجين واخصائيي البُحوث للانكباب على العمليات نفسها التي تجري في اماكن أخرى من العالم ، لكن الصين ترفض هذا الاسلوب لأنه لا يكون سوى عملية استعراض لا صلة لها بالتنمية الشاملة في البلاد ، لقد دخل هذا في ادراكي بوضوح صباح ذات يوم من عام ١٩٧٣م وعندما كنت أقوم بزيارة مختبر لأشعة الليزر في احدى جامعات هونغ كونغ حيث أدخلت الى غرفة مكيفة ، وهناك شاهدت انبوبة هائلة لليزر مستوردة ملساء جداً ، جيّدة الصناعة وحيدة التغليف ، لقد كانوا يقومون بأبحاث متقدمة مما أثار اعجابي ، ومساء ذلك اليوم نفسه و بعد أن اجتزت الحدود الى الصين أخذت الى مختبر البطاريات في جامعة (زونك شانغ) وقد تجولت في غرف الليزر غرفة بعد غرفة وشاهدت الاسلاك الناتئة من هنا وهناك والتمديدات الزجاجية المنتشرة في كل اتجاه ، لقد كان كل ما هناك فوضى وكان التمايز مدهشاً فانبوبات الليزر لم تكن ناعمة جيداً ولم تكن هناك مادة الكروم الضرورية لهذه الصناعة ، بل كانت هناك كل انواع المشاكل ، وكان واضحاً لي ان جيلاً من علماء الليزر الذين يعرفون كل شيء في هذا المضمار ، والذين يعرفون السبب الفعلي للمشاكل التي تجري دراستها في الخارج سوف ينشأ في هذا المرفق ، وليس في ذلك المرفق ، واعتقد أن هذه هي الفلسفة التي ستجلب المنافع للتنمية العلمية والتكنولوجية في الصين » .

انا اذا أردنا أن نتحرك ونطوّر أنفسنا في حقل التكنولوجيا .. فلا بد أن نكتب لافتة بطول بلادنا وعرضها تقول : « التقليد ممنوع » بل لا بد أن تكون هذه اللافتة من أعماق أعماقنا حينما نتحرك ، لان التقليد بالتالي ما هو الا انعكاس حالات وطبائع غيرك عليك ، لقد كتبت في مقدمة كتاب (المنطق الاسلامي) حادثة سمعتها من بعض المهندسين الذين زاروني من « عُمان » وقالوا بأن المدارس التي بنيت باشراف المهندسين البريطانيين في « عمان » ، كانت نوافذها كلها تقابل الشمس ، لأن المهندسين البريطانيين يتحسرون على الشمس التي لا تشرق الا قليلاً في بلادهم ، ويحرصون على أن يروا قرصها بين فترة واخرى ، وحينما جاءوا الى عُمان لم يدركوا بأن

هذا البلد لا يعرف الشتاء وان الشمس هي مشكلة هذا البلد ، وان اطفال هذا البلد يهربون من الشمس الى كل ظل ممكن ، نسوا هذه الحقيقة البسيطة فجعلوا المدارس الابتدائية بشكل أن الشمس حيثما شرّقت أو غرّبت تواجه الأطفال المساكين ، وكثيراً ما يتعب الاطفال من حرارة الشمس ، وهذا مثل بسيط ، فكل حياتنا ، اصبحت تقليداً للاجانب ، في طريقة اذاعتنا واعلانات صحفنا ، وطريقة ملابسنا ، في مشينا ونومنا . ان التقليد جعلنا شعباً ممسوخاً ، لقد ضيّعنا المشيتين تماماً ، فلم نتعلم مشية الغربيين ونسينا طريقتنا الاولى .

الصناعة من أجل الانسان :

السؤال الآن : كيف نفجر الروح في امتنا لكي تصبح صناعتها من اجل الانسان .. من أجل اهدافها .. لا من أجل الآخرين ، ولكي تستطيع ان تجتاز عقبة التخلف .

اننا نشير هنا الى ثلاث نقاط حساسة قد يكون المؤلف المذكور سراً أشار الى بعضها :

أولاً : اننا في سبيل تخطي الحواجز والسير على طريق التقدم و بالذات صناعيّاً ، يجب أن نبدأ من الزراعة ، أي يجب أن نبدأ من حيث بدأوا ، ولكن بسرعة اكبر ومن الخطأ الفظيع ان نقول (نبدأ من حيث انتهوا) فان كان لك أخ درس في الجامعات المتقدمة حتى حصل على شهادة بروفسور ورجع اليك ، بينما انت جئت من الريف الى المدينة ورأيت أخاك يقرأ كتباً ضخمة مكتوبة بالانجليزية واردت أن تصبح مثله ، هل من الصحيح أن تجلس الى تلك الكتب وتحاول قراءتها والبدء من حيث انتهى أخوك ؟ ، انك لا تستطيع ان تقرأها ولو جلست عليها الى أبد الآبدين . عليك ان تبدأ من حيث تبدأ من المدرسة الابتدائية فالمتوسطة فالثانوية فالجامعة فالماجيستير فالدكتوراه ، وان تتعب نفسك حتى تصير بروفسوراً .. اجل تستطيع ان تتحرك بسرعة اكبر ، ولا اريد ان استشهد بكلام ذلك الانسان الذي قال « من أراد حرق المراحل احرقته » انما استشهد بكلام الامام علي (ع) .. حيث قال :

« من صارع الزمان صرعه » .

لا نستطيع ان نقفز فوق حاجز الزمان ، ولكن بامكاننا ان نسرع !

لقد بدأت الصناعة في بريطانيا ، وكان احد العوامل الاساسية لتطور الصناعة هو

تراكم الثروة الزراعية ، فبعد ان تراكمت هذه الثروة ، تحولت شيئاً فشيئاً الى عملية صناعية بسيطة ، ثم بالتدريج أصبحت معقدة .

من هنا ينبغي ان نبدأ من الزراعة ، ومن الريف ، ولقد كانت هذه نظرة عميقة جداً للامام الخميني « حفظه الله » وللقيادات السياسية الايرانية ان توجهت الى الريف وقالت : الريف اولاً ! وتوجهت الى بناء الطرق ، ثم توجهت الى زراعة ايران فأصبحت الزراعة في ايران الآن أفضل من ايام النظام البائد بحوالي الضعفين أو ثلاثة أضعاف ، وهذا قليل الحدوث في العالم .

جاء خبير زراعي عالمي وقال لي : لماذا لا تتحدثون عن تجربتكم ، لان هذه التجربة فريدة في العالم ؟ اننا لا نجد اليوم في عالم يعيش الجوع والحرمان دولة استطاعت ان تقفز بهذه السرعة في المجال الزراعي ! في مطالعة احصائية لبعض الانجازات الثورية نجد الارقام التالية :

قام (جهاد البناء) باصلاح أربعة وعشرين ألف قناة أي أربعة وعشرين الف نهر ماء مستمر ، لان القناة تقريباً نهر ماء بامكانها أن تسقي مساحات واسعة جداً .

كما تمّ رصف حوالي ٣٠ ألف كيلومتر من الطرق الريفية ، وأوجدوا في كل قرية من قرى ايران مخزناً لمياه الشرب .

ان التخلف الذي يغلف بلداننا ، والآن فقط بدأ عصر النور بعد مجيء الثورة الاسلامية فالآن ، بدأت الطلائع تخترق الحواجز كي تصل الى أولئك البعيدين عن العصر وعن الحضارة وعن العالم ! لم يكن لهم ماء يشربونه ، فأعطوهم الماء ، وماذا ينفع ايران اذا استطاعت ان تصنع قنبلة ذرية وأبناء ايران لا يستطيعون ان يشربوا الماء الصحي ؟

اذن فلنبدأ اولا بالزراعة : لان السواد الاعظم هناك ، وكما قلت سابقاً لنبدأ خطوة فخطوة فلنوفر لهم اولاً التعليم الابتدائي لانه ليس من الضروري ان يكون في ايران عشرون الف جامعي ، بينما يبقى كل الشعب الايراني أميّاً ، قرأت في تقرير لليونسكو ان نسبة الامية تزيد سنة بعد اخرىٰ في بعض دول الخليج ! وهذا شيء غريب مع كثرة المدارس ، كيف تزيد نسبة الأمية ؟! هل الناس ينسون القراءة والكتابة ؟ كلا .. ولكن الهجرة من البادية الى المدينة كثيفة ، والهجرة من خارج البلد الى داخل البلد من غير المتعلمين كثيفة ، وهؤلاء يضيفون الى الأميين ارقاماً جديدة .

ثانيا : علينا ان نبعث روح الثقة بالذات والاعتماد على النفس والتوكل على الله في نفوس جماهيرنا .

أيها الانسان المسلم عد الى نفسك ، وقاوم هذه المجموعة المترابطة من الذين لا همّ لهم سوى استلاب ثقتنا بأنفسنا ، وسرقة اعتمادنا على ذواتنا ، وكل ما تقوم به هذه المجموعة عبر الاذاعات والصحف ، فلو ان المطابع توقفت والامواج الاثيرية ركدت لمدة خمس سنوات لبدأت الحركة الصناعية الكبرى في عالمنا ، ولكن هذه الاجهزة الاعلامية هي التي توحي الينا بطريقة أو بأخرى بأنكم لا شيء وأنكم لا تستطيعون ان تفعلوا شيئاً وقد رأيتم في ايران كيف توقف كثير من المصانع ، لان الخبراء الاجانب هربوا منها ، بل هدّموها ، ولكن المهندسين الشباب ، بل وحتى غير المهندسين من الشباب اقتحموا هذا المجال وعملوا وسعوا الى ان اعادوا تشغيل المصانع ! ومصنع النحاس في كرمان أحد الأدلة ، والتلفزيون الملون في بندر عباس دليل آخر ، لقد جاء الفرنسيون و بأجهزة ارسال التلفزيون الملوّن داخل الصناديق وعليها ختم ، قالوا اذا فتحتموها فنحن بريئون من التزامنا بتشغيلها ثم لم يأتوا لتركيبها .. ولكن الشباب الرساليين فتحوا الصناديق وشغلوا الاجهزة بنجاح ، و بعد الحرب ربما نستطيع ان نشغل أيضاً مجمع البتروكيماويات في ميناء الامام الخميني . وهناك المئات من المصانع والمشاريع المتوسطة والصغيرة التي تم انجازها على يد الشباب المؤمن ، وفي غياب كامل من الخبراء الاجانب .

لقد أثبتت التجربة الايرانية وقبلها التجربة الصينية ، والتجربة الكورية الشمالية ان الاعتماد على الذات قادر على ان يفجر مواهب الانسان ، واضرب لكم مثلاً من كوريا الشمالية ، الكوريون لا يملكون من الطاقة الا الفحم الحجري ، لذلك فهم يشترون مرسيدس من المانيا الغربية ويحولوها من مرسيدس تعمل بالبترول أو الكازوئيل الى مرسيدس تعمل على الفحم الحجري ، وهذا يعني الاعتماد على النفس .

وهناك بعض البلاد الاخرى واعتقد انها من بلاد امريكا اللاتينية تعمل بنفس الطريقة ، ولكن تحول السيارات للعمل على البيرة ، أي تستغل البيرة كمادة للوقود .

وفي ايران كان الشاه المقبور قد باع الغاز الايراني كله للاتحاد السوفيتي و باستطاعة الغاز الايراني ان يوفر للايرانيين كل عام ٢٥ ألف مليون دولار اذ أنه أفضل وقود

للايرانيين و باستطاعتهم ان يبدأوا صناعتهم من نقطة « الغاز الطبيعي » والحكومة الاسلامية اليوم تدرس مشروعاً ضخماً في هذا المجال . لقد كان الشاه المقبور يقول : لا ، اننا نبيع الغاز للاتحاد السوفيتي ، والاتحاد السوفياتي يبيع الغاز الى المانيا الغربية ، والمانيا الغربية تصنع لنا جرارات نفطية ترسلها الى ايران لنعمل عليها .

وما زال العالم الثالث مكبلاً بأمثال هذه المشاكل التي يجب ان نتجاوزها ، وذلك بأن نعيد الثقة الى أولادنا منذ الطفولة . يجب ان نجعل الطفل يعمل ، وان ندع له فرصة للاختيار ، فرصة للتحرك منذ الطفولة ، ثم نربي أولادنا ومجتمعنا على هذه الطريقة ليتحول المجتمع الى مجتمع منتج .

ولكننا نجد المأساة في العراق : فصدام أخّر حضارة الشعب العراقي خمسين عاماً ، حينما فتح الأ بواب امام الانتاج الغربي والشركات الغربية والشرقية وحول العراق الى سوق استهلاكية واقترض الاموال من هذه الدولة الرجعية وتلك ، و بثها بين الناس ، فعوّد ذلك الشعب البطل الذي كان أول من اكتشف الزجاج في التاريخ ، وكان مفجراً لكثير من الحضارات التاريخية ، عوّده على الكسل والترهل ، فاذا به اليوم يتعرض للمسخ على يد صدام معوداً ايّاه على اخذ الاموال لتتحول الى مواد استهلاكية ، ومتى شاءوا منعوا عنه المال ليحولوه الى عبيد وأتباع لصدام وحزبه .

اذكر ذات سنة قام هذا النظام الحاقد بعمل اجرامي بحق شعبنا ، ففي منطقة الناصرية شحت مياه الفرات بسبب السدّ الذي اقيم في سوريا أو هكذا قيل ، فشحت المزارع تقريباً وأصبحت تعاني من العطش فاستغل صدام هذه الفرصة و بدل ان يعمل على حفر الآبار مثلاً قام بفتح باب التطوع في الشرطة لأهل الناصرية واغراهم أن يكونوا شرطة براتب خمسين ديناراً في الشهر ، فذلك الفلاح الذي كان يزرع في بلده مرتاحاً جاء صدام وعمل له هذا الطعم **فحوّله وحوّل** الناس الى بغداد ، والى سائر المحافظات وحوّلهم من مزارعين شرفاء يعملون داخل بلدهم الى شرطة تابعين له يستخدمهم كيف يشاء ، بدل ان يصرف نفس المال في ايجاد مضخات قوية أو آبار ارتوازية لتقنين توزيع الماء ، على المزارع ، وفي محاولات لابقاء الشعب في أرضه وعمله ، الا أنه بخيانته حوّل الارض الزراعية الى ارض جرداء .

وكما عمل مؤخراً في العراق عملاً جنونياً اجرامياً آخر حين أوعز للبدو العراقيين

الذين كانوا رعاة للمواشي وعليهم تقوم الثروة الحيوانية في العراق ، بأن الحكومة تسمح لمن أراد منهم ان يستورد سيارة شحن أو سيارة نقل و يعمل بها بحريته من دون ان تأخذ الحكومة اية رسوم على استيراد السيارات .

فانخدع أولئك المساكين الذين كانوا يعانون من شظف العيش في البداوة فقام كل راعي ماشية يبيع ماشيته داخل المدن حيث استُهلكت وسافر بثمنها الى الكويت ليشتري سيارة نقل ، وعندما عاد الى العراق أعطي في الحدود لوحة عبور مؤقتة لسيارته لمدة ثلاثة شهور ، ولما تأكد لصدام واعوانه انهم قضوا بذلك على مصادر الثروة الحيوانية عادوا لأصحاب السيارات وأمروهم بدفع الجمارك .

و بهذه الطريقة المنظمة قضى صدام وحزبه على الثروة الحيوانية في العراق ! ونحن ــ على العكس من ذلك تماماً ــ مطالبون بأن نبدأ من ذلك البدوي في الصحراء وليس من ساكن المدينة ، لان سكان الصحاري والارياف منتجون ، أما سكان المدن فمستهلكون ، ونحن علينا ان نبدأ بالمنتجين فنعيد الروح اليهم وندفعهم بأن ندعمهم ونوفر لهم الامكانيات لتطوير انتاجهم .

ثالثاً : الاعتزاز بالطرق التقليدية التي كانت سبباً في تحقيق الاكتفاء الذاتي في ذلك الوقت دون الحاجة الى اللجوء لما عند الغرب أو الشرق ، اذ يجب علينا ان نجعلها الآن مكان افتخارنا وموضع تقديرنا .

فمن بين تلك الطرق العظيمة نختار هذا المثال :

في ايران منطقة صحراوية جرداء تسمى « كوير لوط » وتنتشر فيها بعض الواحات الخضراء من بينها (كرمان) الشهيرة ، وكان سكان كرمان نظراً لندرة المياه سابقاً يعمدون الى احواض خزفية كبيرة يملؤنها بالماء و يغطون فوهتها بطبقة تسمح للماء بالنفاذ ثم يدفنوها في التربة و يبذرون البذور حولها فتنبت تلك البذور بما يصل اليها من الماء الناضح من الاناء الخزفي وتسربه في التربة . مقتصدين في الماء القليل في منطقتهم و يعطون البذرة مقداراً بسيطاً من الرطوبة لنموها فقط .

هكذا تغلب الكرمانيون على ظروف الطبيعة فحلوا مشكلة ندرة المياه بهذه الطريقة البسيطة والفعّالة ، فهل خطر على فكر أحد منا مثل هذه الفكرة ؟

ولقد قرأت كثيراً عن الطرق الاقتصادية في العالم ، ولكن لم أقرأ عن مثل هذه

وهل تعرفون في العالم طريقة اقتصادية ، لاقتصاد الماء مثلها .

ومثال آخر .. من منطقة (زانده رود) في اصفهان، حيث سحب المسلمون الماء تحت الارض عبر قنوات خاصة الى منطقة ايلام لاستغلالها في ري الاراضي الزراعية هناك ، رغم أن المسافة بين اصفهان وايلام تبلغ مئآت الكيلومترات . أفلا تستحق مثل هذه التجارب الأكبار والاحترام ! ان تقدير التجارب ، في حفظها والاستفادة منها ، فلا بد ان نتعلم هذه التجارب عبر وسائل حديثة ونعلمها لجيلنا الجديد .

الاسلام
والتقدم الحضاري

ان البلاد النامية التي تنتمي اليها بلادنا الاسلامية والتي تعاني الأمرّين من الفقر والخوف ينبغي أن تعمل المستحيل لكي تتحدى وضعها المتخلف الذي نتج عبر عواصف شديدة من تداخلات العوامل الخارجية ، لا سيّما مداخلات الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، وما تتبعها من القوى السياسية والعسكرية .

هنالك في عالمنا الاسلامي ما لا يقل عن ٧٠٠ مليون انسان يعيشون دون أدنى المستويات اللائقة بانسان القرن العشرين ، وهنالك الملايين ممن يهدّدُهم الموت جوعاً ، وألوف الملايين الذين إن لم يهددهم الجوع اليوم ، فان تبعيّتهم للغرب والشرق تتهددهم بالفناء في أية لحظة تشاء فيها القوى الكبرى ان تفنيهم .

فما اسرائيل التي زرعت كخنجر حاد في قلب الوطن الاسلامي ، والتدخل العسكري الروسي الذي لم يكف عن ابادة الشعب المسلم في افغانستان وما الابادة المنتظمة للشعب الارتيري من قبل حكومة اثيوبيا الحمراء ، وما الغزو العسكري والثقافي والاقتصادي لبلادنا تحت شعار أو آخر ، وما تسليط مجموعة من العملاء الأجانب على بلادنا واحاطتهم بشبكة من أجهزة المراقبة لكي لا يفكروا بالاستقلال ، إلا نتائج بارزة لمواقفنا وتصرفاتنا التي أملتها علينا ثقافة القرون الخاوية ، قرون القشرية والتخلف .

وكل هذه النتائج تدفعنا الى ان نختار واحداً من أمرين : أما الموت ، واما التقدم ، ولا ثالث لهما ، وهذا يعني اما ان نختار لأنفسنا الفناء المنظم والابادة المنتظمة ، واما أن نختار لأنفسنا التحرك السريع لتجاوز عقبة التخلف .

ان باكستان كانت البلد الاسلامي الذي فكر قادته يوماً ان يصنعوا القنبلة الذرية واحس قادة الغرب بمدى خطورة هذا القرار، واني أتذكر جيداً ان كيسنجر فاوض علي بوتو ــ رئيس وزراء باكستان السابق ــ على وقف برامج التصنيع الذري في بلده، ولكنه رفض الاستجابة، فاضطر كيسنجر للذهاب الى فرنسا وحاول أن يقنع الادارة الفرنسية في عهد «ديستان» بأن توقف مساعداتها لباكستان في الشئون الذرية، ولكن فرنسا هي الأخرى رفضت الاستجابة لعرض كيسنجر، فحاولت الادارة الامريكية في عهد «نيكسون» أن تضغط على البرازيل التي كانت لها علاقات ذرية مع باكستان، ولكن هي الأخرى رفضت طلب كيسنجر.

فعقد الأخير مؤتمراً صحفياً في باريس قبل أن يغادرها الى واشنطن، قال فيه: «اننا سنلقن علي بوتو درساً لا ينساه، لأنه رفض الاستجابة لنا» وبعد أيام بدأت القلاقل في باكستان واستمرت الى ان انهت نظام علي بوتو، بل استمرت الى أن أعدم هذا الرجل في باكستان، وكان ذلك درساً من قبل كيسنجر لا لذي الفقار علي بوتو، الرئيس الباكستاني السابق فحسب، وانما لكل الرؤساء: ان اذا حاولتم أن تتجاوزوا الخط الأحمر في تعاملكم معنا فان مصيركم لن يكون أفضل من بوتو.

إن تعامل الغرب مع الرؤساء لا يختلف عن تعاملهم مع الشعوب فالرؤساء لا قيمة لهم عند الغرب اذيسقطونهم متى ما شاءت ارادتهم ومتى ما حاول احدهم تجاوز الخط الاحمر الذي رسموه له فانهم يمنعونه باية وسيلة.

ومن المعروف ان نظام صدام الذي رغم عمالته المطلقة للغرب، التي دفعته لاشعال حرب طويلة عريضة ومهلكة لنظامه ولشعبه لا لشيء، الا من أجل عيون اسياده، فانه لم تشفع له عمالته لهم بأن يسمحوا للمفاعل النووي في العراق ان يستمر، فأوعزوا لاسرائيل بقصفه وتدميره.

كما ان الحكومة المؤقتة في ايران والتي ثبت ــ فيما بعد ــ مدى ارتباطها المشبوه بالخط الامريكي، وعمالة بعض اعضائها، اول عمل قامت به هو الغاء المعاهدات الذرية بين ايران والخارج بعد انتصار الثورة الاسلامية، ومن هذا يتبين كيف يسعى الغرب بكل ما أوتي من قوة وضغوط لكي يصنع له دمى في البلاد التي يسيطر عليها باسم رؤساء ويجعلهم ضمن نهج معين يرسمه مسبقاً و يلزمهم بالسير على هداه.

أما عن المثل القديم فيكفي ان نقتطف فقرات من كتاب «تشريح جثة الاستعمار» لمؤلفه الفرنسي «يدغي دو بشير» حيث يتحدث فيه الكاتب عن بعض مظاهر الغزو الفرنسي لافريقيا، وكيف كان هؤلاء الغزاة يتعاملون مع الشعوب المستضعفة، حيث حاولوا السيطرة على شعوبنا، فامتصوا افضل الطاقات ليوظفوها في مصانعهم واراضيهم الزراعية. يقول هذا المؤلف:

«عندما كان تاجر الرقيق ينزل الى الارض كان يتصل على الفور، اما بالأمير المحلي، أو بأحد أفراد بلاطه المفوضين من قبله لهذه المهمة، واما بحاكم القلعة الأبيض، وبعد ان يؤدي رسوم القاء المرسي والاقامة، يأخذ في المفاوضات المبدئية وتُدفع لرجل البلاط الأفريقي كمية من المال في بداية المفاوضات، اذ لم يكن التاجر من حيث المبدأ يشتري من الملوك الأفريقيين الا أسرى الحرب الذين يبيعهم آسروهم والواقع ان نسبة مئوية ضئيلة للغاية من الزنوج المسترقين تندرج تحت تعريف أسرى الحرب الا أن عدداً اكبر بما لا يقاس كانوا من الرجال الأحرار وأعضاء في الاسرة او من التابعين لبلاط الملك الافريقي لم يعودوا في عين ملكهم حيث يقبض عليهم الملك بالقوة ويجرون جراً الى سفن الرقيق، استمرت هذه التجارة امداً طويلاً فأخذ معين السائمة البشرية ينضب ــ نلاحظ هنا ان الكاتب يعبر عن هؤلاء الرقيق بالسائمة البشرية لكي يبين لنا نظرة أولئك الأوروبيين والامريكيين الى الانسان في افريقيا ــ وعندئذ بدأت مطاردة الرجال، تقوم على أسس منظمة في غير نطاق حرب، فما كان الأمر اذن يتعلق بايقاع الرجال الاحرار في قبض الأسر على نحوٍ منهجي منظم، ولم يكن هناك أسرى حرب بأيّ شكل من الأشكال».

«شنّ البرتغاليون حملات في انجولا بغرض أسر اكبر عدد ممكن من الأرقاء صراحة ودون مواراة». وكانت القبائل تعيش في هذه الارض منذ آلاف السنين، فاذا فجأة يأتي العسكريون البرتغاليون الجشعون، كانوا يأتون ويحاصرون هذه القبائل و يأخذون أبناءها أسرى، والذي ينتفعون منه يذهبون به أسيراً، والذي لا ينتفعون به يقتلوه لا لذنب أقترفه، ولكن لأنهم يحتاجون الى مجموعة بشر أرقاء.

ثم يواصل المؤلف:

«ان هناك الكثير من الشك حول حجة التبشير بالانجيل، فعندما نرى اللا مبالاة

والاستهتار من جانب أصحاب الرقيق في هذا الشأن حيث كانوا يقولون نحن نريد أن نذهب بهم الى الجنة المسيحية ونبشرهم بالديانة المسيحية الجديدة» هذه كانت حجتهم الظاهرية، ولكن دعونا ننظر الى الواقع الذي كانوا يمارسونه بعد أخذ هؤلاء.

«بعد الصفقة بين تاجر الرقيق والأمير الأفريقي، أو نائبه، وعندما يسيطر على العشيرة الافريقية بالقوة يساق أبناؤها أسرى، وعندما يصل البحارة المسلحون و يدفعون بارقاء المستقبل دفعاً و يقيدون كل اثنين معاً في الأغلال، كان الأسرى يثورون في الغالب في لحظة حلة السفر، ولكن هذه الثورات كانت تخمد بعنف».

و يقول الكابتن «فاين انشتاين» في يوميات سفينته: كان تاجر الرقيق يتأكد صباح مساء ان الأسرى لم يحاولوا أن يتخلصوا من الأغلال، وكان الأسرى قبل الرحيل يوسمون بعلامات معينة، كانت العملية تتم عادة عن طريق الوشم بواسطة شفرة رقيقة من الفضة تحمل علامة السفينة أو صاحبها، وكان لأداة الوشم تلك يد من الفضة مثبتة بمقبض خشبي و يسخنها الموكل بالعملية على النار، ثم يدعك بالشحم ذلك الموضوع من الجسم الذي لا يتعدى الكتفين أو الفخذين، أو حلمتي الصدر، وفقاً لطبيعة ونوع البضاعة، و يضع فوقه ورقاً دهيناً ثم يختم بالعلامة من فوق الورقة، فكان الجسم ينتفخ و يسبب الألم و يظهر الحرق أو علامة بارزة، ولا تنمحي أبداً.

و يظل الأسرى مقيدين بالأغلال في أماكنهم تفادياً للثورة، أو الانتحار حتى تصل السفينه الى عرض البحر و يبتعد الشاطىء الافريقي تماماً حيث يختفي عن مرمى النظر.

وقد قال قبطان سفينة الشمس في ١٦ سبتمبر ١٧٧٤م القت (١٤) إمرأة بانفسهن معاً في البحر من فوق ظهر السفينة ولكن الكابتن فاين انشتاين وصف حادثاً مماثلا على نحو آخر، ربما كان فيه نفاق كبير حيث يقول: «استبد الفضول بنساء جلسن جميعاً من نفس الناحية وتعرضن لخطر السقوط في الماء مع اولادهن» ــ هكذا كانت النساء تحاولن أن يلقين بانفسهم مع أولادهن في عرض البحر لكي لا يظلن في الأسر.

ثم يبين الكاتب كيفية وضع هؤلاء داخل السفينة اذ يقول:

«يضعون كل ثلاثة من العبيد فيما يقابل الحيز الذي يشغله برميل واحد من البضاعة».

انظر مدى المعاملة اللاانسانية التي كانوا يتعاملون بها مع البشر الاحرار الذين

لا جريمة لهم الا انهم كانوا عزلا من السلاح فلم يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم مقابل مدنية الغرب الجاهلية .

ثم يضيف المؤلف : «وكان مجموع ارتفاع الطوابق التي يحشد فيها الأسرى حشداً يتراوح من متر ونصف الى مترين ، مما يحول دون أن يقف الأسير منتصباً دون انحناء ، و بلغ من جشع بعض القباطنة ، أن كان تكوم الأسرى يصل الى حد ان يضموا الى بعضهم ــ كالبرتقال في الصناديق . وفي مثل هذه الظروف البشعة ، و بالنظر الى الاوضاع الصعبة التي كانت سائدة في ذلك العصر ، ليس غريباً أن تصل نسبة الوفيات الى درجات مخيفة بين الأسرى فقد كانت تتراوح من خمسة بالمئة الى اربعة وثلاثين بالمئة ــ .

والسؤال الذي يطرح بهذا الصدد هو : هل تغير شيء ؟

ياترى هل تغيرت صورة ذلك الأوروبي البشع أو الامريكي الوقح ؟

بالطبع كلا .

اذا لم يتبدل من بعد ذلك اليوم الذي كان يتعامل فيه مع الأفريقيين والأسيويين ولسببين بسيطين جداً هما :

أولا :

لم تحدث حسب معلوماتنا ثورة اخلاقية في اوروبا أو امريكا . اذ لم نر شيئاً من هذا القبيل . وما جاءهم نبي جديد علمهم مكارم الاخلاق كما قال رسولنا الاكرم محمد (ص) :

« انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

ذلك الرسول الذي يعاتب بلالا لأنه مر بالأسرى على القتلى من أهلهم فقال له الرسول (ص) :

« ما اقسى قلبك يا بلال ! لماذا مررت بهؤلاء الاسرى على قتلاهم ، لكي يجزعوا »

ذاك هو الرسول الذي جاءت الآية الكريمة في سورة «هل أتى» تشيد بموقفه وأهل بيته بالنسبة الى اسرى الحرب فمهما كان أسرى الحرب ، أي صاروا عبيداً ، أم حظوا بالحرية بعد الفداء ، أم أعتقوا لوجه الله بعد أن صاروا رقيقاً فذابوا ليصبحوا جزءاً من

المجتمع الاسلامي ، حتى لو استمر اسم العبد أن اسم الرق عليهم ظاهرياً ، فان هناك آيات كريمة تؤكد على ضرورة الاهتمام بالأسرى ، ولم تحدث في أوروبا ثورة كهذه الثورة الاسلامية ولا في أمريكا ، بل بالعكس تماماً حيث نعلم عن أخلاق اوروبا وامريكا ، انها تتردى يوماً بعد يوم ، والشيء الذي كان انسانياً ومحترماً واخلاقياً في الجيل الماضي لم يعد كذلك ، والشعب الاوروبي يتهابط اليوم عبر دركات اللاانسانية واللااخلاقية في كافة المجالات ، وهذا شيء واضح .

إذاً فأوروبا وأمريكا ، وهكذا الاتحاد السوفيتي ، تعاملنا بنفس تلك الروحية ولكن مؤطرة باطار آخر . والفرق هو ان اولئك لم يكن لديهم صحفيون يبررون مواقفهم ، فلم تكن لديهم اذاعة «مونتكارلو» أو مجلة «المجلة» أو «الحوادث» أو «الاسبوع العربي» أو «الوطن العربي» تبرر تلك المواقف الرذيلة .

ولكن اسرائيل تملك اليوم مثل هذه الصحف ، وهذه الاذاعات للتبرير ، فاسرائيل فعلت بلبنان مثل ما كان الفرنسيون يفعلون بافريقيا ، ولكن تحت شعار آخر .

وحكومة العراق البعثية عملت بالشعب العراقي مثل ما عمل الفرنسيون والبريطانيون بشعبنا الجزائري والمصري والفلسطيني ولكن العراق يملك اليوم جيشاً من الاعلاميين المرتزقة الذين يبررون جرائمه .

ثانياً :

نحن نرى بوضوح ان صانعي القنابل الذرية التي تستطيع ان تهدم العالم عشر مرات وصانعي الاسلحة الكيمياوية الخطيرة جداً والتي هي أخطر بكثير من الاسلحة النووية . هؤلاء الغزاة الذين قتلوا من الشعب الفيتنامي مليوني انسان ومن الشعب الكمبودي مثل ذلك والى الآن لا يزال النزيف البشري مستمراً في كمبوديا ، والذين استخدموا صداماً ليشن حرباً لا تبقى ولا تذر ، هؤلاء لا يتورعون عن تصفية المسلمين ، لا يتورعون ان يجعلوا شعب مصر وأرض مصر مخزناً للنفايات النووية التي تهدد هذه الارض الى آلاف السنين القادمة .

ان من الجرائم الخيانية الكبيرة التي قام بها السادات انه سمح للامريكيين ان يجعلوا ارض مصر مدفناً للنفايات الذرية ، تلك الجريمة التي كان الشاه البائد يريد ان يقوم بها في ايران ، ولكن جاءت الثورة الاسلامية المباركة ، وأطاحت به والحمد لله رب

العالمين فلم يستطع أن يفعل شيئاً .

ومن المعروف أن خطورة هذه النفايات النووية أشد فتكاً من استخدام القنبلة الذرية ، لان اشعاعات هذه النفايات تبقى لآلاف السنين مستقبلا مما يؤدي الى قتل الأبرياء والضحايا بالسرطان ، الا اذا حدثت حادثة كونية غريبة لا نعرفها .

لماذا لم يدفنوا هذه النفايات عندهم في صحراء نيفادا ؟

لماذا لم يلقوا بها في البحار ؟

انما جاءوا بها الى بلادنا لأنهم لا يمانعون في ابادتنا واذا بقينا متخلفين فانهم سيسمحون لأنفسهم بأن يتعاملوا معنا كما يتعاملون مع الفئران ! وهناك اذا كان في بلادهم جمعيات للرفق بالحيوان فانه لا توجد جمعية للرفق بالانسان ! فليس امامنا الا أن ننطلق انطلاقة واحدة وسريعة جداً لنتجاوز عقبة التخلف .

والاسلام هو الذي يضمن لنا التقدم ان اخذناه بكل ابعاده من دون اجتهاد واختيار حيث لا يمكن ان نختار نصاً ونعمل به ونترك آخر ، انما الاسلام كل لا يتجزأ .

طريق التقدم في الاسلام

الاسلام هو الذي يستطيع أن يقفز ببلادنا الاسلامية بالذات و بصفة عامة ببلاد المستضعفين في العالم الثالث فوق حواجز الاستعمار في طريق التقدم وذلك عبر خمس مراحل :

الاولى : الاسلام يضمن لنا الاستقلال و يقول :

« من مات دون دينه فهو شهيد ، ومن مات دون ماله فهو شهيد ، ومن مات دون عرضه فهو شهيد » .

فالاسلام يزودنا بسلاح الشهادة ، وسلاح الشهادة هو سور الاستقلال ولن يمكن لبلد ان يتحدى القوى الكبرى ، الا اذا تسلح بسلاح الشهادة في سبيل الله والاسلام يقول لنا أيضاً :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »

كما يقول أيضاً :

« الجنة تحت ظلال السيوف »

و يقول :

« تابوت أمة محمد (ص) السيف »

والنبي (ص) يقول :

« الخير كله معقود بنواصي الخيل »

أجل ان الخيل والخيالة يشكلون حصناً لنا ولبلادنا ضد اعتداءات الآخرين عبر فلسفة الجهاد في سبيل الله ، وهو ركن أساسي من أركان الدين .

الثانية : الاسلام يضمن لنا الاكتفاء الذاتي :

بعد أن ضمنا استقلالنا من الغرب والشرق تبدأ عملية التنمية الحقيقية . وفي هذا الشأن يجعل الاسلام كل فرد من أفراد الأمة الاسلامية عاملا مجداً في سبيل التنمية الاقتصادية .

وهناك نظرية خاطئة وفاشلة في التنمية الاقتصادية احذر منها الشعوب الاسلامية والعارفون بعلم الاقتصاد الحديث يدركون ما أقول :

تقوم هذه النظرية على أساس الجزر الصناعية التي تنبث في بحر التخلف ، وهذه الجزر سوف لا تستطيع ان تتصل ببعضها الى الأ بد لان هناك من لا يريد لها ذلك .

فهم يبنون المدن الكبرى ، كطهران مثلا ، و بغداد ، والقاهرة ، والعواصم الاخرى في العالم المتخلف (النامي) كأفضل ما يكون البناء ، شوارعها و بناياتها و وسائل تكييفها ، و وسائل المواصلات فيها ، تماماً كالعواصم الأ وروبية بحيث لا تجد فرقاً بين باريس وكراكاس ، ولا تجد فرقاً بين لندن و بغداد مثلا ، ولكن الفرق ان تلك المدن في فرنسا أو بريطانيا أو غيرها ، انما هي مدن في ارض معمورة القرى والشوارع ، الصناعات موجودة والرفاه منتشر في البلاد كلها ، ولكن في العالم الثالث لا تجد سوى العواصم معمورة .

ذات مرة كنا في سفر داخل ايران فمررنا ببعض القرى ، والقرية الواحدة يكفي أن يصرف عليها من المال مقدار ما يصرف في طهران على بناية واحدة لكي تعمر ، ولكن أهل تلك القرية يعيشون أسوأ ما تكون المعيشة اذ يحتاجون الى الماء ، والى الوسائل الأ ولية

للحياة ، كما يحتاجون الى فرص العمل ، فهذا هو فعل الشاه .

وهكذا تفعل كل الانظمة الذيلية ، يبنون صناعة متقدمة جداً ، بينما البلاد تحتاج الى ابسط الصناعات وماذا تنفع الصناعة المتقدمة المرتبطة بالشرق أو بالغرب ؟ ماذا تنفع الصناعة (التجميعية) التي لو لم يمن عليها الغربيون بالمواد الخام أو بالآلات والمستشارين ، فان هذه الصناعة تموت ؟

كثير من بلداننا في العالم الثالث ، و بالذات في المنطقة العربية حاولت ان تقفز الى الصناعات الثقيلة ، مثل مصر والجزائر ، ولكنها جميعاً فشلت ، لانها كانت تتبع نظرية «الجزر الصناعية» يعني ان هذه الارض كلها بحر من التخلف ، الا ان الحكومات تقوم ببناء مدن صناعية متناثرة لا تستطيع ان تقوم بأي انجاز حقيقي ومفيد .

اننا اذا أردنا التقدم الحقيقي لا بد بالزراعة ، أي من اشباع بطوننا ان لا نحتاج الى الآخرين في غذائنا ثم نبدأ ببناء القرى ثم تستمر عملية التوجيه الى التقدم عبر كل ارجاء البلد وكل القنوات وعلى كافة الأصعدة ، وليس عبر مجموعة بشرية بسيطة .

اننا فيما لو خيرنا بين ان نبني جامعة لنسبة واحد بالألف من شبابنا أو نبني مدرسة ابتدائية لكل ابناء الشعب ، فاننا يجب ان نختار بناء المدرسة الابتدائية ، لأننا نريد أن نرفع مستوى الشعب كله ، وهذه النظرية هي التي طبقها الاتحاد السوفيتي في العشرينات وفي الخمسينات تقريباً طبقتها كوريا الشمالية ، وطبقتها بعض البلاد الاخرى فانتصرت ونجحت .

اذن ينبغي ان يتحرك الشعب كله نحو التصنيع والتقدم فلا يكفي ان تكون لدينا نخبة من الصانعين أو مناطق صناعية ، بل ينبغي ان نسد الابواب كلها في وجه الصناعة الاجنبية ، كما فعل اليابانيون قديماً ، حينما قالوا : «لا نشتري من الخارج شيئاً» حتى أنه انعدم في ظرف من الظروف الحذاء في اليابان ، فاخذ الامبراطور الياباني في ذلك العهد قطعة من الجلد و وضع بين جانبيها خيطاً ، ثم جعله في قدميه ، وقال هذه حذائي الى ان نصنع الأحذية في بلادنا ، نحن لا نشتري من الخارج .

اننا حتى ولو عدنا الى عصر الحمير والمصابيح النفطية والمشي على الأقدام ، والى عصر الزراعة التقليدية القديمة بسبب مقاطعة الصناعة الاجنبية ، فلا بد أن نفعل ذلك ، اذا كان يؤدي بنا الى التطور الذاتي .

ففي ايران و بعد انتصار الثورة الاسلامية ، أمر الامام الخميني بأن يزرع الايرانيون الأراضي التي تسقى بالامطار فزرعوا وحينها تورطوا في عملية الحصاد ، حيث لم يكونوا يملكون حاصدات آلية بالقدر الكافي ، لأن الزراعة الايرانية خصوصاً في مجال القمح ارتفعت من مليونين طن الى حوالي ستة ملايين طن سنوياً فقال الامام «احصدوا عن طريق جهاد البناء» .

فانتشرت الجماهير في الصحاري ، وأخذوا يحصدون المحاصيل واستمروا على هذا المنوال الى أن استطاعوا الحصول على الحاصدات الآلية بالمقدار الكافي ، وهذه هي الطريقة الصحيحة اذا لم نجد الحاصدات بالمقدار الكافي ، فلنزرع ولنحصد بأيدينا حتى وان كانت طريقة بدائية ، لأن الحاجة هي أم الاختراع .

كان الصينيون يشكون من كثرة الطيور التي تأكل حبوبهم فقرروا ان ينهوا هذه الطيور فتواردت الاقتراحات من ابناء الشعب وقدمت للقيادة ، كان أحد الاقتراحات يقول : «نقتلها بالرصاص» ! لكن القيادة قالت ان هذه الطريقة تحتاج الى ميزانية ضخمة ، وجاء اقتراح آخر يقول : «نقنصها» قالوا : هذا صعب ، قُدم اقتراح آخر يناسب وضعهم وكثرتهم السكانية حيث يقضي بان يجلس الصينيون في الصحاري متباعدين ، كل واحد يبعد عن الآخر بفاصلة عشرة امتار و بيد كل واحد طبل أو شيء كالطبل ، فيقرعون الطبول في يوم واحد فتفزع الطيور وتطير منزعجة من مكان الى آخر الى ان يتعب الطير فينهار ، و بالفعل نجحوا في ذلك .

وأراد الصينيون أيضاً ذات مرة أن يبنوا سدوداً فلم يجدوا مواد البناء بالمقدار الكافي فرجعوا الى الوراء فبنوا السدود الخشبية و بأيديهم ، وهذه هي الطريقة الصحيحة .

اننا كنا نعيش في هذه البلاد قروناً عديدة لم نكن نحتاج فيها الى وسائل المستعمرين في الري ، ولا الى وسائل ترفيههم ، فقد كنا نعيش عيشة منتظمة جيدة .

انهم غزوا بلادنا وعملوا على هدم اقتصادنا ، ولا بد أن نبدأ ببناء الاقتصاد من جديد و بوسائلنا الذاتية .

ففي ايران ، و بعد انتصار الثورة الاسلامية عملت مؤسسة «جهاد البناء» باعادة قنوات الري القديمة لأنه ثبت علمياً بأن الآبار الارتوازية التي حفرها النظام البائد كانت مضرة للزراعة الايرانية فعاد الشعب خطوة الى الوراء واصلح القنوات القديمة

فتقدمت الزراعة .

ولا شك ان في كل البلاد هناك وسائل ذاتية فعلينا أن نعود اليها ، واذا تحركت الجماهير فانها تحبو في البدء ، ولكنها شيئاً فشيئاً تسير وتركض ، اما اذا فصلنا الجماهير عن مشاريع البناء والتنمية وأخذنا نستورد الحضارة من الخارج سنبقى خاسئين دائماً .

الثالثة : بناء التنظيم الاجتماعي :

اذا اردنا اعادة بناء البنى الاجتماعية فلا بد أن نعود الى عشائرنا وتجمعاتنا الاجتماعية .

ففي مقابل التنظيم الاسلامي قد تكون العشائرية تنظيماً متخلفاً ، ولكن في مقابل الغزو الأجنبي ، فان العشائر تشكل تنظيماً جيداً لا بد أن ننتمي اليها ، ولا بد من جهة اخرى أن نعود الى مساجدنا ، لأن تنظيم المسجد ثبت أنه الأقوى بين التنظيمات الاجتماعية التي حاول الاستعمار ان يهدمها في مقابل تنظيماته التي أتى بها الينا فلم ينجح ، ولا بد أن نعود الى العلاقات الأسرية القوية ، لأنها تمنح القوة والمتانة لبلادنا ، هذا في المجال الاجتماعي .

الرابعة : بناء المؤسسات الخيرية :

اما في المجال الاقتصادي فلا بد ان نعود الى المؤسسات الخيرية بالرغم من انها تبدو وكأنها لا تنفع الا أنها تنفع كثيراً ، اذ ان تأسيس صندوق لتقديم (قرض الحسنة) يعود بالنفع اكثر من البنوك التي هي وسائل لامتصاص دماء شعوبنا .

ولنعد الى قانون المضاربة والمساقاة وقانون من (احيا ارضاً ميتة فهي له) فهذه القوانين الاسلامية هي القوانين الاقتصادية الصحيحة التي عمل الاستعمار على القضاء عليها .

الخامسة : بناء المؤسسات الرسالية :

و يأتي في رأس هذه البنى ، البنى السياسية الاسلامية التي لا بد ان نعود اليها و بكل قوة ، ومهما كلفنا من جهود وتضحيات .

اذ لا بد ان ننظم انفسنا عبر تنظيمات رسالية تجمع فئات الشعب وقطاعاته ، من الاطفال ، والشباب ، والكهول ، والرجال ، والنساء ،لأن هذه التنظيمات الرسالية تعتبر حصوناً لاستقلال بلادنا وتمنع تسرب الافكار الخاطئة وتسلل العناصر العميلة الى داخل

المجتمع الاسلامي .

فبهذه الوسيلة سوف نبدأ الخطوة الاولى في طريق الألف ميل ، ولكن هذه الخطوة هي الخطوة السليمة على هذا الطريق .

لكي نتحدى التخلف

حاولت البشرية أن تقفز على المشاكل التي تواجهها وان تقضي على الأزمات الحضارية التي تعانيها بمختلف الوسائل والتحديات فلم تفلح ، بل **ازدادت انتكاساتها وتراكمت مشاكلها دون التوصل الى مخرج .**

ومع نهاية القرن الرابع عشر و بداية القرن الخامس عشر الهجريَيْن وجدت البشرية نفسها أمام سؤال كبير هو: أما آن الأوان للتخلص من هذه الأزمات ؟

ولكن الانسان ينسى باستمرار أنه هو نفسه سبب الأزمات ، اذ لا يلتفت الى أنه قد انحرف في المسيرة مما أدىٰ الى كثير من المفاسد والشرور وظهور المآزق والمشكلات فالله سبحانه وتعالىٰ يقول :

« ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » .

(الروم / ٤١)

ونحن نطرح سؤالاً آخر : هل هنالك علاج لمشاكل الانسان فوق الأرض أم خلق الانسان ليجر معه الويلات و يذوق العذاب في الدنيا قبل الآخرة ؟ وهل خلق الله الانسان ليرحمه ، أم ليعذبه ؟

و بالنسبة لنا ــ نحن المسلمين ــ فاننا نرىٰ ان هناك برنامجاً ومنهاجاً سماو ياً لرحمة الانسان ، اذ ما جاء رسول الله (ص) إلا رحمة للعالمين ، وما نزل الكتاب إلا هدىٰ و بيّنات للذين آمنوا ، وما التقوى إلا مخرج للانسان من المشاكل كلها ، وان دين الله

أوسع وأبعد جداً من كل المشاكل التي تعترض الانسان، وان الدين قادر على ان يقود سفينة البشرية في عصر الجاهلية الحديثة، والذي بدأت فيه أمواج القنابل الذرية والحروب النووية تهدد العالم بالفناء رغم المظهر الذي يغلف هذه الجاهلية بغشاء رقيق من العلم الذي يغر و يضر.

ونحاول في خلال هذا البحث الأجابةعلى السؤال السابق باذن الله تعالىٰ، علماً بأننا لا ندّعي احاطة الموضوع بحثاً لأنه بحاجة الى دراسات مطولة، ولكن حسبنا ان نطرق الباب لنضع الخطوة الأولىٰ في هذا الطريق ثم يأتي الباحثون والمفكرون الاسلاميون ليكملوا النهج بحوله تعالىٰ.

من أعقد المشاكل وأبرزها في عالم اليوم هي مشكلة التخلف التي تبدو أكبر من غيرها، فالعالم ــ اليوم ــ ينقسم الى عالمين هما: عالم متخلف وعالم متقدم، وكما يقسمه المراقبون الدوليون الى «الشمال» تعبيراً عن العالم الغربي المتقدم و«الجنوب» تعبيراً عن العالم المتخلف.

واليوم لم تعد الحواجز القائمة بين البشر حواجز طبيعية كالجغرافيا واللغة والدين والعنصر، وانما أصبحت (التكنولوجيا) سبباً للتقارب او التباعد بين المجتمعات.

فاذا كانت الروابط ــ التي تقرب الشعوب والدول لبعضها ــ تتمثل سابقاً في الحدود الجغرافية واللغة والدين والعنصر، فان هذه الروابط اليوم لم يعد لها قيمة تُذكر، اذ لم تعد الشعوب المتقاربة جغرافياً أخوة، ولا حتىٰ نظراء لبعضهم.

وعلى سبيل المثال نجد أن أمريكا الجنوبية بالنسبة لأمريكا الشمالية أبعد عنها من اليابان التي يفصلها المحيط الهادي أكبر المحيطات في العالم والسبب في ذلك أن الصلة التي تربط اليابان بامريكا الشمالية هي صلة (التقدم التكنولوجي) وليس التقدم العام في كل الميادين، بينما لا يوجد بين الامريكيتين غير صلة الجغرافيا، ولا شك أن الأولىٰ أعمق وأمتن من الثانية في عالم اليوم.

كما نجد أن جنوب افريقيا واسرائيل أقرب الى الدول الأوروبية الغربية من الدول الأوروبية الشرقية أو من بعضها البعض لأن الصلة الجغرافية او الدينية لم تعد حاسمة وذات تأثير.

فاليابانيون والاسرائيليون لا يتحدثون الانجليزية، ولا يذهبون الى الكنائس أيام

الأحد من كل أسبوع ، ولا يعتقدون بالبابا القابع في الفاتيكان ، ومع ذلك فهم أقرب الى أوروبا الغربية وأمريكا ، من المسيحيين في الهند مثلاً أو المسيحيين الأفارقة .

ونفس المقياس يمكن أن ينطبق على اللون والعنصر فهذه الصلات هي الأخرىٰ لم تعد اليوم قائمة في العالم بقدر ما لصلة التقدم من تأثير في تقارب الدول المتقدمة .

هذا جانب من الحقيقة ، أما الجانب الآخر فانه بالرغم من انقسام العالم الى المعسكرين الغربي والشرقي ، فاننا نستطيع أن نجزم مؤكدين بأن القوىٰ العظمىٰ التي تقدمت علمياً وصناعياً وعسكرياً باتت تحرص على مصالحها وتقوم بلعبة الوفاق الدولي لتقسيم مناطق النفوذ في العالم ، وللعمل ضد مصالح الشعوب المستضعفة والفقيرة .

لذلك فانهم يبادرون الى الاجتماع في مجلس الأمن والا تفاق مثلاً على ادانة ايران ، حينما بادرت الجمهورية الاسلامية باتخاذ خطوتها الجريئة لتحرير الشعب العراقي من بطش الظلم العفلقي الغاشم ، فأدانت الدول العظمىٰ ما أسمته (بالتدخل الايراني في العراق) في حين أنهم لم يبادروا ــ قبل ذلك ــ الى ادانة بقاء القوات الصدامية المحتلة في الأراضي الايرانية لمدة تزيد على ٢٤ شهراً .. لماذا .. ؟ لأن مصالحهم تلتقي في مواجهة الزحف الاسلامي وابقائه داخل حدود ضيقة .

ومن يستطيع ان يقول أن الولايات المتحدة غير راضية عن غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان ، أو أن الاتحاد السوفيتي ليس موافقاً حتى النخاع على الاحتلال الأسرائيلي للبنان .

لقد باتت هذه القضايا بديهية لفرط وضوحها ، فهم يتفقون على اقتسام الغنائم قبل أن يبدأوا **إستلابها بالفعل** .

من هنا فان المعسكرين الذين يمكننا أن نقسّم العالم ضمنهما بصورة واضحة هما معسكرا الشمال والجنوب .

فالأول : يتمثل في الدول المتقدمة الصناعية و يشمل محور اليابان ودول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية والاتحاد السوفيتي وحلفائه .

والثاني : يتمثل في بقية دول العالم التي تقع خارج هذه المحاور .

وأما حول التسمية التي أطلقوها على الدول المتخلفة وشاعت في لغة الصحافة والاعلام ، حينما راحوا ينعتونها بالدول الناشئة والجديدة و بالذات لفظة « النامية » فان

من الواضح أنهم يتلاعبون بالألفاظ والتعابير كيلا نشعر بعمق المأساة والتخلف ، ولا نتساءل عن سبب تقدمهم وتخلفنا ، ولا تتحول الهزيمة النفسية اذا ما تحسسناها الى دافع يفجّر فينا روح التحدي والرفض للواقع المزري ، مما يجرنا نحو الثورة والتغيير من أجل الحرية والخلاص والاستقلال ، لذلك أوجدوا لنا تعبيراً مهذباً عن الفقر والتخلف ، وقالوا : « الدول النامية » .

لو كان في هذه الدول (النامية) تحرك ونمو ، فاننا لا نستطيع ان نقيس حالات « التخلف والتقدم » بقياسات جامدة أو جزئية ، أي لا نستطيع ان نقيس الحالة في بلدنا دون مقارنتها ببلد آخر أو البلدان الأخرىٰ لأن حدّ القياس في هذه الناحية مفقود .

لنضرب مثالاً لذلك لكي تتوضح الفكرة ، أننا حينما نركب سيارة تسير بسرعة ثمانين كيلومتراً في الساعة ، فاننا نعرف مقياس السرعة ــ والذي يُسمىٰ حد القياس ــ وهو أن السيارة التي تسير بسرعة صفر كيلومتر في الساعة تُعتبر واقفة ، بينما أي سرعة أخرىٰ فوق الصفر يعني أن السيارة تتحرك ، بينما في مقياس التخلف والتقدم نحن لا نملك مثل هذا المقياس الثابت ، هذا من جانب ومن جانب آخر فاننا اذا ركبنا السيارة وسارت بنا بسرعة ثمانين وابتعدنا من المكان الذي كنا فيه لا شك أننا قد تقدمنا عن ذلك الموضع بعد ثلاث ساعات بمسافة كبيرة ، إلا ان السيارة الأخرىٰ التي تحركت معنا من نفس النقطة و بسرعة مائة وعشرين كيلومتراً في الساعة فانها قطعت مسافة أكبر مما قطعناه في نفس الفترة .

و بلغة الأرقام فاننا قطعنا (٢٤٠) كيلومتراً ، في حين ان السيارة الثانية قطعت (٣٦٠) كيلومتراً ، ولو أردنا أن نقطع نفس المسافة أي (٣٦٠) كيلومتراً فاننا نحتاج لساعة ونصف أخرىٰ من السير ، وعندئذ تكون هي قد قطعت (١٨٠) كيلومتراً أضافية ، أي قطعت مسافة كلية قدرها (٥٤٠) كيلومتراً !! فهل نستطيع اللحاق بها بهذه الصورة و بهذه المفارقة ؟ . بالطبع لا نستطيع بل حتى لو زدنا نحن سرعتنا حتى صارت مثل سرعتها أي (١٢٠) كيلومتراً في الساعة فان الفارق بيننا يظل (١٨٠) كيلومتراً مهما قطعنا من المسافات ، إلا اذا خففت هي من سرعتها أو زدنا نحن في سرعتنا .. أليس كذلك .. ؟ هل نملك مثل هذا القياس بالنسبة لحالات التقدم والتخلف في المسيرة الاجتماعية والحضارية ؟ بالطبع كلا ، ولكن نستطيع أن نقارن بين دولة وأخرىٰ .

فاذا كانت الدول المتخلفة تحظى بنسبة عالية من الأمية مثلاً ، فان بعض الدول المتقدمة قد احتفلت منذ زمن بعيد بموت آخر أمي من شعبها .. فاذا ما أستطاعت أن تتغلب هذه الدول المتخلفة على الأمية فتقضي عليها مثلاً ، فان تلك الدولة المتقدمة قد استطاعت أن تجعل كل شعبها بين جامعي وفني وخبير متخصص .

ان المقياس المستعمل اليوم بين الدول ، مقياس خاطيء لأنه يهتم بالمظهر دون الجوهر .

يقولون ان الدول المتخلفة هي التي تبلغ نسبة الأمية فيها نسبة عالية أو ريفها غير مكهرب ، أو تنتشر فيها الأمراض والأوبئة لعدم وجود المياه الصالحة للشرب ، أو لتدهور الوضع الصحي والطبي فيها ، أو هي البلاد التي تعتمد على الزراعة في اقتصادها ولا يزيد الدخل الصناعي عن ٣٠٪ من دخلها العام ، فهل هذه السمات والمظاهر هي المقياس الحقيقي فعلاً لمعرفة التقدم والتخلف ؟ أم هي مقاييس خاطئة ؟

ان هذه الأمور ليست هي المقياس ، فالأمية موجودة في أمريكا ذاتها و بنسبة لا بأس بها ، فهل هي دولة متخلفة ؟ كلا .. والصناعة أيضاً ليست هي المقياس ، فان دولة كسنغافورة أو هونغ كونغ صناعيتين لا زراعة فيهما ، فهل هما من الدول المتقدمة ؟ أبداً ! انها صناعة تجميعية ، صناعة الأجنبي الذي يأتي بالمواد والخبرات والآلات ثم يجمعها في البلاد تماماً كما صنع الشاه المقبور في ايران ، وكما يصنع كل الحكام الذيليين للتظاهر بتصنيع البلاد !

لقد توقفت الصناعة التجميعية في ايران حينما سقط الشاه ، وهذا المصير ينتظر المصانع الأخرى في الدول الذيلية الأخرى حينما يذهب حكامها العملاء !

لقد كانوا يأتون بالمواد الخام من الخارج كالزيوت النباتية التي كانوا يستوردونها لكي تعلّب في ايران ثم يكتب عليها (صنع في ايران) ثم تصدر الى دول الخليج .. ونفس الشيء بالنسبة للدجاج الايراني في عهد الشاه المقبور حيث **كانوا يستوردون** الآلات الأوتوماتيكية والكتاكيت من الخارج ، ثم تبنى **الحظائر** في ايران ، وتربّى فيها الكتاكيت حتى اذا كبرت بعد شهرين ذبحت وكتب عليها « دجاج ايراني » ! فأي دجاج ايراني ذاك الذي يشرف عليه طبيب أجنبي و يطعم بأدوية أجنبية وكل شيء فيه من الخارج ؟ هل اصبحت الدجاجة ، ايرانية لأنها تنفست هواء ايران وشربت

الماء الايراني ؟

وأيضاً ليس مستوىٰ الدخل القومي هو المعيار، فدول الخليج ودول الأ و بك عموماً لم تستطع أن تكون دولاً متقدمة بمجرد أن بلغ دخل الفرد في ابوظبي، أعلىٰ نسبة في العالم لأن هذا لو كان تقدماً لما جاز أن ينخفض هذا المستوىٰ بمجرد هبوط أسعار النفط في العام ! فما دامت هذه الدولة لا تملك زراعة ولا صناعة ولا خبراء ولا كوادر، فماذا يفيدها هذا الدخل القومي المرتفع ؟

ان التخلف قضية نسبية، أي بالمقارنة مع الدول الأخرىٰ، وحسب مقياس شامل، ونحن نستطيع أن نتخذ من الدول المتقدمة في هذا المجال مقياساً لا لظواهر المسألة، وانما لقضية أساسية تتوفر لديهم بنسبة أو بأخرىٰ.

فلو استطعنا أن نكون مثلهم أو أقل منهم قليلاً أو اكثر قليلاً في المستويات المختلفة، تعليمياً، وعسكرياً، وسياسياً، واجتماعياً، واعلامياً، ومختلف الشؤون المرتبطة بحياة الانسان وفي لحظتنا هذه آنئذ نعتبر أنفسنا متقدمين.

وإلا فانه ليس تقدماً اذا قيل أن العرب سيصلون الى القمر وقد وصل الآخرون الى المريخ .. وليس تقدماً اذا ادّعىٰ صدام بأنه قضىٰ على الأمية في شعبه تماماً وهو يستورد العمال والفنيين من كوريا والفلبين ومصر والهند والباكستان و.. و.. بالاضافة الى الخبراء الروس والأمريكان والأ وروبيين الذين تجاوز عددهم عشرات الألوف منتشرين في العديد من الشركات الأجنبية والدوائر الحكومية.

اننا لن تخدعنا الأرقام والمظاهر، وانما تعرف الأمور بأشباهها فلا بد أن نقيس «التقدم والتخلف» بالمقارنة مع سائر الدول في العالم لأن المسألة نسبية كما قلنا.

التبعية الاستعمارية اساس التخلف :

و يسأل البعض : لماذا تتخلف دول، وتتقدم دول أخرىٰ ؟

ونحن نسأل : هل يفيدنا مثل هذا التساؤل وهل يؤثر في أوضاعنا ؟

انني أعتقد أن مثل هذا التساؤل لا يهمنا كثيراً فمهما كانت الاجابة على هذا السؤال فان الحقيقة هي الحقيقة، ان التخلف موجود وعلينا أن نتجاوزه.

«ان من يملك روح التحدي يتقدم و يتطور، بينما الذي لا يملك روح التحدي فانه

يتخلف » هكذا يقول توينبي في تعليقه على الحضارات البشرية السابقة ، فالأورو بيون كما يقول ــ كانوا يعانون من الثلوج فتحدّوها ، واليابانيون كانوا يواجهون طبيعة جرداء فتحدّوها ، وكلا الفريقين احتاجوا الى مقاومة تخلفهم بالتحدي الذي ما لبث أن تحول الى علم والعلم استحال صناعة أدّت الى التقدم ! وهذا قد يكون صحيحاً ولكن هل نحن فقدنا روح التحدي ؟ أو لسنا نواجه تحدّي الصراع الاسرائيلي والغربي والشرقي والبؤس والتشرذم والفقر والمرض .. وكلها حالات بائسة تشكل أخطاراً على وجودنا .. الا تشكل كل هذه ، تحديات ؟ أم نحن الآن في حالة رخاء ؟

وقد تشكل نظرية (مالك بن نبي) جزءاً آخر من الجواب حيث يقول : ان المجتمع يهرم و يشيخ تماماً كما يهرم الانسان الفرد و يشيخ بعد أن كان طفلاً ، فيافعاً ، فشاباً ، فرجلاً ، فكهلاً ، ثم يشيخ و يضعف ، فمن بعد قوةٍ ضعفاً وشيخوخة . وهكذا بالنسبة للامة بعد أن كانت شابّة قوية مندفعة ، اذا بها تنزل سفح الزمن الى هذه المرحلة من الشيخوخة والضعف ، اذن فهي دورة الزمن أو فعل الأيام فينا .

ولكن حتى ــ وان كان هذا القول صحيحاً ــ فان الانسان الفرد اذا هرم فليس أمامه إلا الموت ، أو الاستمرار والتردي من ضعف الى أكثر ، أما بالنسبة للأمة والمجتمع فليس الأمر كذلك ، لأن المجتمع يمكن أن يعود شاباً بعد أن شاخ . فالمجتمع الجاهلي كان في أوج شيخوخته ، بل في أيام الهرم المطلق ، فلما جاء الاسلام نفخ فيه روح الشباب من جديد ، وأحيا المجتمع الذي كاد أن يموت فاذا به ينطلق مكتسحاً العالم بحضارته وتقدمه ، من هنا فاننا اليوم مدعوّون أن نعيد في أمتنا شبابها ، وفتوّتها ، وحيويتها ، وننطلق بها لنفتح العالم من جديد لاعلاء كلمة الله ، ونشر العدالة والحرية بين الشعوب .

اذن ، فان الاجابة على سؤال لماذا نحن متخلفون ؟ حتى مع افتراض صحته ، فانه لا يغيّر من واقعنا شيئاً ، لأن ثقافتنا تغيّرت بعد أن شابتها أفكار رجعية متخلفة ، واذا أردنا أن نزيل التخلف من واقعنا فلا بد وان نغيّر هذه الثقافة المزيفة المتخلفة ، وكفى بالاسلام ثقافة حيّة وحضارية وثّابة نستطيع أن ندرسها ، ونستوعبها ونتحرك بها من جديد .

اننا لم نتخلف لشحة أرضنا ــ كما يزعمون ــ فأرضنا قد تفجرت ذهباً أسود والحمد

لله وكل العالم في صراع وسباق عليها .

ولم نتخلف لقلة فهمنا للأمور، فقد اتصلنا بالعالم الخارجي و وصلت الينا انجازاته واكتشافاته واطلعنا على آفاقه وأبعاده .

من هنا فاننا لا نناقش الأسباب التي أدت الى التخلف لأنها جميعاً قابلة للتحدي والتغيير والاصلاح ، ولكن لا بد من مناقشة الموانع من ذلك .

هنالك أغلال تكبلنا وتمنعنا من التحرك لتغيير واقعنا المتخلف ، وهذه الأغلال هي التي علينا أن نناقشها لنلتمس الطريق الى التخلص منها .

قبل قرن من الزمان أعلن المجاهد الكبير (جمال الدين الأسدآبادي) الأفغاني بأن الشرق لا يستطيع الوصول الى التقدم الحضاري والصناعي إلا عبر استقلاله و وحدته ، و بقيت تلك الصرخة في ضمير الأيام الى عصرنا هذا ، ولا نزال نعاني ذات الأسباب والمشاكل التي كانت تكبل المسلمين في زمن السيد جمال الدين .

وكم شهد العالم الاسلامي منذ ذلك الزمن حركات تحرّرية وعلميّة وسياسية واقتصادية واجتماعية ، و بزغ في عالمنا خلال هذه الفترة كثير من الشعراء الكبار الذين بعثوا فينا الأمل والجدّية ، والحركة ، كالشاعر الفيلسوف اقبال اللاهوري وأمثاله من الخطباء والعلماء والمفكرين المسلمين ، ولكن مع ذلك لا زلنا نرزح في ذات القيود والأغلال ، فما هي وما نوعها ؟

وانني رغم مرارة الواقع أقولها بصراحة .. أن أكبر الأغلال وأثقل القيود التي تمنع انطلاقتنا وتحركنا هي التبعية للاستعمار الشرقي أو الغربي بكل ألوانه سياسياً أو عسكرياً أو ثقافياً او اقتصادياً .

وانني لا أسوق هذا الحكم انطلاقاً من بغضي للاستعمار، وانما هذه هي الحقيقة ـــ المأساة ـــ .

فلو استطعنا ان نتحرر من هذا الأصر الأكبر لأستطعنا أن نبدأ الخطوة الأولىٰ نحو الامام ، وآنئذ يمكن ان نسمي أنفسنا بالدول النامية .

الاستقلال أساس التقدم

ان الاستقلال هو الدعامة الأولى التي يقوم عليها صرح المجتمع المتقدم ، و يبني

عليها كيانه الحضاري ، أما المصائب والويلات التي ما زالت تواجهها أمتنا فانها وليدة الاستعمار ومخلفاته بشتى ألوانه ، وبدون التغلب في صراعنا على اشكال الاستعمار المختلفة فاننا لن نتحرر من أغلالنا ، وبالتالي فاننا لن نتمكن من الوصول يوماً ما ، الى حالة التقدم ، لأن الذين استعمرونا ــ ولا يزالون ــ لا ولن يسمحوا لنا بذلك طالما بامكانهم ان يمنعونا من الانطلاق .

لقد تعرضت كل دول العالم الثالث ــ ومنذ القرن السادس الميلادي ــ للاستعمار، سواء المباشر كالاكثرية ، أو غير المباشر في النادر منها ، واذا كانت المصطلحات الغربية اليوم ومقاييسها بالنسبة للتخلف تنصب على المظاهر كالأمية والزراعة ومستوى الدخل ، فانهم في ذلك يهملون أو يتجاهلون حقيقة هامة هي جوهر القضية .. فهم اذ يتحدثون عن اقبال هذا الشعب على البيبسي كولا أو السفن آب ، فانهم يتعمدون عدم الحديث عن قضية تدمير اقتصاد تلك البلاد أو تدمير البنى الاجتماعية فيها . ان المشكلة هي ان الاستعمار نفسه هو الذي يتحدث عن تخلفنا بمنطقه ، ويضللنا بهذا الحديث .

فعندما جاءت قوات الاحتلال الاستعمارية الى بلادنا ، اخذت توحي بأنها « ما جاءت محتلة ولكنها حاملة لرسالة التحضير والمدنية » . تماماً كما قال الفرنسيون عندما احتلوا الجزائر ، وكما قال الانجليز للمسلمين في العراق .. « نحن جئنا الى العراق محررين لا فاتحين » .

ولا يزالون يواصلون الدجل والضحك على ذقوننا حتى هذه اللحظة ، فبنوكهم تعمل في بلادنا باسم بنوك التنمية ، وشركاتهم تستثمرنا تحت شعار التنمية والاعمار والتحديث ، وخبراءهم يستثمروننا تحت عنوان تصنيع البلاد وكأننا نتقدم فعلاً حسب ادعاءاتهم !

ان هذه هي النقطة الأساسية في العلاقة بين البلاد المتقدمة (الاستعمار) والبلاد المتخلفة في العالم الثالث (المستعمر) . يتحدث (ايس بيلوت) الفرنسي المحايد في كتابه (ماهي التنمية) حول الحالة الواقعية المعروفة جبداً من قبل المختصين ، بينما هي غير معروفة لدى كافة الناس تقريباً ، والتي تدل على صفة عامة للتخلف حيث يقول في الصفحة الثالثة من كتابه :

(ان جميع بلدان منطقة العالم الثالث والتي تعرضت للتخلف قد حولت بلا استثناء الى مستعمرات أو نصف مستعمرات من قبل الدول الأوروبية الكبرى في زمن أو آخر، ما بين القرن السادس عشر والقرن العشرين الميلاديين، ولا تزال كلها الى الآن مرتبطة ارتباطاً كلياً أو وثيقاً بالبلدان المتقدمة في النصف الثاني من القرن العشرين) .

اذن فالتبعية هي سمة رئيسية من سمات التخلف، اذ لا نجد الآن دولة مستقلة واحدة متخلفة، كما لا نجد دولة مستعمرة واحدة متقدمة .. وهذا دليل ان السبب الرئيسي للتخلف أو التقدم، انما هو التبعية أو الاستقلال .

وهناك بحوث حول الاسباب التي أدت بأوروبا لكي تعمل على وقف نمو الدول المستعمرة وتحطيم مقوماتها الحضارية في كثير من الأوقات في محاولة لاستعبادها اكثر فاكثر ! **وهنا نشير الى تلك النماذج والاساليب التي اتبعتها الدولة الاستعمارية في تحطيم الدولة المستعمرة :**

أولاً : حينما تحتل دولة أوروبية دولة أخرى من دول العالم الثالث، فانها تبدأ بتحطيم البنى الاجتماعية القائمة، فلكل دولة مؤسساتها الاجتماعية المميزة ورئاستها ومحاورها ورموزها وكياناتها الاجتماعية التي تميزها عن غيرها، فما تلبث الدولة الاستعمارية الا وتحطم هذه الرموز والمحاور كي تفقد تلك البلاد شخصيتها ومقوماتها الذاتية مما يؤدي بها الى الخضوع للمحتل .

ثانياً : لا يكتفي الاستعمار بتحطيم البنى الاجتماعية، وانما يلجأ الى نزع قوة اخرى من أيدي أهل البلاد ألا وهي البنى الاقتصادية، فاذا استطاع تدميرها فان ذلك الشعب لا يملك الا ان يجمد وتقل حركته فيتخلف و يركس في التبعية أكثر .

ثالثاً : يقوم الاستعمار بربط اقتصاد البلاد المستعمرة باقتصاده هو، و بلا شك فان هذا الربط يقوم على اساس علاقة اليد العليا القوية باليد السفلى الضعيفة، أو علاقة **السارق بالمسروق .**

و بهذا الربط لا يمكن لاقتصاد تلك البلاد، ان يتقدم مهما حاولت لان تلك العلاقة ليست الا هدم منتظم لامكانات تلك البلاد .

رابعاً : حينما يدخل الاستعمار أي بلاد فانه يفتش عن الفئة الاكثر رجعية وجموداً وضعفاً، و يسلمها زمام البلاد لأنها ستكون الاكثر خضوعاً و ولاءاً للاستعمار .

« قالت إن الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » .

(النمل / ٣٤)

ولا شك ان حكم الرجعيين الجاهليين الذيليين لا يمكن ان يطوّر البلاد ، وانما يزيدها انحطاطاً وارتكاساً في أوحال التخلف .

ولا بدّ من التفصيل والايضاح حول هذه النماذج التي ذكرناها ليتبين كيف استطعنا القول بأن الاسلام يقضي على مشكلة التخلف .. لأننا لاحظنا بأن التبعية هي السبب الرئيسي في التخلف ، وحيث ان الدين يقضي على التبعية ، فانه نتيجة لذلك يقضي على التخلف .

الاسلام والسلام

هل يستطيع الاسلام اذا حكم بلاداً انهاء مشكلة الانسان الرئيسية وهي الحرب أم لا.. ؟

ولا ريب ان الاجابة عن هذا التساؤل ليست بالسهولة الكافية ، ليس فقط ، لأن قضية الحرب هي أصعب قضية يعيشها الانسان منذ ان قتل قابيل هابيل ، وأريق دم ربع العالم في ذلك اليوم (حيث ان العالم يومها لم يكن فيه سوى (٤) افراد فحسب) ، ولغا لسبب اخر ايضاً وهو ان كثيراً من النصوص الاسلامية تعالج قضية الحرب ، وتحرض الناس على القتال ، فكيف يستطيع دين أن يحرض الناس على القتال ويمنع القتال ؟ واذا كان لهذا التساؤل ما يبرره سابقاً باعتبار ان الحروب في النهاية تدمر البلاد وتهلك العباد وتخلف و يلات كثيرة ، فان لهذا التساؤل اليوم أهمية أكبر ، فالأمر أعمق خطورة وأكثر الحاحاً ، اذ لم يبق للحرب في العصور السابقة والعصر الحديث قاسم مشترك غير الاسم ، فالفرق ما بين حرب الأمس وحرب اليوم شاسع بعيد .

فالحرب سابقاً كانت بضعة سيوف ورماح ونبال وسهام تصيب حيناً وتخطىء أحياناً ، وكان المتحاربون يشتبكون ضمن زمن محدد ورقعة محدودة سرعان ما تنتهي بسقوط اللواء او بمقتل القائد فينهزم الباقون .

أما عدد القتلى فانه لا يتجاوز العشرات او المئات واذا كانت الحرب ضروساً كما شهدتها ايام العرب في الجاهلية ، فان عدد القتلى قد يتجاوز الالاف فحسب ، فهل كانت الملاحم الحربية التي سجلها الشعراء مثلاً ، تبلغ عشر ما بلغته الحرب العالمية

الاولى ؟ ان تلك الحروب في قاموس اليوم تسمى مناوشات ليس الا ، بل ان بعض المناوشات اليوم اكثر و بالاً من أكبر الحروب السابقة !

وهناك ثلاث ملاحظات في الحروب الجديدة أعطت الحرب طابعاً حديثاً تماماً .

الاولى : الشمول البشري :

لقد اصبحت الحرب شاملة ، اذ ليس هناك محاربون في بلد من البلاد وآخرون مسالمون ، فهذا التقسيم الوهمي قد زال ، لأن الحرب الحديثة هي حرب كل الشعب في طرف ، مع كل الشعب في الطرف الآخر بكل مواردهما وطاقاتهما وامكاناتهما . يقول الجنرال الفرنسي (بوفر) الذي يعتبر أحد الاستراتيجيين في كتابه «بناء المستقبل» : في عهد الاستراتيجيين السابقين الذين كتبوا حول الحرب مثل «كلوفيزر» هذا الاستراتيجي المعروف ، كان هناك جماعة يحاربون وجماعة جالسون في بيوتهم ، أما اليوم فحينما تعلن الحرب في بلد ضد آخر فان كل شيء في البلدين يتغير عن ساعة قبل اعلان الحرب ، فالسلطات تتركز ، والاقتصاد يصبح اقتصاداً حربياً ، والناس كلهم يخضعون للتعبئة ان لم يكن في جبهات القتال ، فخلف الجبهة وكل شيء يرتبط بالحرب حتى الطلاب في المدارس ينبغي ان يكيفوا أنفسهم مع الوضع الجديد في الحرب .

الثانية : الشمول الجغرافي :ـ

بسبب تلاحم واقتراب الشعوب أكثر فأكثر و بسبب الموصلات واساليب التعارف بين الناس ووسائل الاتصال الحديثة لم تعد الحرب اقليمية محدودة ، اذ لا تشتعل نيران الحرب في احدى مناطق العالم الاوتنعكس آثارها على سائر المناطق الاخرى حتى وان لم تبدو لنا الآثار واضحة وسريعة . وكثير من الحروب المحدودة التي كانت في منطقة معينة تحولت الى حروب واسعة شملت المنطقة كلها ، ولذلك فان الحروب اليوم ليست تنحصر بحدود جغرافية معينة .

الثالثة : تطور وسائل الحرب :

لم تعد الحرب الحديثة تعتمد على الوسائل البدائية في القتال كالمقلاع مثلاً ، ذلك السلاح الذي استخدمه النبي داود عليه السلام بقتل الطاغية (جالوت) ، كان داود عليه الصلاة والسلام جندياً في جيش (طالوت) ، في حربه لجالوت ، فأصابه داود بصخرة المقلاع في رأسه فسقط جالوت قتيلاً ، وانهزم الجيش وانتهت المشكلة .

هذه الصخرة تحولت اليوم إلى قنبلة انشطارية تستطيع ان تقتل مئات الالوف من الناس ان كانوا في رقعة سقوط القنبلة .. لأنها تنشطر الى الوف الشظايا الصغيرة السامة كما ان هناك قنابل حينما تتفجر تنطلق منها عشرات الالوف من الابر المسمومة ، فاذا صادفت الابرة انساناً في أي مكان من جسمه يموت بسببها ، والسهم الصغير في السابق ، تحول اليوم الى (آربي جي) او الى مدفعية ، وأما الطائرات والاسلحة النووية فحدّث عنها ولا حرج اذا لم يكن يوجد في السابق سلاح يقابلها من هنا فان حرب اليوم تختلف كلياً عن حرب الامس .

مما سبق يبدو ان سؤال «هل يستطيع الاسلام ان يمنع الحرب ؟» مطروح بشكل جدي ، فعالم اليوم يعيش قلقاً حقيقياً في ظل الرعب النووي المخيف ولا شك ان الراية التي تنادي بالسلام ، وتعمل على انقاذ العالم من هذا الرعب هي الراية القادرة على استقطاب أوسع الجماهير في العالم . وان معظم الاحصائيات والدراسات العلمية **أصبحت مثيرة للغاية ، والامور في ضوئها تتفاقم الى الأسوأ .. حيث يدفع العالم اليوم أكثر من (٥٠٠) ألف مليون دولار للتسلح ، وكل عام تزداد هذه الميزانية ..**

ومنذ الحرب العالمية الثانية الى الآن لم يسجل التاريخ سنة واحدة كانت ميزانية التسليح في العالم أقل منها في السنة السابقة فهي في حالة تصاعد مستمر . يقول (هاري ماجدوف) في كتابه (من عصر الاستعمار الى اليوم) : «ان هذا تحول الى عنصر في ذات النظم السياسية والاقتصادية في العالم» واني اعتقد ان هذا صحيح اذ ان هذا العالم وهذه التركيبة الاقتصادية والسياسية لا تستطيع ان تستمر بدون ميزانيات التسلح المتصاعدة ، فقد اصبحت ميزانيات التسلح عادة قذرة تعوّدت البشرية عليها ولا تستطيع ان تتركها الآ بهزة عظيمة جداً .

و يواصل الكاتب حديثه في اطار يختص بالولايات المتحدة الا انه بالامكان ان يشمل حكمه ، القوة العظمى الثانية ، اذ يقول : «وان استمرار اعتماد الاقتصاد في الدول الجديدة على المراكز «المترو بولية» في اطار الاستقلال السياسي يتطلب بين ما يتطلبه الانتشار العالمي للقوات العسكرية الامريكية كما يستدعي الدعم العسكري المباشر للطبقات الحاكمة المحلية» و يقول في موضوع آخر ..

«ان القفزة للامام في سنوات ما بعد الحرب في اتجاه بناء الامبراطورية وتحول

المجتمع الامريكي الى مجتمع مشبع بالنزعة العسكرية المتحفزة مرتبطتان بظاهرتين : ظاهرة ملأ الفراغات ، وظاهرة مقاومة الدول الشيوعية . . » .

و يقول المؤلف في مكان آخر من كتابه : «ان الولايات المتحدة ظلت مشغولة بنشاطات حربية طوال ثلاثة ارباع تاريخها و بالتحديد في ألف وسبعمائة وثمانين شهراً من مجموع هذا التاريخ ــ أي تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ــ الذي يمتد الى ألفين وثلاث مائة وأربعين شهراً» وهذا يعني في الفين وثلاث مائة وأربعين شهراً من تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ظلت هذه الدولة مشغولة بالحروب طوال ألف وسبع مائة وأثنين وثمانين شهراً بمختلف أنواع الحروب ، فاذا حسبنا ان عمر الولايات المتحدة الامريكية أربع سنوات فثلاث سنوات منها كانت في الحرب سواء في فيتنام او في كوريا او مع الهنود الحمر او البريطانيين او مع غيرهم . . و يضيف المؤلف : «لذلك علينا ان لا نفاجأ حين نكتشف ان الانفاق على الحرب وما يتصل بها قد شكل دائماً القطاع الاهم في الميزانية الاتحادية خلال التاريخ كله ، ان جدول الانفاق الاقتصادي على اساس عشري ، بدأ من عام ألف وثمانمائة وحتى عام ألف وتسع مائة وثلاثين على الجيش والقوات البحرية والمحاربين القدماء ومرتبات التقاعد والفوائد المدفوعة على الديون ، وقد ظهر ان أربعة وخمسين بالمائة من الانفاق الاتحادي باستثناء عقد زمني واحد فقط كان مختصاً للنشاطات العسكرية او للاعداد لنشاطات عسكرية او لتغطية نفقات الالتزام الناشئة عن نشاطات عسكرية» .

ومما تقدم يتوضح لنا :

أولاً : ان العالم خلال ذلك العهد كان يتجه نحو التسلح .

ثانياً : أصبح الخطر أكثر جدية مع تقدم العلم واستغلال النزعة العسكرية له في ميدان التصنيع الحربي و يبتدىء هذا الخطر الجدي مع تطور الاسلحة ومفعولها الخطير . .

فالقنبلة الذرية مثلا أول ما استخدمت في هيروشيما ، كانت من حيث التقدم والخطورة بمستوى الطائرة المروحية التي القتها على تلك المدينة البائسة ، أما اليوم فان القنبلة الذرية اصبحت بمستوى الصواريخ عابرة القارات !

وفي احصائية حول تقرير نتائج الحرب العالمية الثالثة فيما لو حدثت نجد ارقاماً مذهلة للغاية ، يقول الجنرال (فكتور فنير) في كتاب (الحرب العالمية الثالثة) : «في

حال نشوب الحرب العالمية الثالثة ، فان مأتي مليون قتيل سيسقطون في ساعات قليلة » .

ولك ان تتصور أننا لو اردنا أننا ننفذ حكم الاعدام في مثل هذا العدد باطلاق الرصاص عليهم لأحتجنا لبضع سنين حتى يتم لنا هذا الامر !! ولعل هذه الخسائر البشرية الهائلة هي نتيجة استخدام نوع واحد من الاسلحة ، مثلا اطلاق عدة صواريخ نووية عابرة للقارات ، فكيف اذا استخدمت كل أنواع الاسلحة ؟ لا شك ان امواج البحار يجن جنونها فتخرج من البحار وتسير على البر وتبتلع المدن الساحلية كلها . ناهيك عن نتائج «الحرب الفضائية» التي لا نعلم الى الآن بسبب السرية التي تغلف الخطط العسكرية الأجنبية حول الحرب الفضائية ، أي تفصيلات عن هذه الاقمار الصناعية التي تجوب الفضاء بعيداً عن الرقابة ، وكم تحمل من الاسلحة النووية ، وكيف يمكنها ان تضرب في الساعة السوداء من تاريخ الانسان كل الأهداف الممكنة !!

وهكذا الامر بالنسبة الى «الحرب الكيمياوية والبيولوجية» فان مائة طن فقط من الاسلحة البيولوجية الموجودة في العالم من بين آلاف الاطنان تستطيع ان تنهي الحياة عن وجه الكرة الارضية ، وتقول الاحصائيات العسكرية الدقيقة ان الانسان قد صنع لقتل نفسه مقداراً من الاسلحة يكفي لقتل كل انسان على وجه الارض ــ على اعتبار ان عدد سكان المعمورة هو أربعة مليارات نسمة ــ خمسة عشر مليون مرة ! وهذه هي المعادلات الرهيبة التي يعيشها العالم اليوم !

الاشعاعات النووية والخطر عبر الاجيال

قلنا فيما مضى ان الحرب الكونية فيما لو نشبت فانها ستقضي على مائتي مليون انسان في الساعات الاولى ، هذا فيما لو توقفت بعدها الحرب ، ولكن الذي لم يذكر هو ان العالم المتبقي «أي الذي نجا من الضربة النووية الاولى» سيظل يعاني من الاشعاعات النووية لمليون جيل قادم كما يذكر أحد الكتاب !!

ماذا يعني هذا .. ؟ ان العالم منذ عهد آدم الى يومنا لم يشهد أكثر من خمسمائة جيل حسب النقل التاريخي ، فكيف بمليون جيل .. ؟

في حديث لوزير الدفاع الامريكي الاسبق «مكنمارا» يقول : (ان المسألة التي تفرض نفسها اليوم هي ضرورة معرفة ماذا يجب ان نفعله في عصر تهدد الحرب الشاملة فيه

بموت عدة مئات من الملايين من بني الانسان ، ويمكن ان تؤدي الى تخريب الوراثة لمليون جيل قادم)

فهذه الحرب لن يمتد تأثيرها التدميري لمليون سنة فقط ، وانما لمليون جيل ، يعني لثلاثين مليون سنة على الاقل سيظل البشر ــ فيما لو بقوا أحياء ــ متأثرين بنتائج تلك الحرب كأن يولدوا من غير عيون ، أو بأطراف ناقصة ، او مصابين بمرض القلب او مرض السرطان ، وما أشبه هذه الأمراض الخطيرة .

وقد قام علماء الذرة باجراء عدة تجارب حول تأثير الاشعاعات الذرية على الكائنات الحية ، لا بأس ان نذكر نموذجين منها :

قام فريق من الخبراء بتجربة عرّضوا فيها عدداً من الذباب لمقدار معين من الاشعة الذرية ، فجاءت سلالتها الاولى بأجنحة ملوية الى الاعلى بينما خرجت السلالة الثانية بدون أجنحة .

وفي تجربة اخرى عرّض الخبراء عشرين فأراً سميناً للأشعاع النووي ، فجاءت اولادها وهي تحمل شكلا مرعباً وغريباً مما دعا امهاتها الى ان تأكلها ، لأنها لم تعرف بأنها أولادها فأكلتها جميعاً ما عدا فأرين صغيرين أمكن انقاذهما ، وكانا مجردين من الشعر تماماً وجلدهما وردي اللون ، ولم يكن لهما مكان العينين سوى ثقبين فارغين !

وهذا يعني ان الجيل الاول من البشرية التي تتعرض للاشعاع سيولد بدون أعين او بدون أيدي ، أما الجيل الثاني فالله أعلم أي نوع من المسخ سيكون !

والجدير بالذكر ان مجموعة من العلماء الامريكيين شكلوا لجنة لمقاومة الانتشار الذري في العالم ، ثم كتبوا تقريراً حول الموضوع جاء فيه : «يعلن العلماء ان من المحتمل ان يؤدي انفجار ذو قوة عشرة آلاف ميغاطن أي قوة تعادل قوة انفجار عشرة آلاف مليار كيلوغرام من مادة (تي ان تي) ــ وهذه المادة يكفي انفجار غرام واحد منها لقتل الانسان ــ الى ازالة ثلاثين الى سبعين بالمئة من غاز الازون في النصف الشمالي من الكرة الارضية أي في المكان الذي تقع فيه الانفجارات ، وعشرين الى أربعين بالمئة من الغاز ذاته في النصف الآخر من الارض ، ويحتاج الامر الى نحو عشر سنوات لإعادة بناء هذه الطبقة من غاز الازون ، وقد أكدت التقارير ان هذا الغاز يحيط بالارض فيمنع عنها الشهب المتساقطة من السماء كما يمتص الكثير من الطاقة الشمسية بحيث لا يصل

منها الى الارض الا ما ينفعها ولا يضرها .

ولو ان هذه الغازات ذهبت فما الذي يحدث خلال عشرة اعوام حتى يستعيد الغاز نسبته وتركيبته الطبيعية في غلاف الارض الغازي ؟ هل تبقى الحياة على وجه الارض بفعل النيازك والاجرام السماوية المتساقطة ؟

وبالرغم من كل هذا فان أقطاب الاستكبار العالمي ــ اليوم يندفعون وبصورة مذهلة ــ نحو انتاج المزيد من هذه الاسلحة التدميرية بلا وازع من خلق أو ضمير.

الانسان ذلك القاتل ..

بعد استعراض هذه المآسي والفجائع التي تنتظر البشرية أو تهددها على الاقل نريد ان نتساءل من الذي يصنع هذه الاسلحة ؟ أو ليس هو الانسان نفسه ؟

وهل ستقع الحرب العالمية الثالثة يا ترى .. ؟ أم هو مجرد خوف وقلق وهميين .. ؟

بدون أدنى ريب ان المجانين فقط هم الذين يرضون بهذا الانتحار الجماعي .. لانه لا يمكن للولايات المتحدة الامريكية ان تضرب الاتحاد السوفيتي ــ مثلاً ــ دون ان تتلقى ضربة مماثلة منه ، فالصواريخ ذات الرؤوس النووية العابرة للقارات الموجودة في مناطق الاتحاد السوفيتي موجهة نحو مدن نيويورك وواشنطن وشيكاغو ولوس انجلوس والى سائر المدن الامريكية ، وكذلك الحالة في امريكا اذ توجد صواريخ عابرة للقارات وتحمل الرؤوس النووية موجهة الى المدن الروسية ، كما هناك صواريخ موجودة في قاع البحار تحملها الغواصات النووية العملاقة وهي الاخرى موجهة نحو اهداف معينة ، أضافة الى ان هناك اسلحة ذرية موجودة في الفضاء عبر الاقمار الصناعية التي تدور حول الارض .

فلو اعتدت الولايات المتحدة الامريكية وضربت الاتحاد السوفيتي او العكس ، فان الثاني يرد بنفس المستوى ، ومعنى رد الضربة ان الدولتين العظميين تنتهيان .

فحسب تقدير الخبراء ، فان ما لا يقل عن (١٢٠) مليون انسان في امريكا و (١٢٠) مليون انسان في روسيا سيقتلون في اللحظات الاولى من الحرب على الاقل .

وبهذا النحو يموت الناس وكأنهم حشرات ، وليس هنالك أحمق مجنون ينتحر بهذه الطريقة البشعة المرعبة !

الحرب العالمية الثالثة لا تقع على الاكثر، الا ان علماء النفس والتاريخ وعلماء الحروب يؤكدون جميعاً ان الحرب ليست قضية ارادية، وانما من يقتحم الحرب انما يقتحمها بعد سلسلة من ردود الافعال الشرطية التي تتولد فيه من دون ارادته، لان الحرب اذا اشتعلت بطلقة واحدة، فان النفس الأمارة بالسوء توسوس للانسان ــ مالم يكن مدافعاً عن حق او رادعاً لباطل ــ فتوهمه بقوته وضعف اعدائه مما يدفعه الى رد الصاع صاعين، واذا ما بدأت الحرب، فالله وحده أعلم متى تضع أوزارها.

هكذا جرب البشر الحروب، وهكذا تجري في كل بقاع العالم ومن الخطأ ان تتصور بان العالم عقد اجتماعاً دولياً ثم اعلن فيه بدء الحرب العالمية الاولى او الثانية! كلا.. ليس كذلك، وانما انحدرت البشرية الى تلك الحروب، وربما، تنحدر مرة اخرى و بشكل طبيعي فتقع حينها الحرب العالمية الثالثة!!

الخلاص في الاسلام:

والآن لنعد الى الاجابة على السؤال الذي طرحناه في بداية الموضوع:

هل يستطيع الاسلام ان يمنع حدوث الحرب العالمية الثالثة أم لا..؟ انني استطيع ان القول نعم واستدل على ذلك بثلاثة أدلة رئيسية:

الاول: ان للكون رباً يحميه:

ان الحرب ليست قضية ارادية للانسان وقد اثبت التاريخ ان الحروب انما تقع بصورة شبه جبرية، فالانسان في الحرب لا يمتلك القرار النهائي للدخول في خضم المعركة، ولكنه يندفع على قرع الطبول وتدافع الآخرين، واستحسان الناس لها، وعلى هذه الكيفية يلقي الانسان بنفسه في اتون الحرب، فاذا كان هذا الامر صحيحاً فان الذي يستطيع ان يمنع مثل هذه الحروب المدمرة للبشرية ليس الا واحد وهو الله سبحانه وتعالى، فلنفرّ اليه جل شأنه، لأنه في تلك الليلة السوداء التي وضع فيها نيكسون نصف القواعد الذرية الامريكية تحت درجة الانذار القصوى، من الذي منع الحرب العالمية من ان تندلع؟

ولقد فقد مجنون امريكا (كيندي) ضميره فراح يعلن و يهدد الاتحاد السوفيتي بالحرب النووية الشاملة في قضية (خليج الخنازير) فمن اعطى مقداراً من العقل

لخروتشوف ذلك المجنون الآخر الملقب بالدب الروسي لكي يتراجع و يسحب صواريخه المدمرة من كوبا ؟ أو ليس هو الكريم المتعال خالق الكون ورب العباد ، اله العالمين المهيمن الجبار ، الله الواحد القهار .. ؟

أجل انها نفوس مظلمة ، تلك النفوس التي لا تعرف الرحمة ، حيث الغرور والوسواس والشيطان الرجيم ، وحيث الطيش والعنجهية وظلمات فوقها ظلمات ، لا تمتلك من ضوء الايمان ولا ومضة شعاع ، فلا تمانع في قتل النفس البريئة ، بل تستلذ لقتل الناس جميعاً .

ونفوس يحملها أمثال جنكيز خان وهتلر وصدام و بيغن ، تقتل ملايين الناس من الشعوب المستضعفة ، ثم لا يختلج فيها عرق ، لهي أشد وأصلد من الحجارة ، وان من الحجارة لما يتفجر منها الانهار ، بينما قلوب هؤلاء لم تكن لتخشع لشيء .

فمن الذي يمنع هذه الحرب المدمرة .. ؟

وهل للبشرية ملجأ الا الله سبحانه وتعالى ..

لقد شهد العالم عديداً من الجلسات ، ومئات الساعات وألوف الخبراء يجلسون الى بعضهم عبر مؤتمرات نزع السلاح .. سالت (١) وسالت (٢) ، يجلسون و يبحثون و يفكرون ، وعندما تنفض اجتماعاتهم ، يتمخض الجبل فلا يلد الا (أفعى) !

فالولايات المتحدة الامريكية ترفع من ميزانية الدفاع والحرب من مائة وعشرة بلايين دولار حتى صارت مائة وخمسين بليون ثم اصبحت مائة وستين فمائة وسبعين بليون حتى بلغت مائتي بليون دولار .

وكأن جلساتهم تلك كانت من أجل انشاء شبكة الصواريخ الجديدة وشبكات أخرى لأصطياد وابتلاع الصواريخ المضادة القادمة من البلد المهاجم او انشاء صواريخ تستطيع ان تنطلق عندما تنطلق نظائرها في البلد الآخر فتلتقي بها في الجو لتفجرها فيه ، وهكذا دواليك ، كلما طوّرت هذه القوة سلاحاً خصصت القوة الاخرى ميزانية اضافية لتطوير سلاح آخر بالمقابل ، فالى أين وصلنا يا ترى .. ؟ بالطبع وصلنا الى موقف آخر ووضع أكثر توتراً .. فهذا يجهد شعبه وذاك يجهد شعبه ، وهذا يمتص الطاقات والآخر يمتص الطاقات ، فمن الذي يوقف هذا التسلح ، هذا السباق الابدي نحو الدمار ، الا الله سبحانه وتعالى .. ؟ وهنا لا بد ان نستعيد قصة عاد وثمود وقصة لوط واصحاب

الأ يكة وقصة قوم تبّع فهذه القصص التاريخية خير مثال تاريخي لحضارتنا واخطاءها ، فقد كانت تلك حضارات ذات شأن ، وكما ان اسلحتها كانت تختلف عن اسلحتنا ، فان الطريقة التي انتهت بها تختلف عن الطريقة التي ستنتهي حضارتنا المعاصرة بها ، ولكننا اذا حسبنا حساباً عقلياً نجد ان البشرية حينما نست الله أنساها الله نفسها ودمرت نفسها بنفسها .

« ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها * كذبت ثمود بطغواها * إذ انبعث أشقاها * فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها * فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها * ولا يخاف عقباها » .

(الشمس / ٧ ــ ١٥)

فالله عز اسمه اذا رأى الناس قد تولوا عن الهدى وابتعدوا عن النور والاستقامة فانه يرحمهم ، ولكن اذا رآهم يتمادون في غيهم ، فانه يسويها و يدكها دكاً ولا يخاف عقباها ، فالله لا يخاف من أحد وهل باستطاعة أحد ان يقول له لماذا فعلت كذا وكذا .. ؟

اذن نصل الى نتيجة واحدة هي : ضرورة العودة الى الله سبحانه وتعالى !!

ونحن حينما نقول : ان الخلاص في الاسلام ، لا نعني كلمات الاسلام او رسوم القرآن ، وانما حينما نقول الاسلام فاننا نقصد واقع الاسلام الحقيقي وتوجه الانسان الى الله .

جاء في رواية ان جبرائيل (ع) حينما حمل قرى لوط وهي سبع أو تسع قرى حملها على جناحه ورفع بها الى الفضاء فأوقفها فترة و بعد ذلك قلبها فسأل لوط (ع) جبرائيل لماذا فعلت كذلك ؟ قال له لسببين :

السبب الأ ول : انه كان هناك ديك يصيح .

السبب الثاني : كان هناك رجل عجوز نائم اردت ان يستيقظ من النوم ، فقد يكو مؤمناً ولكنه حينما استيقظ قام يسأل عن الفاحشة ، فدمرت القرى !

جاء في الحديث الشريف : **« لولا الحجة لساخت الارض باهلها »** وتدل الرو على ان (الحجة) تعني الانسان المؤمن بالله حق اليقين ، فحتى لو كان في الناس

واحداً ملتزماً بحدود الله ، لكفى ان يحفظ الله الارض من ان تسيخ باهلها . وجاء في الحديث الشريف :

« لولا بهائم رتّع وأطفال رضّع وشيوخ ركّع وشباب خشّع لصب الله عليكم البلاء صبّاً » .

اذن فالله يرحم عباده ، والاسلام الحقيقي هو التوحيد الالهي الذي يمنع العذاب عن البشر .

الثاني : سيادة المثل الاسلامية :

ان الاسلام بتعاليمه الخلقية ينتزع فتيل الحرب من قلب الانسان وحينما أقول الاسلام فلا أقصد الاسلام المعتقل في المساجد والأماكن العبادية فقط أو في الحرمين الشريفين أو في حرم الحسين(ع) أو غيره ، وانما الاسلام العملي الشامل الذي اذا ساد البشرية فان مناهجه التربوية والخلقية والثقافية تسود الانسانية جميعاً ، وعندها يستطيع ان ينزع فتيل الحرب من القلوب .

فالحرب انما تندلع من اجل الدنيا ، وما دام الاسلام يقول : **« حب الدنيا رأس كل خطيئة »** ، وما دام الانسان المؤمن يتضرع الى البارىء عزوجل و يدعوه قائلاً :

« الهي أخرج حب الدنيا من قلبي » .

أي حب هذه الدنيا التي تسبب الويلات والمشاكل ، فكيف لا يصبح الانسان خالياً من روح العدوان ، طالما ان الطمأنينة والقناعة تملآن كيانه ووجدانه .. فاذا خرج حب الدنيا من قلب البشرية فان فتيل الحرب أيضاً سوف ينتزع من القلوب ، و ينزع الناس الى السلام والدعة والانصاف .

الثالث : ممارسة دور الشهادة على العالم :

ان الدولة الاسلامية القوية المقتدرة الممتدة على رقعة الوطن الاسلامي الواسع تستطيع القيام بدور الشاهد على أهل الارض .

« وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً » .

(البقرة / ١٤٣)

فالدولة الاسلامية الكبرى التي نرجو ان تتحقق باذن الله سوف تقف الى جنب

المظلوم . وليس مثل مجلس الامن ، الذي يصوم صوم الصمت بينما العراق المعتدي يضرب طوال اثنين وعشرين شهراً المدن الآهلة بالسكان وعندما ينسحب العراق تحت وطأة الحراب الاسلامية .. فان الاصوات ترتفع وتتعالى الاحتجاجات .. وهذا الذي حصل في مجلس الأمن ، لن يحدث له مثيل في الدولة الاسلامية أو الامة الاسلامة .

فالظالم يجب ان يمنع والمظلوم يجب ان ينصر وان يحمى .

وسوف تكون وصية الامام علي (عليه السلام) لولديه :

« كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً »

شعار المسلمين في الدولة الاسلامية .

ازمات الحضارة المادية

تسعى الثورة الاسلامية لبلوغ أهداف محددة وثابتة ، وقد يطرح في هذا المجال سؤال حول ماهية هذه الأهداف ؟

وعادة يسعى المتحدثون الى المبادرة بالاجابة على مثل هذا السؤال ببيان صلاحية الانظمة الاسلامية وتعداد ميزات التشريع الاسلامي القضائي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي ، واثبات عدم صلاحية النظم الأخرى وما فيها من ثغرات .

الا أننا نرى أن الحديث قد أشبع في هذا المجال بما لا يدع مجالاً لجديد ، ولهذا فاننا نتجه اتجاهاً آخر للاجابة على سؤال : ما هي الأهداف التي تسعى الثورة الاسلامية لبلوغها وتحقيقها ؟

ونريد أن نجيب عليه اجابة فلسفية لا تتصل بتشريع أو قانون معين ، وانما تنحو نحو توجيه كافة القضايا التي لها صلة بهذا الموضوع لتحديد الخطوط العريضة للثورة الاسلامية وأهدافها السامية .

هناك حقيقة لا بد من الاشارة اليها قبل التوغل في موضوعنا ، وهي أن عالم اليوم يعيش أزمات حادة تحولت الى أمراض مزمنة في جسد البشرية ، واستعصى حلها على النظم [1] القائمة ، وفشلت كل الجهود في استئصالها ، كأزمة العدالة الاجتماعية والظلم

---

(١) لقد درج أسلوب الصحافة اليوم على استعمال كلمة الأنظمة للتعبير عن الحكومات القائمة لذلك استخدمنا كلمة النظم) للدلالة على النظريات المعمول بها في عالم السياسة والاقتصاد والاجتماع الخ ...

الاجتماعي الذي ساهمت كل النظم الأرضية ، وكثير من المؤسسات والمدارس الاجتماعية لوضع الحلول والاطروحات لعلاجها ولكن دون جدوى .

وهناك أزمات الحروب المتفجرة هنا وهناك ، والتي تهدد العالم أجمع بحرب كونية تستخدم فيها الرؤوس النووية التي لا تبقي ولا تذر ، وما زال العالم كلما حاول التخلص من حرب الا وتورّط في أخرى حتى أصبحت الحرب وصمة عار في جبين الحضارة المادية الحديثة .

أما الأزمة الثالثة فهي مشكلة التخلف الذي ما زال يعاني منه الانسان بشدة في معظم بقاع المعمورة ، والذي يسهم بدوره في خلق العديد من المشاكل والأزمات الجانبية الاخرى .

والازمة الرابعة هي مشكلة (الفراغ الروحي) الذي ترك بصماته واضحة حتى في المجتمعات التي تعتبر نفسها متقدمة جداً .

والسؤال الذي يبرز في هذا المضمار هو: هل تستطيع الثورة الاسلامية أن تعالج أمراض البشرية اليوم وأزماتها ؟ أي هل تستطيع أن تعيد التوازن والثقة لانسان الجاهلية الحديثة ؟ وهل تستطيع القضاء على التخلف المزمن ؟ وهل بامكانها أن تنهي الحروب كظاهرة مدمرة تهدد البشرية بالفناء ؟ واخيراً هل في مقدور الثورة الاسلامية أن تضع حدّاً للظلم الاجتماعي ، وأزمة العدالة القائمة في مجتمعات اليوم ؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة الحائرة تشكل القسم الأكبر من الاجابة على السؤال الاول حول أهداف الثورة الاسلامية ، لذلك فان الاجابة عليها تفرض علينا أن نحدد كل واحد من هذه الأمراض ثم نحدد كيفية معالجة الاسلام له بشكل تفصيلي .

ومن دون معرفة عمق المأساة في كل قضية ، لا يمكننا أن نعرف كيف تتم معالجة الاسلام لكل قضية ، وبالتالي كيف يستطيع الاسلام أن ينقذ الانسان مما يعاني اليوم .. ! ولا بدّ من ذكر بعض الحقائق الهامة هنا :

الحقيقة الأولى :

ان الاسلام في معالجته لأي قضية من القضايا لا يعتمد على جانب واحد من جوانبه ، أو بعد واحد من أبعاده فهو لا يملك تشريعاً محدداً لقضية بعينها ، بل حتى لو ملك مثل ذلك فان هذا لا يعني أن لا يشرك الأبعاد الأخرى في علاج هذه القضية ، وبكلمة

اخرى ان الدين والتشريع الاسلامي كلٌ لا يتجزأ ولا ينفصل بعضه عن بعض ، ولو فعلنا ذلك لكنا كمن لا يعمل بالاسلام أصلاً ، فقد قال الله سبحانه وتعالى :

« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا . ويوم القيامة يردّون الى أشدّ العذاب » .

(البقرة / ٨٥)

ذلك ان الاسلام وهو يعالج أزمة التخلف في البلاد النامية ــ مثلاً ــ وهو مرض شامل مزمن ومتجذر في كل دول العالم الثالث ، فانه لا يتعامل معها بتشريع واحد وانما يتعامل معها بكل مناهجه العقلية ، وتربيته السلوكية وقوانينه الاجتماعية وتشريعاته الاقتصادية والسياسية الخ ..

فمشكلة التخلف في الواقع ليست مشكلة واحدة ، وانما هي آلاف المشاكل ، وانما اطلقت كلمة (التخلف) مجازاً للتعبير عن مجموعة المشاكل التي يعاني منها البلد المتخلف ، وكما أن الصداع أحياناً ليس وجعاً واحداً في الرأس يُعالج باقراص (الاسبرين) وحسب ، وانما هو نتاج ضعف عام في الجسم كله يجب أن يعالج ببرنامج غذائي وطبي متكامل ، وكذلك التخلف يجب أن يعالج في البلاد النامية ببرامج الاسلام كافة لأن كل جزء من الاسلام يعالج ناحية في التخلف ، وبالمجموع يعالج المجموع .

فالتخلف الثقافي مثلاً يعالجه الاسلام بتوجيه الأفراد للعلم والبرامج التثقيفية الخاصة والعامة وتوجيه المجتمع للتمحور حول العلم واحترام العلماء .

والتخلف الاقتصادي يعالجه الاسلام بالتوزيع العادل للثروة ، وفك القيود عن نشاطات الانسان وطاقاته وتوجيهه نحو السعي ، ثم سن القوانين التي تبحث قضايا التنمية والاقتصاد زراعيّاً وصناعيّاً وتجاريّاً .

والتخلف الصحي يعالجه الاسلام بمئات القوانين التي تعالج جسم الانسان سواء منها ما كان وقائياً أو علاجياً بشكل فردي أو اجتماعي .. الخ .

فالاسلام ككل يعالج التخلف ككل ، وليس جزء من الاسلام يعالج ناحية من التخلف ، فعلاج جزء من التخلف لا يعني تخلص البلاد من التخلف بشكل كامل .

فاننا نجد في بعض البلدان ــ مثلاً ــ تقدماً صحيّاً ، الا أنها ترفل في أغلال أخرى من التخلف كسكان جبال القوقاز ــ على سبيل المثال ــ فهم أطول الناس عمراً في

العالم ، ولكنهم مع ذلك لا يعتبرون من الشعوب المتقدمة ، وانما هم في حظيرة العالم الثالث . فالتخلص من أحد أعراض المرض لا يدل على استئصال المرض كله .

اذن فلا بد من الاسلام كله لمعالجة الأزمة كلها .

الحقيقة الثانية :

اننا لا نحتاج الى كثير من العناء لتبيان أن الاسلام شيء ، والمسلمين والمنتمين اليه ــ في الواقع ــ شيء آخر ، اذ لا يمكن لأحد أن يقيس الاسلام بممارسات المسلمين ــ كما يحلو للبعض أن يفعل لا سيما الغرب ــ فتطبيق المسلمين لكل التعاليم الاسلامية غير موجودة في عالمنا الاسلامي من جهة ، ومن جهة أخرى لا يمكن أن يتحقق ذلك بين عشية وضحاها ، اذا ما أردنا تطبيقها بكل نزاهة واخلاص .

وان كنا نذكر هذا فيما مضى ، فاننا اليوم نعيد التذكرة بهذه الحقيقة بمناسبة قيام حكومة اسلامية في ايران ، مع وجود كثير من المشاكل التي ورثتها من الحكومات السابقة ، ومع وجود المجتمع الذي لا تزال فيه رواسب عديدة من العهد الجاهلي الشاهنشاهي المقبور .

أما الآن نفهم الاسلام من خلال القرآن الكريم ومن خلال الاحاديث الثابتة عن رسول الله (ص) ، لأن الأول لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والثاني لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ، وأما البشر فانهم يخطئون عمداً ، أو سهواً الا من عَصَمَه الرحمن وكان نبيّاً واماماً ، فان البرنامج القرآني المتكامل بمقدوره أن ينقذ البشرية ، ونستطيع أن نثبت ادعاءنا هذا من خلال التقييم الموضوعي للقضية ، وليس من خلال تقييم ذاتي لها ، ففي التاريخ تجارب لتطبيق الاسلام تستطيع ان تكون تجارب محدودة بالنسبة لتلك المرحلة التاريخية والظروف التاريخي ، وبالنسبة لتلك الشريعة التي طبقت في ذلك الظرف وعالجت مشاكل المجتمع ذلك اليوم .

وهذا هو المنهج العلمي الصحيح في فهم كل مبدأ أو قضية ، اذ يكفي من الرصيد العملي للاسلام تجربة الرسول الأعظم (ص) وتجارب الصدر الاسلامي الاول ، بمعنى اذا قلنا ان الاسلام يقضي على الفقر أو يبني المجتمع الموحّد المتماسك فنضرب على ذلك مثالاً مما جري في الجزيرة العربية حينما طبق الاسلام فيها بأمانه واخلاص على يد القائد الفذّ ، وكيف استطاعت الجزيرة الفقيرة المفككة الأوصال أن تقفز مرة واحدة

خلال فترة قياسية من وهدة الفقر والفاقة ، وحضيض التمزق والصراع الى مستوى مناسب من العيش الرغيد والرخاء والقوة الذاتية الناجمة عن وحدة الصفوف وتلاحم الأيدي ، وهذه التجربة تكفي لاثبات قدرة الاسلام على فعالية قوانيه وصلاحيتها .

اما اذا اردنا أن نأخذ على الاسلام ما فعله المسلمون سابقاً أو ما يفعلونه اليوم بما يجري في هذه البلاد أو تلك ، فان ذلك بعيد عن الموضوعية و يدخل ضمن المؤاثرات اكثر مما يدخل ضمن نطاق البحث العلمي الدقيق .

الحقيقة الثالثة :

هي أننا حين نقول بأن الاسلامي عالج هذه المشكلة ، أو تلك فان كلامنا هذا يشبه الى حد بعيد قولنا بأن الطبيب الفلاني يستطيع أن يعالج المريض الفلاني .. لأن هناك شرطاً عقلياً غير مذكور في الكلام ، اذ لا يذكر عادة ، وانما تكتفي بالمشورة على صاحبك أن يذهب الى أخصائي العيون مثلاً لعلاج عينيه والشرط العقلي الذي لا تذكره هو انه يستطيع علاجه اذا ما قام باتباع نصائح الطبيب والعمل بكل التعليمات التي وضعها له والأدو ية التي كتبها علاجاً لعينيه فان لم يفعل ذلك ، فما جدوى ذهابه الى الطبيب ، وماذا يمكن الطبيب أن يفعل آنئذ ؟

وهكذا الامر حينما نقول آن الاسلام يعالج مشكلة الانسان ، فان هذا القول لا يعني أن الاسلام ليس سوى قرآن كريم يوضع في الجيب ، نتلوه كما نتلوجريدة الصباح دون اتباع تعاليمه ، وانما يعني أن نطبق الاسلام على أنفسنا فنلتزم بمبادئه وقيمه ثم يتحول بالنسبة لنا الى برامج ، نصب فيها اهتماماتنا وحيو يتنا ونشاطاتنا ونطبّقه عبر تحركاتنا وجهادنا ، وآنئذ يمكن لنا القول بأن الاسلام كفيل بحل مشاكلنا والقضاء على أزماتنا وانقاذنا والبشرية جمعاء مما يكبلنا من الأغلال والقيود .

الفصل الخامس :

هكذا نواجه التحديات

* نعم للسعي لا للتمني.
* كيف نواجه الفتنة ؟
* كيف نواجه التحديات المضاعفة ؟
* عندما نجعل المأساة نصراً.
* هكذا نبني الوحدة.
* الجهاد دعوة الى الحياة الكريمة.
* هكذا انتصر المسلمون.
* شروط النصر.

نعم للسعي لا للتمني

بسم الله الرحمن الرحيم

«قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين * فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم * والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك اصحاب الجحيم * وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم * ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ان الظالمين لفي شقاق بعيد * وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم».

صدق الله العلي العظيم

(٤٩ ــ ٥٤ سورة الحج)

القرآن الحكيم بلاغ الهي ورسالة ربانية الى البشرية جمعاء، الا ان الطبيعة البشرية أفرزت تيارين متناقضين، هما :ــ

١ ــ القلوب المنفتحة على الرسالات الربانية، و ينعكس انفتاحها في أنها تستقبل هذه البلاغات استقبالاً حكيماً ورشيداً. أي ان له قلباً ينظر به الى الآيات القرآنية وآيات الكون.. فيلقي البصائر والحقائق وهو مؤمن بها.

٢ ــ القلوب المريضة، و يكشف مرضها مقابلتها للرسالات الالهية فتقابلها بحالة من التحدي والتعجيز. أي ان له قلباً فيه مرض، تحول الى غشاوة في نظره الى الحياة.

حالة المعاجزة .. صفاتها .. وكيف تنشأ ؟

ربنا عز وجل يحذر الذين يتحدون آيات الله بحالة من المعاجزة، وكأنهم يريدون اعجاز الله من خلال مقابلتهم لقوة الله وقدرته، بما لديهم من قوة تافهة وقدرة لا تذكر، ومصير هؤلاء ان الله عز وجل يهب لهم في يوم القيامة بئس ما يهب لعباده.

«والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم».

من هم المعاجزون ؟

المعاجزون هم أولئك الذين يحجبون أنفسهم عن فهم آيات الله، و اذا فهموها، جادلوا فيها، وصدوا الآخرين عنها. وهم الذين يضعون العراقيل في سبيل تطبيق آيات الله، أو يحددونها في أطر ضيقة .. و بتعبير آخر فهم أولئك الذين لا يواجهون آيات الله بالتسليم والتصديق والاذعان، وانما يواجهونها بالتحدي والرفض والمقابلة والمواجهة.

كل واحد من البشر يتمكن أن يكون من المخبتين الذين يذعنون لآيات الله و يقبلون أوامره، سواءاً وافق هذا الاختيار مصالحهم الذاتية أو خالفها، وسواءاً كان هذا الاختيار متناغماً مع قناعاتهم وآرائهم الفكرية أو متناقضاً معها.

وكما ان هذا الاختيار بيد الانسان، فانه يمكن أن يكون الواحد من البشر من سلك المعاجزين المتحدين لآيات الله، ومهما كان مستوى التحدي صغيراً أو كبيراً فانه يخرج الانسان من انتماء الايمان و يدخله في انتماء الكفر، ودليل ذلك ان راوياً سأل الامام الصادق (ع) قائلاً له يا ابن رسول الله : ما أدنى ما يكون العبد به كافراً ؟

فقال الامام الصادق :

«أن يقول للحصاة نواة ثم يدين الله بذلك ، أو يقول للنواة حصاة ثم يدين الله بذلك ».

وأساساً حين يسمع الانسان آيات الله، و يتلو كتابه، أو ينظر الى الطبيعة من حوله، فيستفيد منها بصائر لقلبه، ولكنه لا يستفيد من هذه البصائر، وهذا يشبه المثل التالي، عندما ينطفئ الكهرباء، ويخيم الظلام على مكان ما، وفجأة يأتي النور الباهر، لنتصور معاً ماذا يكون الموقف ؟

ترى ان الكل يأخذ يده و يضعها على عينه، ليمنع النور من الوصول الى العين، أي أن بعض الناس حين يتركز ضوء الهداية على قلبه .. لا يحتمل النور الرباني، فيواجه نور

الهداية بأن يحجبه عن قلبه.

التمني فكرة شيطانية وحالة سلبية:

ثم يقول ربنا عز وجل :

«وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم».

تكررت هذه الآية أكثر من مرة، وتعددت آراء المفسرين حولها، وقد وجد بعض المنافقين ثغرة في هذه الآية للنيل من شخص رسول الله والقاء الشبهة حول وجوده الاكرم، من جانب ان رسول الله كان يتمنى، وذلك من خلال حادثة كاذبة مفادها ان رسول الله محمد بن عبد الله (ص) حينما قرأ سورة النجم في صلاته، سمع أحد المشركين في زاوية من المسجد الحرام يردد (تلك الغرانيق العلى، وان شفاعتهن لترتجى) اشارة الى اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسائر الاصنام الحجرية التي كانت قبيلة قريش تقدسها وتذعن بالولاء لها، وعندما كرر هذا المشرك مقولته، تبعه رسول الله وأخذ يكررها في صلاته .. وهذه الحادثة مختلقة لما يلي :ـ

١ ـ فات هؤلاء بأن قراءة السور التي تجب السجدة فيها لا تجوز لمكان زيادة السجدة، وسورة النجم من هذه السور.

٢ ـ ان الآية القرآنية لا تحدثنا عن رسول الله محمد بن عبد الله (ص) فحسب، وانما تتحدث عن كافة الانبياء، فتقول :

«وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته».

إذن هذا التفسير خاطئ، و بعيد كل البعد عن قداسة الرسول، وعن قول الله عز وجل :

«وما ينطق عن الهوى * ان هو إلا وحي يوحى» (٣ ـ ٤ سورة النجم).

وهو أيضاً بعيد عن عقيدة كل مسلم في رسول الله (ص) اذ كيف يبعث الله رسولاً يسجد للاصنام و يعتقد بأن شفاعتها ترتجى عند الله ! وهل يمكن ذلك ؟

كلا .. انه مستحيل .

وهذه الآية التي اُستغلت من قبل المنافقين، تقسم الناس، الى صنفين، صنف يعتمد

على العمل ليصل الى أهدافه، وصنف آخر يعيش الامنيات والاحلام، و يريد أن تتحقق كامل أهدافه في الحياة عبر مجموعة من التمنيات ونسيج من الرؤى والافكار والخيالات النفسية التي لا تعتمد على أي منطق علمي أو عقلي.

والقرآن الحكيم بصفته موجهاً للبشرية الى طرق الرشاد، فانه وقف تجاه هذه الحالة ملياً بغية أن ينزعها الانسان من تفكيره لينفتح قلبه الى الحياة. والقرآن بصفته هذه فانه يقول :

يا أيها الانسان ان عالمك الذي تعيش فيه عالم الجد والسعي والعمل والعطاء والتضحية والتفكير والوعي، وليس عالم اللهو واللعب والامنيات والاحلام والخيلات.

«أم للانسان ما تمنى * فلله الآخرة والاولى» (٢٤ ــ ٢٥ سورة النجم).

أي أن الانسان ليس له ما يتمنى، فاذا جلس شخص ما في بيته، وتخيل ان أمامه بساطاً ممدوداً عليه مختلف أنواع الفواكه والحلويات والاطعمة والاشربة يلتفون حوله أصدقاء يرتدون الحرير والاستبرق .. لو حدث هذا التخيل .. هل سيشبع الانسان من جوعه ؟ أو هل يتحقق في الواقع الخارجي ؟

بالطبع .. كلا .

«أم للانسان ما تمنى» (٢٤ ــ سورة النجم).

وكذلك لو جلس المتدين يفكر في دنياه وأمور حياته، فتمنى لو أن الله عزوجل أنزل في لحظته تلك الصاعقة من السماء على البيت الابيض في واشنطن، وعلى الكرملين في موسكو، أو على القصر الجمهوري في بغداد، لكان أراحنا شرور هؤلاء الطواغيت .. الله تعالى شأنه قادر على فعل ذلك ، إلا أنه وضع سنة في كتابه الحيكم تقول :

«وأن ليس للانسان إلا ما سعى * وان سعيه سوف يرى» (٣٩ ــ ٤٠ سورة النجم).

أي ان سعي الانسان وحركته ومدى جديته، هي الكفيلة باعطاء الانسان شيئاً ما، أما التمنيات والاحلام والافكار الخيالية لا تصنع شيئاً.

والقرآن الحكيم، حين يحدثنا عن أنبياء الله ورسوله، وعن المهتدين وهم أولياء الله الكبار العظام، وحين يذكرنا الله بأن رسله على عظمتهم وأنبياءه على كرامتهم والمحدثين والصديقين الاولياء الصالحين على قربهم من الله عزوجل ،.. لو أن هذه القمم المضيئة في

البشرية عاشت حالة التمني كان الشيطان لهم بالمرصاد.

«وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته».

فاذا كانت حالة التمني عند الانبياء غير صحيحة، فكيف بالانسان الضعيف الجاهل ؟!

ان الله عزوجل حذرهم من ذلك ، لانهم لا يستطيعون تنفيذ أحكام الله عبر التمني، وانما تشوبهم حالة تحقيق الاهداف العظيمة في حياتهم بالتمنيات.

التمني أفرز التخلف :

ان حالة التمني من أكثر المخاطر التي تلاحق الانسان المسلم الرسالي، فقد يصيبه تفكير شيطاني فيقول له :ــ أليس الله بقادر على أن ينصر دينه ؟

وبما أن هذه القدرة موجودة فلم يعذبنا، و يفرض علينا الهجرة والقتال والتضحية وخوض المشاكل المؤلمة للقلوب .. فليرسل ملائكته لتحقيق هذه الاهداف، جبرائيل وميكائيل أو عزرائيل «ملك الموت» الذي لا يسبقه بالقول وهو بأمره يعمل .. فليبعثه لاخذ أرواح الطغاة أجمع.

هذه من القاءات الشيطان في قلوب المؤمنين .. ولهذه الالقاءات مردودات سلبية خطيرة على واقع الامة لانها تعجز الانسان عن العمل، وتجعل يده مغلولة عن ذلك ، وبالتالي يرى ان التضحية والجهاد والجد في العمل لا تنفع .. ولان حالة التمني راودت الاسلاميين المتدينين، فلم يفكروا أو لم يخططوا لبدء الهجوم على المستكبرين .. تردت الاوضاع الى هذا الحد.

وحالة التمني من قبل وجدت في العرب فانهزموا، بعد عام ١٩٤٨م، كانت الاذاعات العربية قد ملأت أفواه الناس صخباً وضجيجاً بأن الجيوش العربية قادرة على أزالة اسرائيل في يومين، كما أن الحكام أوحوا الى شعوبهم هذه الفكرة، فكان يقول عبد الحكيم عامر رئيس أركان الجيش المصري في اجتماع له : ان التقدم نحو اسرائيل هو نزهة عسكرية، أو أحمد سعيد الرجل المهرج في اذاعة صوت العرب كان يقول دائماً :ــ يا أيتها الاسماك في البحر انتظري اللحوم الطازجة، يقصد بها لحوم الجيش الاسرائيلي ..

لقد كان العرب يخدعون أنفسهم بهذا الكلام، فلما جلّ عام ١٩٦٧م واذا باسرائيل

تشن حرباً خاطفة على الدول العربية، وتتمكن عبرها من تحقيق انتصار عسكري واستراتيجي، ومن احتلال مزيد من الاراضي العربية، ومن ضمنها جميع أراضي فلسطين، ولما سمع العرب بذلك أصيبوا بصدمة حقيقية عنيفة، وعرفوا بأن اسرائيل هذه الدويلة ذات الافراد المنبوذين في العالم والذين تجمعوا من أقطار الارض استطاعت أن تهزم أكبر قوة عربية بعد سنين من الهتاف والادعاء بالنصر والغلبة.

التمني خلاف العقل والمنطق :

ان حالة التمني ناتجة من تخلف الوعي، لان الانسان الواعي يعرف ان لكل شيء سبباً، والقرآن الحكيم يقول حول ذي القرنين :

«ثم أتبع سببا» (٨٩ ــ سورة الكهف).

أي تحرك على ضوء الاسباب والعلل والسنن الالهية أما الانسان المتخلف فانه يريد أن يحقق كل شيء بهذه الخرافات والاساطير التي يؤمن بها.

وفي هذه الايام نشرت بعض الصحف العربية، ان رجلاً هندياً قطع رأس ابنه البالغ من العمر ثماني سنوات خدمة للسلام العالمي حتى لا تصاب البشرية بالحروب !!.

فهذا تمني وليس عملاً جاداً، وأسبابه خاطئة بتاتاً.

وحالة التمني قد تورث حالة التواكل عند الانسان، فأكثر المسلمين يجلسون مع أنفسهم، و يرون بأن الجيش الكذائي أو الحزب الفلاني هو المكلف بانقاذ بلده، أي أنه ينتظر النتائج دون عمل، وهذا خطأ، لان ابتعاد المسلمين عن العمل والقاء المسؤولية على الآخرين نوع من الاسطورة والحلم، والواقع هو أن الحياة جدية تسير وفق الاسباب والعلل، لذا علينا أن نكون جديين وفي أعلى مستويات الوعي حيث نعرف ما يجري حولنا، ثم نحذر ونفكر ونبدأ بالتحرك المخلص.

المطلوب استراتيجية هجومية :

من السنن الالهية في الحياة هو أن حالة الهجوم أفضل من حالة الدفاع، بشرط أن يكون الهجوم في سبيل الله. وهذه الحالة هي من أحد الاسرار المهمة في انتصارات رسول الله (ص) .. فمرة كان في المدينة المنورة وسمع بأن قريشاً تريد محاربته، فجهز جيشه

وذهب الى بدر لاستقبالهم، واستطاع أن يهزمهم، وفي مرة اخرى كان في مكة المكرمة وسمع بأن هوازن وثقيف تريدان الهجوم عليه، فبدأهم هو في الهجوم.

«واذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال».

(١٢١ ــ سورة آل عمران)

وكانت هذه الاستراتيجية من أسباب انتصار الامام علي (ع) في حروبه الشخصية واستراتيجيته العامة، ومن الاعمال الهامة التي ينبغي على المحللين الوقوف طويلاً أمامها في حياة الامام علي هو عزله لمعاوية بن أبي سفيان واعادة اقطاعيات الخليفة الثالث الى أهلها فور استلامه للسلطة، أي انه اتبع سياسة الهجوم على الحزب الاموي.. والامام الحسين سار على هذا النهج كذلك أذ أنه خرج من المدينة المنورة الى مكة المكرمة ومنها الى الكوفة، وربما كان مستعداً للذهاب الى الشام لتحقيق مآربه.

نحن المسلمين اليوم بحاجة ماسة الى هذه الاستراتيجية الهجومية، ففي بداية انتصار الثورة الاسلامية في ايران، اتبع المسلمون في أكثر العالم هذه الاستراتيجية، وفازوا بها، فما أن انتصرت الثورة الاسلامية في ايران حتى تفجرت الثورة الاسلامية في العراق، ولحقتها مظاهرات في الجزيرة العربية، وتبعتها موجات ثورية في أكثر بلاد العالم، وبسبب هذا الهجوم انهزمت قوى الشرق والغرب ــ ولا أقل ــ تراجعت على شكل انسحاب تكتيكي !!، وهذا ظهر على تصرفاتهم العامة فالاعلام الغربي كان مشوشاً فاقداً لركيزة اعلامية يقول كلاماً ثم يناقضه، وخاصة اذاعة صوت أمريكا ــ والتي تعتبر من أوائل الاذاعات في العالم ــ التي تخبّطت حين اندلعت أحداث الحرم الشريف، لان كلاماً في قم أوعز سبب هذه الحادثة الى الايادي الامريكية، وصارت هجمة اسلامية عامة على المراكز الامريكية في العالم، وكان الاعلام الامريكي يعكس حالة الضعف التي منيت بها القوى الامريكية كل هذا التراجع الاستكباري بسبب استراتيجية الهجوم لدى المؤمنين.

ولاسباب عديدة تراجعنا نحن المسلمين عن حالة الهجوم، فبدأ الاستكبار هجومه المضاد علينا، وبالذات ادارة ريغان قائد قوى الاستكبار في العالم والذي ارتكز على استراتيجية الهجوم على الطرف المقابل، وتحتوي هذه الاستراتيجية الاستعمارية على عدة بنود :ــ

١ ــ التغطية الاعلامية :

حين شعر الاستعمار بخطورة التحرك الاسلامي ، استخدم سياسة الهجوم ، ولتغطية الهجوم المضاد على القوى الاسلامية في العالم أطلقوا شعار الارهاب ومحاربته ، وربطوا كل شيء به ، فالصلاة أصبحت تصنع ارهابيين ، ومن يحمل القرآن يسمى ارهابياً ، ومن تتحجب من النساء تسمى ارهابية لكونها محجبة ، وتحرم من أبسط حقوقها الانسانية وهو العمل لكسب المال ، أو حتى من يجعل في وجهه لحية ، تؤخذ مستمسكاً قوياً على أن صاحبها ارهابي ، أي ان الاستعمار قام بتغطية اعلامية لهجومهم المضاد ضد القوى الاسلامية والوطنية والتحررية في العالم باسم الارهاب .

٢ ــ مرحلة التحالفات :

ثم بدء بالتحالفات فيما بينهم ، فأمريكا واليابان وسائر الدول الغربية تسير على ضوء مصالح مشتركة ، وكانت عندهم بعض الاختلافات ، إلا أن الامريكيين حين بدأوا هجومهم المضاد جمعوا كل هذه القوى اضافة الى مجموعة كبيرة من قوى الشر والفساد في العالم لمواجهة المسلمين .

٣ ــ تبديل الانظمة :

حتى يزيد الضغط على الحركة الاسلامية ، لابد من محاصرتها من قبل الانظمة ، وفكر الاستعمار في تبديل بعض الانظمة تحقيقاً لهدفه الاخطر ، فقام بانقلاب عسكري في تركيا ، تبعه آخر في باكستان وغيرها حتى يحزموا أمرهم مع الشعوب .

٤ ــ الضغط الاقتصادي :

وعمل الاستكبار على هذا الضغط منذ انتصار الثورة الاسلامية في ايران ، فأول ما انتصرت الثورة ، بدأت الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها من اليابانيين والاوروبيين في صنع مخازن ضخمة لجمع البترول تحت الارض وفوقها ، وهذه المخازن العملاقة تحمل ألوف الملايين من براميل النفط ولما حانت ساعة الصفر وبدأوا حربهم ضد أسعار البترول فتحوا مخازنهم في سبيل اغراق الاسواق العالمية بالبترول ، وضغطوا

على بعض الدول النفطية الخائنة ، فاستجابت لضغوطهم ورفعوا الانتاج ، و بهذا العمل الدقيق وصل سعر البرميل الواحد (٥) دولاراً بدون ضرائب ، بعد أن كان سعر البرميل الواحد (٢٦) دولاراً مع الضرائب .

وخلال أقل من سنة واحدة سقطت قيمة مادة الذهب الاسود التي أنزلها الله نعمة للبشر، والتي تشتق منها حوالي ٧٠٠٠٠٠ نوعاً من البضائع ، فياترى الى أي حد وصلت خسارة الدول النفطية والعربية بشكل خاص ؟!

والامريكيون لم يكتفوا بجميع هذه الاعمال لحصار الحركة الهجومية في الامة ، وإنما سعت الى اقامة امبراطورية تابعة لهم في الشرق الاوسط رأس هرمها اسرائيل ، وقاعدتها الدول العربية ، رأس الهرم اسرائيل لانها تملك التكنلوجيا والسياسية والبحوث العلمية .. والقاعدة الدول العربية لانهم يبيعون النفط و يعطون الايدي العاملة .

وهذا الكلام ليس رجماً بالغيب ، لان التاريخ الامريكي الاسود يثبت ذلك ، فعندما تمردت الولايات المتحدة من السيطرة البريطانية ، صُفِّيَت العناصر الاصيلة في البلاد وهم الهنود الحمر ، واستغلوا المناطق الشاسعة وسموها القارة الجديدة ، وكانت مساحة الاراضي تزداد باستمرار ، فحين استقلال الولايات المتحدة الامريكية عام ١٧٧٥م كانت مساحة أراضيها ٥٠٠٠٠٠ ميلاً مربعاً ، و بعد أقل من ١٠٠ سنة زادت مساحة الولايات المتحدة ٣ مليون ميل مربع ، فكيف حدث ذلك ؟

حدث بسبب التوسع الاقليمي ، وكذلك بالهيمنة على البلاد الاخرى ، منذ ذلك اليوم بدأوا سياسة الهجوم وهم مجموعة مغامرين تعكس حالتهم أفلام الكابوي .

وهكذا هم الآن فحين شعروا بأن الاسلاميين بدأوا حالة الدفاع ، استمروا في الهجوم واكمال الخطط القديمة

ومن الخطط الهجومية الاخيرة على الاسلاميين زيارة رئيس الوزراء الاسرائيلي شيمون بيريز الى المغرب .. هذه الزيارة التي كان ينبغي لها أن تتحقق بُعيد كامب ديفيد .. لان القرار في هذه المعاهدة الخيانية أن تتجه مصر نحو اسرائيل أولاً والمغرب ثانياً ، باعتبار أن الحسن الثاني عراب اللقاء بين مصر واسرائيل .

لم يكن هذا الحدث غريباً عند الفئة الواعية من الامة ، بقدر ما كان تتويجاً لما يجري وراء كواليس الانظمة الرجعية ، وحالة التبادل موجودة بين النظامين ، وقد نقل لي بعض

الاخوة المغاربة بأنهم قد رأوا موشي دايان المعروف شكلاً في احدى قرى المغرب عدة مرات ، واليهود المغاربة الذين يشكلون عدداً كبيراً في اسرائيل كانوا حلقة الوصل ، حتى ان رئيس منظمة الدفاع عن اسرائيل زار المغرب و بدأ باستثمار الاموال هناك .

وجوهر هذه الزيارة هو انه بعد ما عقدت مباحثات كامب ديفيد بدأت حالة اليقظة الاسلامية واستمرت حتى اليوم ، و باعتبار ان المسلمين بدأوا باستراتيجية الهجوم فقد تراجعت القوى الاستكبارية ، ولمّا حدث العكس بدأ الاستكبار ينفذ مخططاته القديمة ، وأول هذه المخططات زيارة بيريز ولقاؤه مع الحسن الثاني ذي الشخصية المزدوجة والغريبة ، فمرة تراه جالساً على كرسي الامارة يفسر القرآن الحكيم ، وأخرى تراه مهادناً لاهل الكفر والطغيان ، على الرغم من انه ربيب الامريكيين واليهود منذ صغره ، ولذلك يقول بكل وقاحة : « ليس من العيب أن يلتقي الانسان بعدوه الاول » .

والانكى من ذلك ان الحسن الثاني هو رئيس لجنة القدس ورئيس المؤتمر العربي ورئيس المؤتمر الاسلامي أحياناً .

ان هذا يدل على هبوط مستوى الوعي لدى الامة ، وهذه الصدمات القوية والصعقات الهائلة والهزات الضيقة أمثال زيارة بيريز الى المغرب لابد أن تكون كافية لاعادة الوعي الى أنفسنا ، ومن ثم الفهم والتخطيط والعمل .

الشعوب هم أملنا :

نحن نأمل من الله عزوجل ، ومن ثم من الشعب المسلم في المغرب أن يعطي الجواب الحاسم لهذا الطاغية الوغد ، وأن يجعل مصيره مصيراً أسوداً ، وليلحقه بصاحبه السادات اسلامبولي المغرب القادم .

ومن ثم لتكن هذه اشارة البدء لحركة اسلامية رسالية واسعة في المغرب تسقط حكم الطاغوت .. وتبدأ برحلة التحرير نحو القدس الشريف .

ان شعوبنا الاسلامية في شمال أفريقيا ، كانت دوماً مجاهدة في سبيل الله مقارعة للطواغيت الحاكمين بغير أمر الله ، وهؤلاء الحكام باسم الجهاد حكموا البلاد ، ففي الجزائر خرج الناس ينادون الله أكبر .. وفي المغرب تحرروا على صرخات الله أكبر .. وفي تونس كذلك حتى أن بورقيبة يسمي نفسه « المجاهد الاكبر » لان عُملَة الجهاد

هي الرائجة هناك ، وهذه البلاد هي بلاد المرابطين والتوحيديين والفاطميين الذين استطاعوا أن يقفوا أمام المد الصليبي ، وهم الذين حرروا الاندلس وقاوموا حركة التغريب .

أيها الاخوة في العراق .. لا تنتظروا العدو يغزوكم .

« اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا »

ولو كنا نتبع هذه السياسة مع صدام ، لانقذت بلاد الرافدين منذ زمن بعيد .

إذن ينبغي أن نتحرك تجاه سياسة الهجوم .. على الرغم من ان السياسة الهجومية بحاجة الى روح سامية وتطلع عظيم وهمة عالية وشجاعة وروح اقتحامية عند الانسان .. هذه المتطلبات نحققها ونحن نسير في طورها ، لاننا اذا لم نبدأ الهجوم ، فان الاضرار ستكون أكبر بكثير.

واذا اتبعنا سياسة الهجوم والمبادرة المستمرة الايجابية .. وخرجنا من هذه القوقعات الضيقة ومن الشرنقات الخانقة .. اذا خرجنا من ذواتنا وحزبياتنا وأنانياتنا ، وانطلقنا الى سوح الجهاد حاملين رايتها مهاجمين ففي جميع المناطق بالتنسيق مع الآخرين ، لكنا نحن المنتصرين .

قال تعالى :

« ان تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم »(٧ ــ سورة محمد)

« وان ينصركم الله فلا غالب لكم »(١٦٠ ــ آل عمران)

[٢٧ س ١٨ ب ١٠٢/٤٣ الحركة الاسلامية بين التمني والسعي من ص ٧٢ الى ص ٧٩]

كيف نواجه الفتنة ..؟

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون * ومن يطع الله ورسوله ويخش الله و يتقهِ فاولئك هم الفائزون * وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون * قل اطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما علىٰ الرسول إلاّ البلاغ المبين * وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسوقون *»

صدق الله العلي العظيم

حينما خرج سيدنا وأمامنا أبو عبد الله الحسين (ع) من مكة تلقاء العراق قاصداً الكوفة .. توافدت عليه مجموعات من المعارضين للنظام الأموي، والقاعدين عن الجهاد ضده، يتساءلون ما الذي دفع الامام الى الخروج في هذا الوقت و بعد لم تنضج الظروف المناسبة لخروجه ضد طاغية عصره يزيد ابن معاو ية ؟ وقد أجاب عليه السلام كل فريق بأجابة مختلفة كلٌ حسب عقله وظروفه وانتمائه.

فبعض قال لهم : بأن بني أمية شتموا عرضي فصبرت، واخذوا مالي فصبرت، فأرادوا أن يهرقوا دمي فهربت، وقال لمجموعة أخرى بان أهل الكوفة هم الذين طلبوا مني القدوم

اليهم.

ولكن حينما زاره مجموعة من اصفياء الله، أجابهم بقوله : «**فبما يمتحن هذا الخلق**» .. ان الامام الحسين حدد لهؤلاء ــ ذوي البصائر ــ حكمة الهية لخروجه تتصل بمهمة الانبياء جميعاً، و بالاوصياء كلاً، لان الاوصياء هم على نهج الانبياء.

ولكن هناك أهداف وتطلعات يسعى المقربون والسابقون والصديقون الذين هم على نهج الانبياء سائرون لتحقيقها. وهذه الاهداف اعلى واسمى من تلك الأهداف السابقة، بالرغم من مشروعيتها جميعاً.

ما الذي يستهدفه السابقون ؟

ان السابقين الصديقين لا يأبهون بحسابات الربح والخسارة السياسيتين، ولا يفكرون بان عليهم ان يسقطوا هذا الطاغية، وان يغيروا ذلك النظام، انما يهدفون ما أمر الله، اي يريدون تحقيق ارادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته في الارض.

ان هناك اهدافاً سياسية واخرى رسالية ينبغي على المؤمن ان يسعى لتحقيقها. وذلك لانه يريد اقامة حكم الله في الارض، وازاحة حكم الطغاة وتحرير الانسان من عبودية الظالمين و بالتالي يريد الرفاه والسعادة للبشر تلك اهداف يتطلع المؤمنون المجاهدون لتحقيقها.

الامتحان الاجتماعي ونقاء المسيرة :

من حكم هذا الوجود، ومن حكم الله في خلق الانسان وانزاله من الجنة الى كرة التراب، وسائر الانظمة والسنن التي تحوم حول الانسان هي ابتلاء الانسان وفتنته وتجربة ارادته. والله سبحانه وتعالى يقدر الليل والنهار و يقلبه و يصرف الآيات ويجري سننه على الارض بحيث يمتحن كل أنسان ... والامتحانات أقسام، فقد يكون الامتحان امتحاناً فردياً، كأن نبتلى انا وانت بمال حرام نحتاج اليه، أو بأمرأة حرام تشتهيها انفسنا، أو بسلطة ومنصب حرام تهو يه أنفسنا، والفرد هو الذي يمتحن في هذا المجال.

وهنالك امتحان بمستوى اعلى، هو امتحان المجتمع ككل بحيث يوضع الناس كلهم في غربال، و يغربلون ليعرف من الصامد ومن المتهاوي ومن المنافق، ومن الذي كانت تهو يه المناصب، ومن الذي كان يبحث عن الحق، ومن المستقيم على الطريق، ومن الذي

يتساقط كأوراق الخريف يمنة وشمالاً.

ربنا عز وجل حكيم ويمتحن الناس جميعاً، فتراهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين، وفي هذه الحالة لا يمكنك ان تقول لا أعرف ذلك لأن الله يقول لك بأني قد اودعت في ضميرك عقلاً لكي تميز الحق عن الباطل .. ولا يمكنك ان تقول بأني كنت أخاف واخشى، لان الله عزوجل امرنا بان نخشاه هو فقط.

وان الآيات التي تليت من سورة النور تبين بأن الفتنة المهمة في حياة الانسان هي في هذا الاتجاه، اذ ان الانسان في اللحظات الحرجة فيما اذا اختلفت الاهواء، وتناقضت المذاهب واحتار الانسان في اختيار الطريق المناسب والصحيح فلابد ان يختار الطريق الذي يأمره به إمامه وقائده الديني، اي لا يبحث عمن تهويه نفسه، انما يبحث عما يأمره به دينه.

يقول ربنا في هذه الايات الكريمات .. **«إنما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون».**

لابد ان نتنازل عن اهوائنا، وعن شهواتنا وعن ما تريده انفسنا الى ما يريده الله، اي نبحث عن القسطاس المستقيم، وعن الفرقان والحجة بيننا وبين الله، والحجة هي كلام الله وسيرة الرسول، وطاعة من أمر الرسول بطاعته.

الاستبصار بالماضي والتقييم السليم :

«واقسموا بالله جهد أيمانهم»

هنالك من الناس من يسيرون مع الرسول (ص) ومع من هو في خطه ــ وهم العلماء العدول ــ يسيرون أنّى سارت مصالحهم، فاذا تغيرت توقفوا.

(الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على السنتهم يحيطونه ما درّت معايشهم فاذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون).

هذا قول ابي عبد الله الحسين (ع) وهو كلام يعبر عن معاناته العميقة التي نتحسس بها تحسساً اليماً.

بكل الوان الحلف واقسام القسم يحلفون بأننا مع الطريق الصحيح، اننا مع القيادة الاسلامية ومع هذا الخط :

«لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون».

طاعة معروفة .. ماذا تعني ؟

لا يمكن فصل الانسان عن ماضيه، ولا يمكن ان يولد في كل يوم مرة من جديد، انما الانسان لابد ان يتأثر بالعوامل السابقة، و بسلوكياته، و بالعوامل الاجتماعية، و بالخط الذي كان ينتمي اليه.

القرآن الحكيم يقول. ان هؤلاء الذين تأمرهم ثم يحلفون بأنهم يطيعونك ، فاذا أمرتهم بالخروج ساعة الحسم ينكلون و ينكثون ويخلفون وعدهم، ان هؤلاء كانت حياتهم وخطهم ومسيرتهم معروفة، وهذا هو خط المنافقين. فالمنافقون بدورهم يتربصون الدوائر بالمؤمنين، فاذا وجدوا مؤمناً ابتلي، لا يقولون ان هذا المؤمن ابتلي وقد يكون بلاؤه صحيحاً انما رأساً تنفجر السنتهم واقلامهم ضد كل المؤمنين، و يشفون غل صدورهم و يشيعونها بين الناس.

القرآن يشير الى ان امثال هؤلاء ينبغي معرفتهم بخطوطهم السابقة، لانه لايمكن للانسان ان يكون لفترة طويلة، في خط منحرف ثم مرة واحدة يصبح في الخط الصحيح و يأخذ عن رسول الله وعن الخط الرسالي دفاعاً مستميتاً .. هذا في الواقع لا يدافع عن الخط الرسالي. انما يدافع عن نفسه وعن مصالحه و يريد ان يصطاد في الماء العكر.

ابو سفيان مثل لهذا النوع من الرجال. فتراه يأتي الى الامام امير المؤمين علي ابن ابي طالب (ع) بعد وفاة الرسول (ص) و يقول له : ياعلي أمدد يدك لأبايعك . مع العلم بانه قائد عسكري، وراؤه جيش منظم وأقوى الجيوش العربية في ذلك اليوم باستثناء الجيش الاسلامي، وكان تاريخياً ينتمي الى بني عبد الدار. و بنو عبد الدار كانوا من الناحية الاجتماعية هم قيادة الجيش العربي الجاهلي في ذلك اليوم. أي قيادة قريش وهي قائدة لكل العرب.

و بيعة ابي سفيان للامام علي (ع) لو كانت تتم، فمعنى ذلك ان القيادة والسلطة تكون ظاهرية للأمام علي (ع)، لكن الامام (ع) عرف نية ابي سفيان. كيف ؟

هل كان يعلم الغيب .. بلى .. الأئمة كانوا يعلمون الغيب بالله، بقدر ما يريد الله، لكن هذا لا يحتاج الى علم الغيب. ابو سفيان الذي نبت دمه ولحمه وشعره و بشره ومخه واولاده من حرام في حرام. هل يمكن في لحظة واحدة ان يحترق قلبه على الامام علي (ع)

وعلى الاسلام، وعلى وصية الرسول و يصبح في خط الامام علي (ع) ؟

انما هناك حاجة في نفسه يريد ان يصل اليها.

وهنا تتبين درجة الأمام (ع) ومقامه وعصمته، وقداسته، وانه في اي مستوى وفي اي درجة عالية، فباشرة وقف والقى خطاباً بعد حمد الله والثناء عليه وقال فيما قال : **(ضعوا تيجان المفاخرة)** اي ما هذه المفاخرة التي تدعون بها وكل شيء تم على ما يرام، وتأتي الان وتقسم المسلمين، وتحطم البلاد الاسلامية، ثم تأتي وتطالب بالدفاع عني. رفض ذلك الامام (ع).

مع العلم ان الامام علي (ع) هو وزوجته المظلومة كانا يدوران على البيوت ليلاً و يستنصران الانصار، لكنه يرفض جيش ابي سفيان. لان خطه كان معروفاً.

«طاعة معروفة»

«قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليهم ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين».

القيادة أهم ما فيها حسم الصراعات والقضاء بين الناس بالحق و بالتالي فان اهم ما فيها ان تأتي في اللحظات الحرجة وتنقذ المسلمين في الوضع الحرج، وعلى المسلمين في هذه الاوضاع ان يلتفتوا الى القيادة ولا يتطرفوا فيمرقوا عن الدين، ولا يتخلفوا فيهلكوا، انما يكونون مع القيادة اينما كانت :

(فمعكم معكم لا مع عدوكم أني آمنت بسركم و علانيتكم)

فاذا وجدتم حركة رسالية في هذا المستوى فبشروها بالنصر لأن القرآن الحكيم يقول :

«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا».

انت بصفتك مؤمن اطع الله واستقم ولا تطغى في الارض، ولا تظلم أحداً، ولا تتطرف تطرفاً ضد هذا وذاك ، ولا تحسب الحسابات السياسية العاجلة، دع طريقك ياخذ مجراه باتجاه خط الانبياء، واذا سلكت هذا المنهج فان الله تعالى سينصرك .

الارض لمن ؟ والسماء لمن ؟ لمن الملك في السموات والارض ؟ لمن الهيمنة والقدرة والسلطان والحكمة ؟ والى من المصير؟ أوليس الى الله ؟ **«فأنى تصرفون».**

لابد ان نستقيم ولا ننظر الى هنا وهناك ، اننا ننظر الى واجبنا الشرعي، وهو ان نخدم الاسلام في اي مكان كان، و بأية وسيلة. المهم هو ان نسير في الاتجاه الصحيح، وان يرضى عنا الرب .. والبقية ليست مهمة، وحاشا الله ان يأمرنا بأمر فنطيعه ونتوكل عليه، و يعدنا بالنصر، ثم يخلف وعده «**وما ربك بظلام للعبيد**» «**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم**».

لو كان المؤمنون العاملون بالصالحات شجعاناً متوكلين على ربهم، ومطبقين هذه الآية. لما بقي أثر من الكفر في الأرض .. ولكن المشكلة في نفوسنا.

«**وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم**» اي ارتضى الله لنا دين الاسلام، وانه بحوله و بفضله وعدنا ونحن لا نطالبه بطلب بتاتاً.

«**وليمكنن لهم دينهم**» اي ان هذا الدين يتمكن و يسيطر في الارض سيطرة كاملة و يستقر.

واذا ثبت الدين وتمكن في الارض واستقر وتعمقت جذوره. فان هذا الدين سوف يكون لمصلحة العاملين في سبيل الله.

«**وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً**» بهذا التعبير يبين لنا الله بان مسيرتنا فيها مشاكل وخوف وسجون، استشهاد في سبيل الله ... لكن العاقبة اين تنتهي ؟

«**وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**».

من اعز ما يملكه الانسان واشرف نعمة واعظم كرامة له، انه يعيش في زمن وفي ارض يعبد الله وحده، وهذه النعمة تأتي نتيجة الخوف والتضحيات.

لنتبصر حكمة الوجود

«**ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون**»

بعد ان يُسقِط الله سبحانه وتعالى الطغاة، ويحطم الاصنام بيد المؤمنين، ويجعل الارض ارضاً طيبة، و يظهر اناس بدل ان يشكرون النعمة يكفرون بها، تأخذهم مذاهب الدنيا، و يفكرون في مصالحهم، وقضاياهم الشخصية.

والنتيجة التي يمكن ان نستوحيها من هذه الآيات الكريمة، ان علينا ان ننظر دائماً الى حكمة الوجود ولا نعيش في التمنيات والأحلام.

ان الله سبحانه وتعالى لم يخلق الدنيا لكي يجعل اهلها يعبدون الله جبراً أو كرهاً، انما خلق الملائكة هكذا، فهم يعبدون الله آلاف السنين في حالة ركوع وسجود، لكن الله تعالى يريد من البشر الامتحان. فعليه ان يسعى و يتحرك و يبذل الجهود لكي يحصل على حياة آمنة.

والآخرون يجب ان يمتحنوا و يفتتنوا و يبتلوا ليعرف مدى أيمانهم ومدى صدق أقوالهم، في حالات الرفاه ترفع الشعارات، لكن في حالة الشدة، لا يعرف من مع من، ولماذا؟ فنحن يجب ان نجعل دائماً أفق تفكيرنا أفقاً ربانياً اي من خلال نظرة الهية، و بصيرة قرآنية، وننتبه الى حكمة الوجود.

لا تلوم الله اذا انزلقت رجلك في الطريق وانت في ذهابك الى المسجد، لان بوقعتكم هذه سوف تحصل على ثواب مضاعف.

هناك مضمون حديث يقول: (عبدي المؤمن يدعوني فلا أجيبه لأول فيقول العبد لماذا يا رب وأنت أرحم الراحمين.. فيجيب الرب الجليل: لانني اريد ان يدعونني تكراراً ويحصل على ثواب الدنيا والآخرة..

قد يدعو الانسان ربه في حاجة والله سبحانه وتعالى يعطيه حاجته، ولكنه في المرة الثانية لا يدعوه او لا يدعوه من ضميره ومن اعماق قلبه، انما من طرف لسانه.

فاذا قلت يا الله من اعماق قلبك، فسوف تحصل ــ مثلاً ــ على مدن في الجنة، بينما الله عزوجل يريدك ان تحصل على العديد من هذه المدن فلذلك يؤخر استجابة دعائك هذا لتحصل على المزيد من فضله ونعمائه.

وربما أنا وانت ثوابنا قليل، وميزان الصالحات لا يزال خفيفاً فيما يرتبط بنا، والله يريد ان يثقل هذا الميزان. بماذا؟ عبر الابتلاء بالبلاء، كالدخول الى السجن والتعذيب والهجرة والمشاكل وما اشبه.

ان الايمان يزداد و يتعمق في حالات كهذه، والثواب في الآخرة يكثر ايضاً، وميزان الحسنات يكون ارجح واثقل من ميزان السيئات وعلى المؤمن ان لا يرفض قدراً من اقدار الله عليه.

قد تدخل السجن، وتعذب، وقد تفقد اعصابك أو تستشهد فذلك بلاء بسيط ولكن العياذ بالله من نار جهنم ومن عذاب الله وسجنه الرهيب.

الانسان لا تنتهي حياته هناك . **«كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب»**

والعذاب ايضاً لا ينتهي، فالمنحرف دائماً يتحسس بالالم. يقول الامام السجاد(ع) في دعائه: **(اذا كان دفعك للبلاء عني بين يدي عذاب شديد .. اللهم فقدم ما اخرت واخر ما قدمت، فغير قليل ما عاقبته البقاء، وغير كثير ما عاقبته الفناء).**

كلما كان في الدنيا قليل، لان الدنيا تنتهي والانسان ايضاً ينتهي، وكلما كان في الاخرة حتى لو كان قليلاً فهو كثير، لأنه لا ينتهي.

الرسول الاعظم سيدنا ونبينا محمد (ص)، ونحن نعيش هذه الايام ذكرى وفاته ــ في آخر ايام حياته ــ وهو حبيب الله، وحبيب المؤمنين ــ حتى الاعداء كانوا يحبونه لاخلاقه الفاضلة ولاحسانه اليهم ــ.

في تلك اللحظات الاخيرة من حياته وهو شديد المرض، اقعده المرض في البيت، اتكأ على ابني عمه، أتى الى المسجد، وصعد المنبر وودع امته، والناس يجهشون بالبكاء ثم قال لهم: بأني سوف ارتحل عنكم الى الآخرة فالذي له علي حق فليطالبني لانني لا أطيق ان اتحمل ذلك في الآخرة.

رسول الله، اشرف خلق الله هكذا يقول: فكيف بي انا وأنت.

يقوم شخص و يقول: يا رسول الله أنا لي حق عليك.

ما هو حقك؟

فيقول: يا رسول الله في الغداة الفلانية كنت تريد ان تضرب دابتك بسوطك المنشوق فوقع السوط عليّ.

قال هل تريد ان تعفو أو تقتص؟

قال: لا يا رسول الله أنا اريد أن اقتص..

فقال: بأي عصى.

قال: بالسوط المنشوق.

فأمر سلمان بأن يأتي الى فاطمة الزهراء(ع) و يأخذ ذلك السوط و يأتي به الى

المسجد. واذا بسلمان يبكي ... والناس كلهم يبكون، و يتوسلون بهذا الرجل ان لا يفعل بالرسول شيء.

الا أن الرجل أبى الا ان يقتص. يطرق سلمان الباب وقال: يا فاطمة اريد العصا الفلانية ــ وهو يبكي ــ فسألته فاطمة عما يبكيه فقال:

يا بنت رسول الله، ان رسول الله يودع الناس بالمسجد، وهو يطلب الناس ان كان لهم عليه حق ان يقتصون منه.

قالت: أَوَ يقتص من أبي ؟

قال: بلى ؟

فاجهشت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بالبكاء ثم ناولته العصا، فجاء بها الى الرجل.

فنادى الرسول (ص) ذلك الرجل: يا فلان كيف ضربتك وفي اي موضع من جسمك اصابتك عصاي.

فقال:

يا رسول الله (بطني).

فكشف رسول الله (ص) عن بطنه ليقتص الرجل منه، فبكى الرجل وقبل بطن رسول الله ... وقال:

يا رسول الله شلت يداي ان اقتصت منك. انما اردت ان اقبل موضعاً منك لم يقبله أحد. وأفتخر بذلك بين المسلمين.

انظروا الى هذا المستوى الارفع من القيادة، والى هذا المستوى العالي من الايمان.

دعونا نقتدي برسول الله (ص) ونفكر، وندع انظارنا الى القيامة، وهذه الدنيا انما هي معبر ان دامت لغيرنا دامت لنا، والا فلا.

لم تدم لسليمان، ولم تصفو للأنبياء والصديقين فكيف تصفو لنا.

الحياة كلها امتحانات، فدعنا نكون فيها اذكياء.

كيف نواجه التّحدّيات المضاعفة ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

«فلا تدعُ مع الله إلهاً آخر فتكون من المُعذبين * وأنذر عشيرتك الاقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إني بريئ مما تعملون * وتوكل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلبك من الساجدين * إنه هو السميع العليم *»

صدق الله العلي العظيم

(٢١٣ ــ ٢٢٠ من سورة الشعراء)

الآيات الكريمات من آخر سورة الشعراء تشتمل على برنامج عمل وصفات سلوك تتجلى في شخص الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (ص) ... وتحتوي على رؤية مستقبلية تكشف بصائر الحياة وسننها ... وتركز على كيفية تعامل القائد الرسالي مع تجمعه ... وتوضع منهج عمل الطليعة الرسالية مع المجتمع.

*** ١ ***

السلوك القيادي والطليعي

تتضمن هذه الفقرة ايضاح بعض السلوكيات التي ينتهجها القائد والتجمع الطليعي في مسيرتهم العملية للاصلاح الشامل، وهذه السلوكيات هي :ــ

١ ــ الحصانة الداخلية وليدة الاخلاص : ــ

ان اعظم صفة يتميز بها الرسالي صفة الاخلاص التام لإله الكون مقترنة بالتوحيد الخالص له عز وجل أولم يشر عز وجل الى ذلك بقوله **(فلا تدع مع الله الهاً آخر فتكون من المعذبين)** ... وقد تجلت هذه الفضيلة في تأريخ النبيين ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ لاسيما في قائدنا الاعظم محمد بن عبد الله (ص).

ولهذه المنقبة تأثيرات خارجية في حياة المؤمن ... برزت أهم آثارها في حياة الرسول الأكرم متجلية في قدرته على تحدي الضغوط ... لأن كل ضغط يتعرض له الانسان ينعكس بصورة أو بأخرى في ضميره على شاكلة الشرك بالله الذي يفرز انعكاسات معينة.

* فحين تخضع لهوى السلطة وضغطها ... لابد أن تتحسس في ذاتك بالذل أمام القوة والسلطة ، وهذا الاحساس بدوره يكون نوعاً من الشرك المسمى بالخفي. بل قد يتجاوزه الى الشرك الظاهر.

* وحين تخضع لتيار المجتمع، فإنك سوف تؤلهه بنسبة معينة تفرض عليك السير وراء ما يمليه عليك .

* وحين تخضع لقوة المال والثروة ؛ فإن ذلك يعني تقديس الثروة وملاكها.

إذن الخضوع لقدرة السلطة وقوة الثروة وتيار الاجتماع يعتبر شركاً بالله.

ولهذا نجد ان من ابرز صفات الرسل تحدي الضغوط وعدم الخضوع لها، انطلاقاً من إيمانهم بإله واحد هو الفعال لما يريد، الحاكم الحق وما دونه الباطل، القوي العزيز الجبّار. وهذا بدوره يجسد الصفات الخيرة في قلوبهم الطاهرة الزكية، زارعاً في ذواتهم تحقير السلطة والثروة والقدرة الاجتماعية، باعتبارها ساقطة في ميزان القوى بالقياس الالهي ... وانبعاثاً من ذلك نجد الرسول الأكرم يردد كلمته الرائعة حين جاءه أبو طالب مؤمن قريش داعياً اياه الا يتعرض لألهة قريش بسوء ... قال كلمته التي الهمت الرساليين الصمود عبر التأريخ :

(والله ــ يا عم ــ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله).

لأن القلب المتصل بينبوع التوحيد، والفؤاد المتنور باشعاع معرفة الله، لايأبه بالشمس ولا بالقمر... اذ أن اعتبارهما ساقط بوجود مسيّر لهما.

هذا هو الموقف الناشيء من المؤمن المخلص والمتحلي بالصيانة المتينة ازاء الضغوط. وبعكسه ــ تماماً ــ الانسان الخاضع لضغط المال أو السلطة أو المجتمع الذي يجني من خضوعه العذاب واشار القرآن الحكيم الى هذه العاقبة بقوله «**فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين**» والعذاب في الدنيا والآخرة فمن يخضع للمال يكون قد أشرك بالله... وعذابه بيّن يوم القيامة، أما في الدنيا فإن المال يضغط على الانسان و يصنع له انتماءاً مزيفاً.

٢ ــ إصلاح الاقرب فالأقرب : ــ

يتدرج البرنامج العملي الذي تطرحه الآيات المباركات، ليتولى تحديد سلم الاولويات عند العمل الاصلاحي ... فيقول في ذلك «**وأنذر عشيرتك الاقربين**» أي أن الرسالي يرفض الفساد المتعشش في مجتمعه الصغير ــ عائلته أو قومه ــ ... وقدّم رسول الله (ص) هذه الاولوية في بداية دعوته حين بلّغها عشيرته أولاً بكل صراحة بل بعنف... دون أن يخضع الى مصالحهم.

٣ ــ التواضع منهج حاكم بين المؤمنين : ــ

ان الرسالي الذي يقف كالجبل الأشم في مواجهة الضغوط الاجتماعية والسلطوية والمالية... تراه يخفض جناحه للمؤمين بل يتذلل لهم ... يشير الى ذلك سبحانه وتعالى في الآيات المتقدمات بقوله: «**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**» ان القوى الكبرى تُواجَه بالتحدي، بينما مع المؤمنين يُتَّخذ منهج الذلّة، الذي يعتبر عزٌ بين المؤمنين﴿وذلٌ في سبيل الله.

٤ ــ إعلان البراءة من الفساد الاجتماعي : ــ

لابد أن يعلن التجمع الرسالي البراءة من الفساد العريض المنتشر في المجتمع.. ولا يكتفي بالاعلان فقط، وانما يتبعه بالانفصال عن فساد المجتمع وتخلفه وسائر صفاته الرذيلة

التي يسير عليها ... وأكد القرآن الحكيم هذا البرنامج بقوله : «**فإن عصوك فقل اني برئ مما تعملون**».

٥ ــ التوكل على الله : ــ

إن الانسان الرسالي لا يعتمد على أية قوة مادية ... وانما يجعل سنده الاساسي القوة الغيبية ... ولهذا نرى ان الانبياء كانوا ــ احياناً ــ يعيشون قمة القوة، نبي الله سليمان ملك الرياح والجن والانس والذهب والفضة ... وقيل إنه صنع قلاع بعلبك ، وأحدث صرحاً بُني من زجاج ... إلا أنه مع وجود هذه القوة والقدرة والعلم شخَّص المعين الاساسي لمصائب الدهر ومشاكله وهو الاعتماد على الله. واشار العزيز الى ذلك بقوله : «**وتوكل على الله العزيز الرحيم**» و يقول الرسول الأكرم (**من أحب أن يكون اقوى الناس فليتوكل على الله**)[١] و يقول الامام علي (ع) (**التوكل على الله نجاة من كل سوء وحرز من كل عدو**)[٢] و يقول الامام الباقر : (**من توكل على الله لا يُغلب، ومن اعتصم بالله لا يُهزم**)[٣].

وهناك روايات عديدة تذم من يتوكل على غير الله ... يقول الامام الجواد (ع) (**من انقطع الى غير الله وكله الله اليه**)[٤] وقد اوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام أنه «**ما اعتصم عبد من عبيدي بأحد من خلقي دوني، عرفت ذلك من نيته، قطعت اسباب السماوات بين يديه وأسخت الارض من تحته، ولم أبال بأي وادٍ هلك**»[٥]

٦ ــ استدامة الاتصال بالله : ــ

إن الرسالي لا يكتفي بالايمان والمعرفة لله المؤقتة بزمن والمحدودة بحدود ... وانما يزيد من إيمانه عبر زيادة الصلة برب العباد ... فالصلاة مثلاً تتضمن في بعض مفرداتها الصلة

بمعرفة الله ونوره ... وفي البعض الآخر الخضوع والخشوع الذي قد لا يكون بعيداً عن معنى الصلة ... و يشير رب العزة الى هذا المنهج بقوله :

«الذي يراك حين تقوم * وتقلبّك في الساجدين * انه هو السميع العليم».

الصفات المتقدمة يحددها ربنا عز وجل كمنهج عمل وطريقة تحدي لما يواجهه الرسالي من أخطار... وحين تكون الامة في زوبعة من المشاكل، لابد أن تتوجه الى هذا البرنامج العملي ... تعلن البراءة من الاعداء، وتنفصل عن مفاسد المجتمع، وتنذر الاقربين، وتتخلص من مراكز الضغط بصورة مباشرة ... ثم تتوكل على الله، وتتصل به عبر الشعائر العبادية كالصلاة والصيام ... لتخرج من المشاكل منتصرة بكل قوة كما تخرج المعادن الثمينة من الارض بالبركان المتفجر.

** ٢ **

المجاميع الثورية تعيش تحدّياً مضاعفاً

بصفتنا مجتمعاً رسالياً متطلعاً الى تغيير الواقع الفاسد من أساسه وجذوره ... فإننا نعيش ــ اليوم ــ تحديات مضاعفة، أي لمّا أعلنا التحدي اسلوباً في محاربتهم، حاربونا بالتحدي ايضاً ... بتعبير آخر نحن نقوم بتحدٍ مركز... سببه قيام الاستكبار منذ سنتين أو اكثر بهجوم مضاد تجاه الموجة الاسلامية المتنامية في كافة انحاء العالم الاسلامي وغير الاسلامي ... في الصين مثلاً أوضح تقرير صادر قبل أيام : ان المسلمين هناك يقطنون مناطق حساسة ... وقد شرعوا في دعوة الناس الى الاسلام مما اسفر عن الدخول في دين الله أفواجاً أفواجاً.

والاستكبار العالمي يخاف من تصاعد الموجة الاسلامية، باعتبارها تهدد مصالحه الحيوية وتقصم استراتيجيته الجائرة بحق الشعوب والمعتمدة على مبدأ الاستغلال ونهب الثروات .. وقام تجاه الموجة الاسلامية بهجوم مضاد البسه غطاءاً دولياً باسم «محاربة الارهاب»، أو باسماء مختلفة ... وبدأت حلقة الصراع بالصغر الى ان وصلت اصغر حدودها ... فحاربتنا من كل مكان ... وهذه بعض الاحداث التي تدلل ذلك :ــ

* بعد مرور اكثر من عام ونصف على محاولة اغتيال أمير الكويت جابر الصباح،

اعتقلت الحكومة الكويتية مجموعة من الشباب المؤمن، والصقت في حقهم تهمة الاشتراك في تلك المحاولة .. مع العلم أن اجهزة الامن الكويتية اعلنت ـ آنئذ ـ بأن الذي قام بالعملية هو شخص واحد فقد حياته اثناء المحاولة، ولهذا نحن لا نملك خيطاً يدلنا على المشاركين فيها، الا انهم بين عشية وضحاها غيروا هذا السبب بغية اعدام مجموعة برئية بتهمة كاذبة.

* قبل أيام لاحقت الشرطة الفرنسية شاباً مؤمناً رسالياً ... الى أن وصل الى مجمعه السكني .. لاحقوه حتى الطابق السابع عشر والقوه من هذا العلو الى الارض، ففارقت روحه الزكية الحياة، وذهبوا به الى المستشفى للتغطية. هذا اسلوب جديد في الاغتيال، لانه لايدع الشك يراود احداً في أن الاغتيال تم بصورة مدبرة.

* قام المتواطئون مع الشرطة الايطالية وبمساعدة اجهزة الامن العراقية بملاحقة الدكتور أبو محمد، ودفعت به ارضاً من الطابق الثامن عشر، ففقد حياته ... انظروا الى بشاعة جرائم الاستكبار تجاه هذا الرجل الذي تجلت فيه بعض ملامح المنهج العملي المذكور في الفقرة الاولى من قبيل الانفصال عن المجتمع الفاسد والاستبصار بنور الله حيث ترك هذا الدكتور مركزاً حساساً يحتله في كندا، والتحق بالجمهورية الاسلامية في ايران هو وزوجته، ولقيا مشاكل الهجرة ثم صبرا وخدما حتى أن الدكتور أبو محمد اخترع مضاداً للاسلحة الكيماوية بصفته متخصصاً في الكيمياء ومدرساً في احدى الجامعات الكندية.

* قتل قائد القوات البحرية الفلسطينية في اليونان عبر طريقة معينة، توحي بأنه هو الذي انتحر باستخدام قنبلة يدوية يحملها ... أساليب الاستكبار هذه تنشأ في ظل التحدي المضاعف.

* في الفترة الأخيرة، استطاعت اجهزة الامن المصرية و بصورة مفاجئة اكتشاف ثلاث مجاميع فدائية في الاسكندرية في آن واحد ... وهذا مما يشير الى كذب الادعاء.

ففي ذات اليوم الذي ادعى النظام كشف مجموعة فدائية تخطط للسيطرة على الاذاعة ... في ذات اليوم بدأت أجهزة القمع الارهابية باقتحام عدة بيوتات في اسيوط تحسباً من ردود الفعل من قبل الجامعات المصرية التي ستقوم بثورة مضادة تجاه لقاء بيريز وحسني مبارك ... ان هذا الاكتشاف ليس الا مؤامرة جديدة تجاه المجاميع الثورية

الرسالية.

من بعض هذه الاحداث ونظائرها ... نستشف أننا نعيش تحدياً مع الاستكبار العالمي ... ماذا نصنع تجاهه ؟!

ينبغي أن نركز على مسألتين من البرنامج العملي المذكور.. هما جانب الانذار **«وانذر عشيرتك الاقربين»** وجانب التواضع **«واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين»** لان المسألة الرئيسية مرتبطة بطريقة معالجتنا للاحداث.

إن كل الامم تمر بمواقف عصيبة ... بعض الامم ينجحون في استخراج المعادن من هذه المآسي، و بعضهم يفشلون في الاستفادة ... لان المعول انما هو على طريقة معالجة الحوادث. والقرآن الحكيم يوجهنا إلى طريق واحد للمعالجة حيث يوجه نداءه للرساليين قائلاً :ـــ

اجعلوا معادلة العنف والبراءة والحقد المقدس منهجاً في مواجهتكم للطغاة واستجمعوا كل العطف والرأفة والرحمة ليكون حاكماً في تعاملكم مع الاخوة المؤمنين **«أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين»** .

(٥٤ ـــ سورة المائدة)

** ٣ **

متطلبات الصراع بين الدولة والحركات

ان اكبر خطأ يرتكبه الانسان هو خلط الاعداء بالاصدقاء.

كيف يكون ذلك ؟

سوف نبحث المسألة من وجهين :ـــ

الوجه الاول .. جانب الدول :ـــ

كل دولة في العالم يقع بينها و بين شعبها الطلاق ... فانها تسير في مرحلة التبعية للاعداء شيئاً فشيئاً ... حين تمتلأ السجون بالمعتقلين السياسيين، وتكبت الافواه الناطقة بالحق، وتقمع المعارضة قمعاً وحشياً، وتنمو في اجهزة الدولة مجموعة من المتملقين

الحاقدين على الشعب باسم المخابرات ... ان الشعب ــ طبيعياً ــ يرفض هذا النظام ... ولكن النظام وسعياً منه على إبقاء نفسه يتعلق بيد خارجية تنقذه من ورطته.

نشر الجنرال (هايزر) في مقالة له كتبتها احدى الجرائد الاجنبية عن مهمته التي كلفه بها الرئيس الامريكي جيمي كارتر لتهدئة الاوضاع في ايران قبيل انتصار الثورة الاسلامية ... كتب بكل صراحة عن ذعر العسكريين الايرانيين حيث كان وزير الدفاع بالوكالة (طوفانيان) والجنرال (ربيعي) يتوسلان لهذا المبعوث طالبين التدخل الامريكي لانقاذ الدولة من الثوار... على الرغم أنهم كانوا يتشدقون بالاستقلالية، والادعاء بامتلاك القوة والقدرة ... أصحاب سادس قوة برية في العالم.

ان كل دولة تعتمد على مخابراتها وتنهي دور القوى الشعبية ... سوف تتجه نحو مزيد من التبعية ... رغم أن الدولة تنهار بالتبعية، نعرف ذلك من دراسة تاريخ الدول، لأن التاريخ هو مصباح المستقبل وعين الانسان وهدى وعبرة لكل مؤمن. فالتأريخ أفضل مدرسة.

بين كل خمس وعشرين سنة، تسمح الحكومة البريطانية بالانتشار لوثائق سرية، تتضمن كيفية تعامل المبعوثين البريطانيين مع الشعوب في مصر والعراق والخليج، ولهذا فإني أدعو الاخوة الرساليين في كل مكان الى قراءتها مع الاطلاع على مذكرات كارتر ونيكسون وسائر الرؤساء في عالم الغرب، ليعرفوا كيف كان يتخذ الغرب اسلوب العنف كما يتخذ السيد ذلك المنهج مع عبده. وهذا يتكرر في عصرنا الحاضر حيث ترى مسؤولاً أمريكياً يطلب من قائد الرجعية السعودية فهد بن عبد العزيز دعم المعارضين لنظام نيكاراغوا ... فيقول له فهد بكل وقاحة : لبيك .

هذه هي آثار التبعية سياسياً ، أما الآثار المترتبة على التبعية، فإننا نلحظها بنظرة خاطفة الى اوضاع دولنا العربية والاسلامية..

* يثقل كاهل السودان ١٣ مليار دولار، كقروض جناها نميري في عهده.

* ثمرة حكم السادات ومبارك على مصر ديون قدرها ٣٢ مليار دولار، اضافة الى وجود الفقر والذلة.

* تركيا التي وقعت بكل أصابعها على وثيقة استعبادها في عهد أتاتورك ... بمحاولتها الابتعاد عن محيطها الشرق اوسطي، والالقاء بنفسها في أحضان الغربيين

لتنتمي اليهم ... تراها مثقلة بالديون والقروض.

ان الحكومات التي يجري الطلاق بينها و بين شعبها ... وتقمع قوى المعارضة وترهب المفكرين، لابد أن ترتمي في أحضان الاجانب بغية البقاء على هيكليتها الحاكمة.

الوجه الثاني .. جانب الحركات : ـ

الحركات الاسلامية التي تحمل سيوفها ضد بعضها عبر التقارير والمنشورات وتركز همها على تحطيم الطرف المقابل... نتيجتها الخضوع لحركات علمانية شاؤوا أم أبوا !!

ان الله عز وجل يبين بعض صفات المؤمنين في الآيات المتقدمات من قبيل **«واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين»** لأن الانسان لا يتمكن من توجيه الحراب الى جبهتين في آن واحد يضرب عدوه و يتنازع مع صديقه.

اشتملت سورة النور على آية يجب ان نقف عندها طويلاً .. الآية الكريمة تقول :

«وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم»

(١٥ ـ سورة النور)

اذا قتلت من تسير على خطه ـ المؤمن ـ وأكلت لحمه ... هذا ليس سهلاً، بل هو عظيم عند الله.

كتبت احدى الجرائد أن صاحب أحد المطاعم الصينية قتل عائلة مكونة من ثمانية أفراد، ثم قدم لحومهم للزبائن ـ انظروا بشاعة هذا العمل الوحشي ـ فهل تقف أمام محكمة العدل الالهية بسبب أكلك لحم أخيك الحرام ... وكأنك قمت بجريمة أبشع من جريمة صاحب المطعم الصيني !!!

وهل النصر يتحقق دون ترك هذه الصراعات ؟

ان النصر لا يأتي بالتأييد فقط ؛ وإنما يأتي بالنصرة.

«يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم»

(ـ سورة محمد)

انه عصر التكاتف

أننا لا نعيش عصر ما قبل التأريخ، وانما نعيش في عصر لابد من قراءة ميزاته

وادخال صفاته على اوضاعنا الخاصة، ومن أهم صفات العصر الذي نعيشه، أنه عصر تكاتف الجهود وتكاتف القوى ... فترى :

* شركة رأسمالها ٢٠٠٠٠ مليون دولار تندمج مع شركة أخرى رأسمالها ٥٠٠٠٠ مليون دولار، لأن التحديات التجارية أكبر من حجم رأسمالها، فيتكاتفان لمواجهة هذا التحدي.

* أو ترى قاموساً طبع هذه الايام في الصين، اشترك في كتابته وتأليفه ١٠٠٠٠٠ عالماً متخصصاً.

* اشتراك ٣٠٠٠٠٠ عالم في بعث «ابولو» الى القمر.

* اعظم ملياردير في العالم رجل امريكي «سافور لانتون» البالغ من العمر ٦٨ عاماً، يملك ٤,٥ مليارد دولار ــ أي مقدار ميزانية الجمورية الاسلامية في ايران لمدة ٤٠ سنة ــ استطاع هذا الملياردير ربح ٦٠٪ خلال سنة واحدة .. لأن رأس المال كلما كان أكبر؛ كلما كانت القدرة على التحدي أضخم.

اذن عصرنا يتميز بدمج القوى وتكثيفها تمهيداً لدخولها مرحلة التحدي ... باعتبار ان التحديات أكبر من قدرات مجاميع صغيرة متفرقة سواء في الاقتصاد أو الاجتماع أو الثقافة.

انتفاضة صفر.. والاستفادة المطلوبة

تمر علينا في مثل هذه الايام ذكرى انتفاضة صفر... الانتفاضة الفذة التي وقعت في عصرنا الحديث ... حيث اندفعت مجاميع من الشباب المؤمنين مشياً على الاقدام من النجف الاشرف الى كربلاء هاتفين (ياحسين) ومنادين بالويل والثبور لنظام صدام وزبانيته، وقد واجهوا اجهزة القمع في النجف الاشرف وفي مسيرهم الى كربلاء قدموا الشهداء والقرابين، وزاروا ضريح الامام الحسين (ع) ملهم الثوار معنى التضحيات والفداء، وعندما وصلوا الى ضريح ابي الفضل العباس اعتقلتهم اجهزة القمع بتعزيزات عسكرية قوية.

وبعد مرور سنوات على انتفاضة صفر، نتساءل : هل استثمرنا دماء هؤلاء الشهداء ؟

في الواقع .. اننا لم نستفد من هذه الانتفاضة ... لأن منهاج التحرك احتوى على بعض الثغرات، على الرغم من أنه يجب أن يكون في مستوى التحديات، لأننا حين نواجه تحديات بحجم الكرة الارضية، لابد ان يتسع حجم تحدينا الى هذا الافق. اما أن نقدم تنازلات بسيطة لتحقيق هذا الهدف، إنه لا تجدي شيئاً.

اننا مدعوون أكثر من أي يوم مضى الى معرفة مدى حلقة التحدي، وتحدي هذا الحصار يكون بمزيد من تطبيق منهج التحدي القرآني، نتذلل امام الاصدقاء، ونعلن البراءة من الاعداء ونتعاون بتكثيف الجهود، ونتكل على الله ليعطينا النصر بإذنه.

«ان ينصركم الله فلا غالب لكم»

عندما نجعل المأساة نصراً

بسم الله الرحمن الرحيم

«ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون * والذين هم بآيات ربهم يؤمنون * والذين هم بربهم لا يشركون * والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون * ولا نكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون »

صدق الله العلي العظيم

(٥٧ ــ ٦٢ المؤمنون)

الآيات القرآنية الشريفة الآنفة الذكر تحوي بين طياتها صفات مثلى لا يبلغها إلا المؤمنون ، بل الصديقون منهم فقط .

ذلك ان للكمال درجات ومراحل ، وقليل من الناس يتمكنون الوصول الى بعضها .. فاذا ما توفر في شخص معين الجود والكرم والسخاء فهي صفات نادرة الوجود ، وان اتصف آخر بالشجاعة والبطولة والاقدام فهي الاخرى سمات قلّما يتصف بها الناس ، واذا تميز ثالث بالاريحية والعفو والتضحية فهي أيضاً قليلة الوجود .

أما اذا توفرت جماع هذه الصفات في شخص واحد ، فاننا لا نحكم عليه بالقلة فقط ، وإنما هو نادر و يكاد يلحق بالعدم .

ومن معاجز الايمان ، وآيات الصدق في رسالات الله عزوجل ، و بالتالي آيات صدق

رسل الله الى البشرية ، انهم صنعوا أناساً بلغوا أعلى مراحل الايمان ، وتوصلوا الى أسمى درجات الصفات الحسنى .

فرسول الله ومبشر الانسانية محمد بن عبد الله (ص) ، بالاضافة الى أنه إعجاز الرسالة الإلهية ، وإنّ حياته ــ الشخصية منها والاجتماعية والسياسية ــ تعتبر من أسمى آيات الكمال والجمال والجلال .. فان تربيته لشخص كالامام علي (ع) بدورها كانت آية وحجة على صدق الرسالة ، لذلك قال بعض العلماء بأن علياً (ع) كان معجزة الرسول (ص) .

وحينما نتلو بعض الآيات الذكر الحكيم التي تستعرض بعض صفات المؤمنين العليا ، يزعم البعض من أصحاب العقول الضيقة بأنها مجموعة تمنيات لا تتحقق إلا في عالم الاحلام .

ولكن لو عدنا الى التاريخ ، وقرأنا سيرة الانبياء العظام والائمة الاطهار ، لا بل العلماء والصالحين ، فاننا لسنا فقط سنعرف صدق هذه الآيات ، وإنما أيضاً نزداد إيماناً وتصديقاً برسالات الله سبحانه وتعالى ، التي صنعت هذه النماذج العظيمة .

المعرفة وبرنامج الخشية من الله :

يقول تعالى :

« ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون »

أي ان قلوبهم وجلة ، ونفوسهم مليئة بالخوف ، قد انتشرت في أرجائها الخشية من الله سبحانه وتعالى .

وقد ورد في الحديث عن الحارث بن المغيرة أو أبيه ، عن أبي عبد الله (ع) قال : قلت له ما كان في وصية لقمان ؟ قال : « كان فيها الاعاجيب ، وكان أعجب ما كان فيها ان قال لابنه : خف الله لو جئته ببر الثقلين لعذبك ، وأرج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك »[1]

ان هذا المستوى من الرجاء والخشية من رب العالمين ، إنما هو بسبب معرفة الله .

---

(١) الصياغة الجديدة ــ ص ٢٩٣ .

ونحن حينما لا نتحسس في أنفسنا خشية الباري عزوجل ، فلاننا لم نؤت معرفة الله ، ولم نصل في معرفتنا به الى أدنى حدودها .

أما العارفون بالله ، الذين تمكنوا من الوصول الى ذلك النور البهي ، فانهم لا يتكلفون الخشية ، لانها تصبح جزءاً من ذاتهم .

ومن يعرف جلال الله وعظمته وقدرته وأسماءه الحسنى ، و يتصل قلبه بنور الله ، فإنه لا يتمكن إلا أن يذوب في العبادة ذوباً ، و يشتاق الى تأدية الصلاة اشتياق يعقوب الى يوسف .. ذلك ان قلبه المليء بمعرفة الله عزوجل لا يدعه يرتاح و يسكن الى هذه الدنيا الدنيّة ، فتهجده بالليل، وصومه عن ملذات الدنيا ، وزهده ورغبته في الآخرة تصبح جزءاً لا يتجزأ من ذاته .

لقد ذكر المؤرخون في تصنيفهم لتأريخ الفتوحات الاسلامية ، بأن رجلاً أسره المسلمون في حملتهم على بلاد الروم ، قال مخاطباً بعض القيادات الاسلامية : الى ماذا تدعون ؟ ولماذا تبذلون دماءكم في سبيل هدفكم ؟ فأجابوه بأننا ندعو الى الله .

فاستفسر : من هو الله ؟ فتحدثوا له قليلاً و باختصار عن صفات الله وآيات معرفته . ثم تركوه .

وحينما جاء وقت الطعام ودعوه للاكل ، رفض .. ثم دعوه الى النوم ، رفض أيضاً ..

و بقي لمدة ثلاثة أيام ، كلما دعوه الى طعام أو شراب أو راحة ، أبى ، لانشغاله بعبادة الله وطاعته .. وقال مبرراً لموقفه هذا : ــ ان الله رب السموات والارض يرانا ويحيط بنا من كل جانب .. فكيف أنام أو آكل وأشرب في حضرة رب العالمين .

واستمر على هذه الحالة ، حتى التحق بالرفيق الاعلى ــ رحمة الله عليه ــ .

ان هذه الحالة تنسجم مع طبيعة المعرفة ، و بالتالي فهي سنة الله في معرفة الانسان بربه .. لذا نجد الآية الكريمة تصف المؤمنين بحالة الاشفاق :

« ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون * والذين هم بآيات ربهم يؤمنون »

اذا بصروا آية من آيات الله ، فانهم لا يمرون عليها مرور البسطاء ، ولا يعرضون عنها اعراض الجاهلين ، إنما يتعمقون فيها و ينظرون من خلالها الى وجه الله الكريم .

« والذين هم بربهم لا يشركون »

توحيد الله سبحانه لا يعني مجرد الامتناع عن السجود للاصنام ، وإنما له آفاق أخرى ، فلا تحب أحداً إلا في الله ، ولا تبغض آخر إلا في الله ، وتتسع هذه المعادلة لحالات الطاعة والخضوع للآخرين ، حتى تصل الى ابتعاد الانسان عن مختلف أنواع الضغوط والشهوات التي تعترضه في حياته .

عن أبي العباس قال : « سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أدنى ما يكون به الانسان مشركاً ، قال : فقال من ابتدع رأياً فأحب عليه أو أبغض عليه »[٢]

« والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون »

من الصفات الحسنة عند المؤمن ، انه ينظر دائماً وأبداً ان عطاءه قليل بالنسبة الى الجزاء الذي ينتظره .. ثم من يقول بأن عطاءه مقبول ، وان ما عمله في سبيل الله جاز كل الحجب والحواجز اللازم مرور الاعمال عبرها ، فالصلاة ــ مثلاً ــ تمر عبر سبعين حجاباً ومركز تدقيق لينظر في حقيقتها .

وقد ورد عن الامام الباقر (ع) قوله :

« ان من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها الى العشر ، وان منها لما يلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها ، وإنما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك »[٣]

ولذلك فالمؤمن مهما سهر الليالي في التبتل ، وأجهد نفسه في طاعة الله ، فانه لا يجد في عمله ما يتناسب ورحمة الله وعظمته .

« أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون »

فيما يتعلق بالنصيحة ، هناك أناس بمجرد أن تقدم لهم مجموعة من النصائح يتحركون و يتفاعلون معها ، واذا ما تركتهم وجدتهم كالمسمار المثبت على الارض .. بينما البعض الآخر من الناس ، من اذا أهديت اليه نصيحة تجده يثور و ينطلق كالرصاصة حينما تنطلق من فوهة البندقية ، وكما الصاروخ الموجه حينما يثور من منصته .. فهو لا يمكن أن يثور إلا لوجود متفجرات في رحمه ، وكذلك الرصاصة لا تنطلق

---

(٢) الكافي ــ ج ٢ ص ٣٩٧ .

(٣) بحار الانوار ــ ج ٤ ص ٢٦٠ .

إلا لوجود بارود يهيجها .

وكذا المؤمنون الذين يعيشون خشية الله قلوبهم ويمتازون بروحية الاشفاق خشية أن لا تقبل حسناتهم ، تراهم يسارعون في الخيرات .

وهل يدل ذلك على ان الله الرحيم بعباده يهدف انهاك الانسان ؟

كلا .. فهو يقول :

« ولا نكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون »

« السجاد » قلب خاشع وروح عظيمة :

ونحن إذ نتلو هذه الآيات الشريفة ، تتجلى أمامنا سيرة الامام السجاد (ع) ، باعتبارها تجسيداً للقرآن ، ومثلاً حيّاً لآيات الذكر الحكيم ..

ان هذا الامام العظيم كان مثلاً يحتذى به منذ نعومة أظفاره .. ففي ذات يوم ــ كما نقل الرواة الثقاة ــ عندما كان الامام في السابعة من عمره ، مرّ به رجل وهو واقف بجنب مجموعة من الاطفال يلعبون و يلهون .

فقال الرجل في نفسه لعل هذا طفل يتيم ، فذهب واشترى له بعض أدوات اللعب ، ووضعها بين يديه ليشارك الاطفال في مرحهم .

إلا أن الامام نظر الى هذا الرجل نظرة غاضب ، قائلاً :

« أم حسبتم إنما خلقناكم عبثاً وإنكم الينا لا ترجعون »

ثم بكى بكاءاً شديداً ووقع مغشياً عليه .. فاندهش الرجل من هذا الموقف ، و بينما هو كذلك اذا هو بمجموعة من النساء يخرجن من بيوت قريبة ، ويحطن بهذا الرجل ويحملنه الى الدار .

فسأل الرجل عن هذا الطفل ؟ .. واذا بالجواب يدغدغ مسامعه : هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) .

ان هذا الامام الذي كان منذ سنّه المبكر يعيش معرفة الله عزوجل ، حتى لو كانت طبيعته كطفل ، إلا أن معرفته بالله كانت تمنعه عن اللعب واللهو .

لذا فأنتم أيها الرساليون ، يامن تحملون رسالة ثقيلة حملها قبلكم آلاف من الانبياء والصديقين ، وتسيرون على خطى علي بن الحسين (ع) .. حاولوا أن تكيفوا أنفسكم بقدر

المستطاع مع خط الائمة الاطهار (ع)، ولا تكتفوا بالدرجات الدنيا من الجنة، بل اطمحوا الى أعالي الدرجات.. ولن تبلغوها إلا بعد أن ترسموا أمامكم خريطة مستوحاة من سيرة آل البيت (ع)، و بالذات من حياة الامام زين العابدين (ع).

يقول الاصمعي: كنت أطوف حول الكعبة في ليلة من الليال، فاذا شاب ظريف الشمائل وعليه ذؤبتان، وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: «نامت العيون وعلت النجوم، وأنت الملك الحي القيوم غلّقت الملوك أبوابها، وأقامت عليها حراسها، و بابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر اليّ برحمتك ياأرحم الراحمين» ثم أنشأ يقول:

يامن يجيب دعا المضطر في الظلم ... ياكاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت قاطبة ... وأنت وحدك ياقيوم لم تنم
أدعوك رب دعاء قد أمرت به ... فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان عفوك لا يرجوه ذو سرف ... فمن يجود على العاصين بالنعم

قال فاقتفيته فاذا هو زين العابدين عليه السلام(٤).

وقال طاووس الفقيه: رأيته يطوف من العشاء الى السحر و يتعبد، فلما لم ير أحداً رمق السماء بطرفه، وقال: الهي غارت نجوم سمائك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدي محمد صلّى الله عليه وآله في عرصات القيامة، ثم بكى وقال: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سوّلت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به عليّ، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ و بحبل من أعتصم ان قطعت حبلك عني؟ فواسوأتاه غداً من الوقوف بين يديك، اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا، أمع المخفين أجوز؟ أم مع المثقلين أحط؟ وَ يلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولَمْ أتب، أمَا آن لي أن أستحي من ربي؟ ثم بكى وأنشأ يقول:

---

(٤) بحار الانوار ـ ج ٤٦ ص ٨٠.

أتحرقني بالنار ياغاية المنى فأين رجائي ثم أين محبتي
أتيت بأعمال قباح زريّة وما في الورى خلق جنى كجنايتي

ثم بكى وقال : سبحانك تعصى كأنك لا ترى ، وتحلم كأنك لم تعص ، تتودد الى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة اليهم ، وأنت ياسيدي الغني عنهم ، ثم خرّ الى الارض ساجداً ؟ قال : فدنوت منه وشلت برأسه ووضعته على ركبتي و بكيت حتى جرت دموعي على خدّه ، فاستوى جالساً وقال : من الذي أشغلني عن ذكر ربي ؟ فقلت : أنا طاووس ياابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع ؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون ، أبوك الحسين بن علي وأمك فاطمة الزهراء ، وجدك رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟ قال : فالتفت اليّ وقال آ هيهات هيهات ياطاووس دع عني حديث أبي وأمي وجدي خلق الله الجنّة لمن أطاعه وأحسن ، ولو كان عبداً حبشياً ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشياً أما سمعت قوله تعالى : **« فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون »** والله لا ينفعك غداً إلّا تقدمة تقدمها من عمل صالح »[٥] .

وقال عنه ابنه الباقر عليه السلام :

« كان علي بن الحسين يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وكانت الريح تميله بمنزلة السنبلة ، وكانت له خمسمائة نخلة ، فكان يصل عند كل نخلة ركعتين ، وكان اذا أقام في صلاته غشي لونه لون آخر ، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل »[٦]

وعن عبد الله بن محمد القرشي ، قال : « كان علي بن الحسين (ع) اذا توضأ أصفر لونه ، فيقول له أهله : ما الذي يغشاك ؟ فيقول : أتدرون لمن أتأهب للقيام بين يديه ؟ »[٧]

وقال أبو جعفر عليه السلام :

---

(٥) بحار الانوار ــ ج ٤٦ ص ٨١ .
(٦) بحار الانوار ــ ج ٤٦ ص ٨٠ .
(٧) الارشاد ــ ص ٢٧١ .

« إن أباه علي بن الحسين عليه السلام قاسم الله ماله مرتين »[٨]

كما ذكر عمرو بن ثابت : « لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون الى آثار سواد في ظهره وقالوا : ما هذا ؟ فقيل : كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهرت يعطيه فقراء أهل المدينة »[٩]

كل ذلك مع انه كان يقود ثورة ، وكان يربي في كل سنة ألف إنسان ! .

ولو نظرنا الى تلامذته من العلماء والمخلصين لوجدناهم يسيرون حسب المنهج ذاته ، فها هو أحدهم اذا ذكر عنده الموت ارتج به البكاء .. واذا قيل له : لماذا تفعل ذلك ، فأنت عالم وزاهد في الدنيا ، قوّام الليل وصوّام النهار ، أجاب قائلاً : ومن يقول بأن الله يرضى عني .

وكان أحد العلماء يكتب نصائح لنفسه ، و يسجل فيها ذنوبه ، و يعود اليها بين الفترة والاخرى ليرتدع عنها .

ونحن إذ نعيش في مستوى تلامذة هؤلاء العلماء ، فلابد أن نسير في هذا الاتجاه ، ونقتفي هذا النهج .. ومن كانت علاقته بر به هكذا اختاره الله لدور شبيه بدور الامام زين العابدين (ع) ، ولا قياس بين الائمة فكلهم نور واحد ، إلا أن لكل واحد منهم سمة تميزه عن باقي الائمة الآخرين (ع) .

« السجاد » ومسيرة الثورة العظيمة :

ان أي قلب من قلوب البشر كان يلاحظ عن قرب تلك المذبحة الرهيبة ، والمأساة التي لم ولن يوجد مثيل لها في التاريخ ، ينهار مباشرة .

إلّا أنّ هذا القلب الحنون المليء بالوقار والخشية من الله ، في اليوم الثالث عشر من المحرم ، حين أخذ أهل البيت أسارى الى الكوفة ، وجيء اليه بسلسلة ليقيد بها .. بكى ..

فقيل له : يا ابن رسول الله مم بكاؤك .. فأجاب : بكائي ليس من هذه السلسلة ،

---

(٨) البحار ـ ج ٤٦ ص ٩٠ .

(٩) حلية الاولياء ـ ج ٣ ص ١٤٠ .

إنما من سلسلة أخرى ذرعها سبعون ذراعاً يسلك بها العصاة في نار جهنم .

ان هذا القلب جدير بأن يكون وصياً لرسول الله (ص) صدقاً ، وأهلٌ لان يكون حاملاً لدماء الشهداء فعلاً . ولنا في هذا الجانب من حياة هذا الامام العظيم ، أسوة حسنة .

ذلك وقبل كل شيء يجب أن نعرف بأن ولادة الامة تكون في اللحظات الحرجة ، فولادة الامم ليست كولادة الاطفال الطبيعية .

ان ولادة الامم لابد أن تمر بمخاض عسير.. وحسب التعبير الدارج « ولادة قيصرية » .

ان هذه الولادة لا تنبثق إلا من رحم المأساة ، والامة لا تنمو إلّا في ظل السيوف ، وعلى بحر من الدماء .

لذا فان القادة الذين يواكبون نمو الامة وولادتها ، لابد أن يكونوا روّاداً تأريخيين ، وقادة متميزين ، لا تهزهم المشاكل ، ولا تهدهم العواصف التي تهب على الامة ، ولا يأبهون بالمآسي التي يمرون بها .

يقول الامام علي (ع) :

« من ركب مركب الصبر اهتدى الى مضمار النصر »(١٠)

بعد استشهاد أبي عبد الله الحسين (ع) في ظهيرة يوم عاشوراء ، كان جميع الناس يزعمون بأن الرسالة انتهت باستشهاده ، بينما كان العكس هو الصحيح ، ففي ذلك اليوم كانت الولادة الجديدة للاسلام تصديقاً لقول النبي (ص) :

« حسين مني وأنا من حسين »

كان ذلك من جهة ، ومن جهة أخرى كان الامام زين العابدين بأيمانه التام ، ومعرفته الحقة بالله سبحانه وتعالى ، قائد تلك المرحلة ، لذلك تجده يقود بنفسه ثورة روحية ، بالاضافة الى توجيهه ثورات أخرى سياسية ، من بينها ثورة التوابين ، وثورة المختار الثقفي وعشرات غيرها .

ولا يمكن قياس ذلك بأي امام آخر ، لان الامام زين العابدين (ع) لم يقد ثورة

---

(١٠) بحار الانوار ـ ج ٧٨ ص ٧٩ .

سياسية وثقافية فقط ، إنما قاد ثورة عظيمة ، هي ثورة الروح ، روح الايمان ضد الكفر ، والتقوى ضد اللاأبالية .. وأبرز ما لديه « الصحيفة السجادية » ذلك الكتاب المعطاء الذي يغذي في النفوس روح التقوى والخشية من الله .

و بدوره (ع) كان يربي الموالي وكان يحول الواحد منهم من رجل عادي الى كادر وقائد رسالي، وعالم وفقيه ، و بالتالي الى مفجر الثورات ، وهذا ما تعنيه ثورة الروح .

ان الثورات لا يمكن أن تنمو بالكلام ، فالامام زين العابدين (ع) لخص رسالة الله حينما حوّل عبداً من عبيده خلال سنة كاملة الى انسان يعيش المعرفة الالهية ، يقوم الليل و يصوم النهار، دائم البكاء ، زاهد في الدنيا ، يوزع على الناس أفضل ما يحبه ، ثم يعيش هو على جشب من الطعام ، والخشن من الثياب .. وذلك دليل على ان روح الامام كانت تؤثر فيه قبل الكلام .

وعلى مثل هذا المنهج سار الامام ، فقد نفخ الروح في أمّة كادت تموت ، وزرّق التعاليم الحيّة في حضارة شارفت على الانهيار، ولذلك استقامت .

الولادة وضرورة المخاض العسير:

ان قسماً من الناس حينما يجد هذه المشاكل الضخمة في الامة ، و يلاحظ سقوط طائفة من الشهداء ، و يعيش تسلط نظام طاغوتي يبدأ باعدام الناس وتهجيرهم بالقمع والارهاب . ينهار مباشرة .

بينما ينبغي أن يكون العكس هو الصحيح .. فحينما يستشهد أخ لك ، فأعلم بأن رسالتك قد ولدت من جديد ، وان تلك القيم التي ناضلت من أجلها بدأت تثمر ، و واجبك الاستفادة منها .

أمّا أن نأتي على قبر الشهيد ونبكي ونحزن عليه فقط ، فهذا ليس خسران لدم الشهيد فقط ، إنّما هو أيضاً خسران وتضييع لفرصة ذهبية مؤاتية تفضّل الله بها علينا ، لكنا نسيناها .

وذلك تماماً ما عانته القضية العراقية ، ففي عام ١٩٨٠ حينما نزى صدام على كرسي السلطة بتأييد الاستكبار العالمي ، و باشر باستخدام أساليب القمع والارهاب ، وشنّ حرباً عدوانية على الجمهورية الاسلامية .. آنئذ زعم الكثير بأن الاسلام قد انتهى في

العراق .

إلّا أن المؤمنين الرساليين كانوا يأخذون بحقيقة أخرى ، إذ أن دماء الشهداء أمثال الشهيد الصدر والشيرازي والشهداء الآخرين من العلماء والمفكرين وأبناء الحركة الاسلامية ، هي التي سوف تخلق فرصة لنمو الاسلام من جديد .

ان أبناء العراق آنذاك كانوا يخشون من النظام ، فلا يؤدون فرائضهم الدينية في المساجد ولا يقرؤون المنشورات التي كانت توزع من قبل أبناء الحركة الاسلامية ، لدرجة ان الاب كان يتبرأ من ابنه اذا انخرط في سلك العاملين في سبيل الله .

ان هذا الاسلام اسلام أهل الكوفة وتشيّعهم ، قبل أن تنفخ فيهم روح الشهادة .

يقول الله تعالى في عرضه لقصة أصحاب الاخدود :

« وشاهد ومشهود * قتل أصحاب الاخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »(١١)

فان تجلس وتشهد ما يجري على المسلمين ، ثم تسكت ولا تنتفض ، فهذه جريمة خطيرة ، ولعلها تكون أخطر من جريمة المساهم في بعض الاحيان .

أما الآن ، و بعد ان سقت دماء شهدائنا من العلماء والمفكرين ، وأبناء الحركة الاسلامية ، والرساليات من بنات الامة النجيبات ، شجرة الاسلام في العراق ، فإن الاسلام أصبح اسلاماً آخراً ، لا يخشى تعنت الطغاة .

اسلام تلك الام التي يصبح زوجها فريسة المعتقلات ، و يرزق ابنها الاول الشهادة ، والآخر يستشهد في عملية نفذها في بغداد ، ثم تخرج من بيتها وتحرض الناس ضد الظلم وتعتقل .. و بالتالي بيت بكامله ينتهي ، ليبنى بيت الاسلام الشامخ . وهذا هو الاسلام المحمدي .

ان وجدتم حالة من حالات التضحية في الايام العسرة التي تمر بها الامة ، فترقبوا رحمة الله تعالى ، فرحمته إنما تنزل في اللحظات الحرجة ، والولادة الحقيقية إنما تكون في وقت تشعر فيه الامة بمخاض عسير وصعوبات لا تطاق .

---

(١١) البروج (٣ ـ ٧) .

حينما تفجرت بناية الحزب الجمهوري ، وذهب ضحيتها قيادات الثورة الاسلامية والمسؤولون الكبار من العلماء والوزراء ، كانت مأساة فظيعة جداً .. ولكن بعد ساعات و بسبب صمود القيادة الاسلامية في ايران وتحديها ، واصرارها على ضرورة تحويل المآسي الى انتصارات وفتوحات ، وجدنا ان استشهاد أولئك النخبة من العلماء فتح أمام المسلمين باب الرحمة الربانية ، واذا بالاسلام الحقيقي والخط السليم تكرس في الجمهورية الاسلامية ، بينما الخطوط الاخرى انهارت ، وتصاعدت المسيرة في كل البلاد الاسلامية .

وكذلك حينما حدثت مأساة قريبة منها في البحرين ، أعتقل فيها ثلاثة وسبعون مجاهداً من خيرة أبناء الامة ، واستخدم في حقهم أشد أنواع الارهاب .. حينئذ زعم البعض بأن الاسلام قد انتهى باعتقال هؤلاء .

ولكن حينما صمد هؤلاء وتحدوا أزلام النظام ، لا بل وقالوا للجلادين : أنتم أصبحتم المسجونين اليوم ونحن على رؤوسكم ، ثم حينما ضاعفوا من عبادتهم وصمودهم .. فان القضية تبدلت ، والاسلام انتشر وتعمق أكثر في نفوس الناس .

بالنتيجة ، علينا في حالات التضحيات الكبيرة أن نبحث عن رحمة الله ، أي نحول كل مأساة الى انتصار جديد ، وذلك لا يكون إلا عبر تلك القيادات الرسالية المؤمنة ، الصادقة التي لا تنهار قبل المآسي ، إنما تقف صامدة وتواجه الصعوبات ، و بالتالي تحول الكوارث الى انتصارات .

وهذه النفوس العظيمة لا يمكن بناؤها إلا في ظل الاسلام ، وتحت ظلال الصفات المثلى للمؤمنين ، صفة التحدي ، والاشفاق ، والمسارعة الى الخير .. والامام السجاد مثل أعظم لهذه الصفات .

هكذا نبني الوحدة

الوحدة لا يمكن أن تتم إلا عبر المؤسسات الاجتماعية النظيفة ، ثم تنتقل هذه الوحدة الى الجماهير، و بالتالي تتساقط الأنظمة كأوراق الخريف . لذلك أمرنا ربنا بالوحدة وقال :

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . (١٠٤/آل عمران)

لتكن في الامة الاسلامية قنوات نظيفة لتوحيد الطاقات ، ولتعمل هذه القنوات على توحيد الصف ، ولتكن واسطة خير في نشر رسالة السماء ، وهذه القنوات حسب مفهومنا الحديث هي الحركات الاسلامية التي عبر توحدها تتوحد الأمة ، لان هذه الوحدة هي مقدمة لوحدة الجماهير التي يستبعد أن تتحقق إلاّ عبرها ، وهي بديلة عن وحدة الانظمة التي تضر كثيراً ولا تنفع .

وهنا نتساءل لماذا لم تتوحد الحركات الاسلامية حول محور واحد ؟

إن ميثاق الله سبحانه وتعالى أخذ على كل من أوتي علماً و بصيرة أن يبينه للناس ولا يكتمه ، فاذا رأوا قائداً منحرفاً قاموا ضده ، وإذا رأوا قائداً إسلامياً تناسوا أنفسهم ، وارتفعوا عن الحواجز والفوارق ، وسارعوا في توحيد الطاقات ، القائد بينهم كالرسول أو خليفته . كيف لا والرسول يقول :

« العلماء ورثة الأنبياء »

إن مسؤولية الحركات الاسلامية لم تكن في يوم من الايام نشر الفصام والخلاف بين أبناء الامة الواحدة، وتكون سبباً للتفرقة العنصرية والطائفية والقومية كانت مسؤوليتهم الكبرى أن يربوا الامة و يعلمونهم كيف يرفعون من مستوياتهم و يعطونهم الامل والرؤية الواضحة وليس الهدف المرسوم لهذه الحركات ان تدعوا الناس الى نفسها، بل تدعوا الناس الى الله عبر توحيد الامة.

الرؤية الاستراتيجية أحد أهم مظاهر التقوى. بشرط أن تكون قائمة على أساس تعاليم الله سبحانه.

وخلال خمسين عاماً لا أقل كانت الحركات الاسلامية تجاهد من أجل إقامة حكومة إسلامية، وتصارع اليأس في قلوب الملايين فبعد أن إنتصرت الثورة الاسلامية نشرت لواء الامل فوق ربوع المسلمين جميعاً. و بالطبع هذه الثورة كانت تمتلك رؤية إستراتيجية واضحة وإلاّ لما التف حولها المؤمنون، وتفيؤا ظلالها، وتفاعلوا معها.

لماذا لم نحقق الامل بصنع حكومة إسلامية ؟.

لم نحقق ذلك لأننا تصورنا بأننا أكثر فهماً للاستراتيجية من الاسلام، وتصورنا بأن الاسلام لا يعطينا رؤية إستراتيجية، وان القرآن لا يعطينا خطط العمل، ولا أشك بأن الحركات الاسلامية لم تكن تحمل التقوى في تعاملها الداخلي أو في تعاملها مع الحياة كما لا أشك في ايديلوجيتها ، ولكن الخطأ الذي وقعت فيه الكثير من الحركات هو الاستراتيجية.

لا يزال الوقت في صالحنا والفرصة لن تنته بعد في أن نتوحد ونصحح إستراتيجيتنا على حسب ما يرسم لنا القرآن.

الجهاد دعوة
الى الحياة الكريمة

بسم الله الرحمن الرحيم

«يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه إليه تحشرون * واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب * واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون * يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون * واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة وان الله عنده أجر عظيم * يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم».

صدق الله العلي العظيم

(٢٤ ــ ٢٩ سورة الأنفال)

لعل من أروع الادعية الرجبية التي تستحب قراءتها في شهر رجب الاصب والادامة عليها ، هو الدعاء الذي ينتهي بهذه الفقرة الرائعة (اللهم فاهدني هدى المهتدين ، وارزقني اجتهاد المجتهدين ، ولا تجعلني من الغافلين المبعدين ، واغفر لي يوم الدين) .

ان هذا المقطع من الدعاء فيه خلاصة لكل تطلعات الانسان السليمة والسامية .

الهداية عطاء الهي :

بداية كل خير ومفتاح كل صلاح ، هو الهداية ، لان الذي لا يعرف الطريق القويم

سيختار طريقاً لا يزيده السعي فيه إلا ابتعاداً عن أهدافه .. وهذه الهداية لا تتحقق إلا بأمر الله ، لان عقل الانسان ــ مهما أوتي من خبرات ذاتية أو زاد عليها من تجارب الآخرين ــ سيظل أعجز من الاحاطة علماً بكل دقائق الكون وحقائقه .. إذن إنما يهتدي الانسان بربه ، وبعد هذه الهداية لا يتسنى للمضلين ، تضليله ، فالله هو سنده ومعينه .

ولهذا يأتي الدعاء المتقدم ليؤكد على هذه الفكرة فيقول (اللهم فاهدني هدى المهتدين) ونستخلص من هذه الفقرة بأن على الرساليين الاقتداء بالذين اهتدوا من قبلهم وسنوا سنة حسنة في طريق الهداية ، وذات الدعاء يأتي مكرراً عشر مرات أو أكثر يومياً في سورة الفاتحة حيث اننا نطلب من الله عزوجل الهداية ، ونؤكد بأن هذه الهداية هي ذاتها الهداية التي سار عليها اخواننا المؤمنون من قبل .

« اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

وحينما تكون هداية الانسان وفق خط المهتدين السابقين كالانبياء والائمة والصديقين والشهداء والصالحين ، فانه سيزداد عطاءً ويفعم ثقة بسلامة مسيرته الرسالية لان الشيطان دائم الوحي والايحاء الى الانسان بأنه يسير على هدى من أمره ، بل أن أكثر المجرمين توغلاً في الجريمة يرى نفسه مهتدياً فيبرر جرائمه وأفعاله .

كيف نتأكد من سلامة المسيرة ؟

مذاهب شتى وتيارات عدة تنتشر في المجتمع تحاول دائماً ثني المجتمع عن السير على طريق الاسلام وهدي مبادئه ، و يساعدها في ذلك تزيين الشيطان لضعاف النفوس الاستجابة لهذه التيارات والمذاهب .. ونظراً لتهافت هذه المذاهب فان الانسان المسلم يسعى الى طمأنة نفسه بسلامة خطه ومنهجه .. فكيف يستطيع ذلك ؟!

تتأكد للمسلم المسيرة الرسالية عبر معرفته بتأريخ وسيرة الاشخاص الذين سلكوها ، ومعرفة النهايات الطيبة والسليمة التي انتهوا اليها ، وعندها يخرج بنتيجة مهمة ألا وهي انه اذا اتبع نهجهم وسلك مسلكهم ، فانه سيصل الى العاقبة الحسنى التي وفقهم الله اليها .

ولكي نزداد اتصالاً بهذه النتيجة ، علينا أن نتوسل الى الله في هذه الاشهر العظيمة (شهر رجب وشعبان ورمضان) بكل المقدسات الاسلامية والانبياء والملائكة والائمة والصديقين عليهم السلام حتى يرزقنا الهداية .. لان الطريق الذي نسير فيه طريق ذو بعد واحد ، أي ان الانسان اذا سار في طريق خاطىء ووافاه الاجل وهو في هذا الطريق لا يمكنه عندها العودة الى الدنيا لتصحيح المسيرة الخاطئة التي سار عليها ، فالحياة الدنيا هي الفرصة الوحيدة للانسان .. والنجاة فيها لن تكون بالمجان والهين بل باتباع صراط الذين أنعم الله عليهم وغير المغضوب عليهم ولا الضالين . كما في سورة الفاتحة .

الوحي + العقل = موقف سليم

النظرية الذرائعية الوسيلية ــ التي طرحها وليم جيمس ترى بأن الحكم في أية نظرية أو أية طريقة لا يتم إلا بعد أن يطبق على واقع اجتماعي معين .. فاذا أردنا أن نحكم على النظرية الماركسية ، فلا يمكننا أن نتداول البحث عن مدى صحة هذه النظرية أو خطائها إلا اذا قامت هنالك دولة ماركسية تتخذ من هذه النظرية منطلقاً لها ودستوراً لمنهجها .

ولكني أرى ان هذه النظرية خاطئة ، لانه من الممكن الحكم على نظرية ما أو مذهب ما أو دين ما عبر ما هدانا اليه الرب من العقل المنير والوحي المذكر بالعقل ، لان العقل والوحي يتعاونان لهداية الانسان الى ما يصلحه ، ولكن دعنا جدلاً نتخذ من النظرية الامريكية الوسيلية الذرائعية منهجاً لتحديد الطريق الصحيح ، فأي الطرق تتخذ منهجاً في الحياة ؟

هل هو طريق الانبياء والائمة والصديقين والصالحين ؟

أم هو طريق المفسدين والمجرمين والمستكبرين والطغاة المترفين ؟

وأي الطريقين أحق بالاتباع ابتداءً من أبينا آدم ومروراً بادريس ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وانتهاءً بسيد النبيين وأكرمهم وأشرفهم محمد بن عبد الله (ص) الذين سلكوا نهج الله فنصرهم ؟

وأكد انه سينصر أنبياءه وأولياءه ، وفعلاً نصرهم ووفي بعهده سبحانه وتعالى في الدنيا كما نرى في قلوب الملايين من المؤمنين العامرة بذكرهم الشريف وفي الآخرة عبر

المقام المحمود الذي وعدهم الله به .

« انا لننصر رسلنا » .

التقوى والنظرة الصائبة :

القرآن مليء بذكر عبر التاريخ ، لان الحياة ــ أساساً ــ كلها عبر ، ولكن مشكلة الانسان ليست في قلة العبر ، وإنما في عدم قدرته على الاستفادة منها .

« ما أكثر العبر وأقل المعتبر » .

وربنا عزوجل يعطينا في سورة الانفال نهجاً للاستفادة من العبر عبر تجاوز حجاب الذنوب ، فاذا ارتفع هذا الحجاب عن عين الانسان وعن قلبه فانه سيتصل بالحقائق ، وآنئذ يستفيد من العبر .

والآية الكريمة من الآيات المتقدمة في الحديث :

« ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » .

أي ان الله يعطيكم ميزاناً دقيقاً لمعرفة الحق عن الباطل ، وهذا ديدن الخبير الذي يستطيع أن يفهم بنظرة واحدة أشياء عدة ، فالمهندس مثلاً يعرف طبيعة البناء ومدى قدمه وقوة بنائه وسلامة هندسته بنظرة واحدة ، وخبير الصور يفهم طبيعة الصورة والمصور .. وهكذا كل خبير يؤتى فرقاناً يستطيع أن يميز به بين الجيد والرديء ، كذلك المتقي يملك فرقاناً يهديه الى معرفة الصلاح من الفساد ، والخير من الشر والهداية من الضلال ، ان نظرة واحدة لانسان ما تكشف له ما وراء الشخص عبر النظر الى سيمائه و يعرف بذلك مدى عمق فكره أو ضحالته ومدى صلاحه أو فساده وهذا ما يؤكده ذلك الحديث الشريف :

« اتقوا فراسة المؤمن »

أو الذي يقول :

« المؤمن ينظر بنور الله » .

أو الحديث الشريف الذي يقول في تفسير الآية الكريمة :

« ان في ذلك لآيات للمتوسمين » .

ان المتوسمين هم المؤمنون الذين يعرفون الناس بسيماهم ، وهذه واحدة من نتائج

التقوى لذلك فان توفيق الله لعبده الى التقوى وحصوله على الفرقان سيمكنه من تمييز الخير عن الشر، وسيكون آنئذ سعيداً ومستقر النفس .

ورب سائل يسأل مع زحام هذه المشاكل وكثافة الافكار المطروحة والتجارب والنظريات المتراكمة في هذه الحياة وقعقعة الدعوات المتناقضة والمتباينة .. أنى للانسان أن يهتدي الى الطريق السليم ؟

الجواب ببساطة توضحه الآيات الكريمة في القرآن الحكيم ، فالله عزوجل يقول :

« يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » .

أى اذا اتقينا الله وعرفنا مصير الامم والنهايات السعيدة أو المأساوية التي وصلت اليها تلك الامم ، واستفدنا منها في حياتنا واعتبرنا بها ، فاننا سنصل الى الطريق السليم ، لان الله عزوجل يقول :

« يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

حيث ينبغي علينا تمييز دعوة الحياة عن دعوة العذاب والشقاق عبر اتباع سيرة رسول الله والاهتداء بها للوصول الى الحياة الحقيقية والسعيدة في الدنيا والآخرة .

واذا لم نستجب الى دعوة الحياة التي يصدع بها رسول الله عزوجل ، فان مصيرنا الفتنة العمياء التي ستصيب الجميع بدون استثناء .

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

وآنئذ لا يفيد التعليل بقول : اني لست من الظالمين فلا تمسني الفتنة .. كلا .. ان الفتنة اذا نزلت عمت ، لان الناس لم يستجيبوا لدعوة الله والرسول ، وقد أثبت القانون الاجتماعي حقائق عديدة في التاريخ بهذا الشأن ..

الجهاد دعوة الحياة :

اذا دققنا في سورة الانفال ، وعرفنا علاقة كل آية بالاطار العام لهذه السورة ، مع العلم ان هذا الاطار العام يتحدث عن الجهاد ، اذا عرفنا ذلك فان الحياة التي يبينها القرآن الحكيم هنا هي حياة الجهاد ، فالحديث كله يدور حول مسألة القتال في سبيل الله ، مع ما يراه الانسان ظاهراً من القتال ، فالقتال بنظره موت وجراح و يتم للاطفال وترمل للنساء وهدم للحياة ، لكن الله عزوجل مع ذلك يقول القتال في سبيل الله حياة

وعز وعمران و بناء للساجد ، وهو بهذه الدعوة الحياة لا يدع مكاناً للانهزام والتقوقع والآراء السلبية والافكار التبريرية المنشئة للفتنة العمياء والتي لا تصيب الظالمين فقط ، وإنما تشمل المظلومين الذين رضوا بالظلم .

ثم يبين الله لنا قصص التاريخ التي تحكي عن المسلمين حينما كانوا قليلين مستضعفين في الارض وفي أسوأ الازمات الاقتصادية والاجتماعية يخافون أن يتخطفهم الشيطان وأولياؤه فيحرفهم عن درب الله ، مع ما كان بهم من عوز للحاجة ، فترى أحدهم لا يملك ثوباً يستتر به والآخر لا يملك طعاماً يتقوت به ، والآخر يذبح أخوه أمامه في مكة المكرمة ولا يستطيع نصره .. ومع ذلك تغيرت المعادلة لصالحهم ..

- فما الذي جعل مكة تفتح لهم ؟
- وما الذي جعل الجزيرة تخضع لسلطانهم ؟
- وما الذي جعل الواحد منهم يهزم أمة من الناس ؟

الذي جعلهم كذلك هو الجهاد في سبيل الله وحمل السلاح ضد أعداء السلام .

« واذكروا اذا أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

فما دامت هذه الوسيلة سليمة كما دلت شواهد التاريخ على ذلك .. فلماذا لا تتخذها الشعوب منهجاً لها في محاربة الطغاة ؟! ولماذا التملص منها أساساً ؟

ايران جهاد مستمر :

الامام الخميني حفظه الله يحمل ــ اليوم ــ راية الجهاد عالية خفاقة في ظل هذا العالم الموبوء ، ولذا نرى الامام يدعو الشعب المسلم في ايران للالتحاق دائماً بمسيرة الجهاد والتصدي ، وها هو الشعب المسلم في ايران يستجيب لهذه الدعوة .. فيتهافت للاشتراك في معركة الاسلام ضد الكفر .. والايمان ضد الشرك .. والتقدم ضد التخلف .. والاستقلال ضد التبعية ، انطلاقاً من النور الذي أضاء الله به قلوبهم ، وكل يوم يشهد الجميع فرقة أو أكثر من قوات التعبئة تخترق صفوف الجماهير حتى تصل الى مواطن الصراع وشدة البأس في جبهات القتال ، مع انهم يعلمون بعدم تكافؤ الميزان العسكري من حيث المعدات والتقنية العسكرية المتطورة واستخدام عدوهم للاسلحة

الكيمياوية الخطرة، ومعرفتهم المسبقة بنتائج الحرب المدمرة التي لا تأتي لهم بالمن والسلوى وإنما يخيم فوق رؤوسهم الموت الزؤام الذي لا يرونه إلا الشهادة .. ومع علمهم بأن القوى الاستكبارية في العالم لا تنصرهم بل تنصر عدوهم وتعينه عليهم .. مع كل ذلك تراهم يزحفون الى الجبهات زحفاً، وهذا الاقدام لم يأت اعتباطاً وإنما كان نتيجة لما اختمر في قلوبهم من الايمان ووعيهم للمعادلة وعياً سليماً .. ان الشعب الايراني المسلم .. خلال أربعين عاماً أو أكثر كان يرزح تحت نير الطغاة، وكانت كرامتهم ومقدساتهم عرضة للتجاوز، ولم ينجو من هذا الوضع الفاسد إلا بالجهاد والتحدي وباتباع القيادة الرشيدة التي تنتهج الاسلام قولاً وعملاً، فعرفوا طبيعة المواجهة وبدأوا يتحركون باتجاه النصر.

الشعب العراقي والفرصة الثمينة :

ان الشعوب الاسلامية مدعوة الى الاستفادة من سيرة الشعب المسلم في ايران، وبالذات اخواننا في عراق الجرح والظلم والامتهان .. والاستضعاف المستمر .. والمأساة الفجيعة. حيث ينبغي على الشعب المسلم في العراق معرفة المسيرة السليمة ومن ثم الالتحاق بها واتباع أسلوب تصعيد النضال ضد العدو من الداخل.

فرص كثيرة مرة على الشعب المسلم في العراق ولكنها ضاعت دون أن يستثمرها، ولكن هذه الفرصة التي تمر الآن مع الوضع المعكوس لقوات النظام الحاكم في العراق فرصة ثمينة ينبغي اغتنامها، واذا لم يغتنمها فربما تأتيه أيام عصيبة أسوأ من الايام التي مضت، فيها مآسي أعمق أثراً وأسد خطراً من المآسي التي مرت سابقاً.

ولو التحق الاخوة العراقيون في مكان بمسيرة الجهاد والتحدي فانهم سيسقطون النظام، فمن يستطيع أن يبذل دمه .. فليفعل، ومن لم يستطع فليضح بماله .. ومن لم يستطع فليصبح جهازاً اعلامياً للمسيرة الثورية .. ومن لم يستطع فليقم بأية خدمة ممكنة في سبيل انجاح المسيرة الثورية.

الخلاص المنظم :

اقترب يوم الخلاص بالنسبة للشعوب، فهذا العصر هو عصر المستضعفين.

الخلاص لا يتم عشوائياً وعبثاً ، إنما بالعمل المنظم والسعي .

« وأن ليس للانسان إلا ما سعى وان سعيه سوف يرى » .

«هل كلا نمد وهؤلاء من عطاء ربك » .

والخلاص لن يتم إلا بالجهاد ، وفلسفة تسمية القرآن الحكيم لهذا الفعل بالجهاد كناية عن ما يستطيع الانسان القيام به من عمل فيه ، يبذل قصارى جهده حتى انه لا يدخر قدرة أو امكانية من امكانياته إلا و يوظفها في طريق الجهاد .

وهذه الفرصة الثمينة يجب أن لا تفوتنا ، فقد فاتت الشعب العراقي فرص كثيرة كان باستطاعته أن يغتنمها و يصنع منها نصراً ، كما كان بامكان القيادات الاسلامية اغتنام فرص كثيرة إلا أنهم جعلوا يقينهم شكاً وعلمهم جهلاً ، وهم حين أيقنوا لم يقدموا وحين علموا لم يعملوا ، وجروا على ذلك حتى سلبت منهم الفرصة ، لان لله في دهره نفحات فلتتعرض الشعوب لها .

والقصص التضحوية التي حدثت في ايران الاسلام بقيادته المقدامة وشعبه المعطاء لابد أن تستغل من قبل جميع الشعوب الاسلامية ابتداء بالشعب العراقي واللبناني والافغاني والمصري ، وسائر الشعوب الاسلامية في المنطقة وانتهاءً ببقية الشعوب المستضعفة في هذا العالم ، وعلى هذه الشعوب أن تنتبه الى أن هذه الثورة مسيرة ثورية شاملة ، وليست حركة اقليمية محصورة في نطاق جغرافي ضيق ، فعليهم أن يلتحقوا بها و يسعوا من أجل تعبئة طاقات جماهيرهم وتوجيهها بوحي بطولا تها حتى تنتصر الثورة الاسلامية العالمية في كل مكان باذن الله عزوجل .

وفي مقابل هذه الدعوة الرسالية التي تخرج من حناجر الثائرين والسائرين على نهج رسول الله (ص) والتي يقول عنها القرآن الحكيم :

« ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

مقابل هذه الدعوة ، هناك دعوات شيطانية استجاب لها ضعاف النفوس الذين أهمتهم الدنيا ، فانطلقوا من مصالحهم الذاتية الدنيئة ، التي أحاطت بهم بسبب جهلهم وخطيئاتهم ، ومثل هذه الدعوات الشيطانية دعوة عفلق التي نشأت عام ١٩٤٧ ، حين خرج من حنجرته الفاسدة خليط من أفكار مادية متهافتة طرحها على مجموعة من الصبية البسطاء و بعض المجرمين والمحترفين ، فالتف حوله أناس جهلاً أو جهالة ، وكونوا حزب

البعث العفلقي الحاقد الذي انتشر كغدة سرطانية في أرض الرافدين حاولت ولم تزل النيل من القيم الاسلامية والضمائر الحية في نفوس هذا الشعب الابي .

ونتائج انشاء هذا الحزب من يوم تأسيسه حتى الآن هراء في هراء ، حتى ان الموارد الطبيعية في البلد أضربت عن الطعام كالنخيل والمياه بسبب سوء التخطيط أو فقل التعمد في سوء التخطيط الاقتصادي للبلد . مع ان العراق سمي عراقاً لتشابك العروق ، وسمي السواد لان ظلال الاشجار لم تكن تنقطع عن الارض ، و يقال في هذا أن أحد الوزراء طلب من ملك أسدى له خدمة قطعة أرض بوار في العراق ، فقال الامير: ما أسهل حاجتك ، ومن ثم بحثوا عن أرض بوار فلم يجدوا .

فأين ذلك العراق الى عراق اليوم الذي تسيل فيه أنهار من دماء الشعب ودماء خيرة أبنائه من الطليعة المؤمنة المجاهدة على يد سفاكين العراق . وآخرهم صدام الاهوج الذي يعتمد على الفكر العفلقي الخبيث . و يعتبر كتاب « في سبيل البعث » صنواً للقرآن الحكيم بل وحتى بدلاً عنه ، و يعمل بكل المفاسد الاخلاقية فيشرب الخمر و يفسد في وطنه .. بسبب هذه الافكار تتنزل نقمة الله وعذابه ، وهذا لا يتنافي مع محبة الله لعباده الصالحين ، فالله عزوجل اذا رأى مجموعة من الشراذم يعتبرون عفلق صنواً لرسول الله وكتاب (في سبيل البعث) صنواً للقرآن الحكيم والعنصرية أساساً لتقدم البشرية و ينتشرون في المجتمع دون مقاومة صلبة ، فانه لا يرحمهم بل ينزل عليهم العذاب .. والعذاب هنا هو شخص صدام والمجموعة المتحكمة على شعب العراق والمنتمية لحزب البعث الذي يحتفل هذه الايام بمرور تسعة وثلاثين عاماً على تأسيسه وعلى سمومه التي بثها في أدمغة الشباب الفاقدة للوعي الاسلامي .

الله سبحانه وتعالى يقول عن مثل هذه الظاهرة انها فتنة ، فحين فقدت الكلمة الصادقة وانعدمت التوعية بالمفاهيم الاسلامية كالعمل والجهاد والقتال ، آنئذ انتشرت فكرة حزب البعث التي شملت جميع العراق والتي لن تترك العراق حتى تدمره أشد تدمير.

واذا لم يثر الشعب العراقي ضد هذه الافكار الفاسدة عبر التضرع الى الله والاجتهاد في ازالة هذا الوباء الجاثم على شعب العراق ، و يبحث عن لباس التقوى الذي سيوفر له البصيرة و يوضح له الطريق فلينتظر سيل المفاسد الدنيئة ، مثلما نسمع هذه الايام عن

تجيير هذا الحزب لنساء العراق العفيفات لخدمة حربه العدوانية حيث دفع بهن الى خلف الجبهات لخدمة جنوده بهدف اشاعة الفساد عبر اجبار النساء واكراههن على الفواحش . والطاغية صدام لم يرحم حتى رفاقه ، فتراه يأمر معوقي حزب البعث بالتعلم على السلام للدفاع عن شرف صدام ان كان له شرف .

فماذا ننتظر من صدام ؟

يسلب شرف نسائنا ، و يدوس على مقدساتنا ، و يقتل شبابنا جماعات جماعات عبر هذه الحرب المدمرة ، فيأمر مجموعة من العسكريين بالتقدم الى الامام ، بالرغم من حتمية فشل هذا التقدم ، إلا أنهم لا يتقدمون ، فيقرر قتلهم حتى وصل عدد القتلى الى أربعمائة جندي في قاطع واحد من جبهة القتال في جنوب البصرة .

من المسؤول عن هذه المجازر ؟

المسؤولية ناجمة عن تقاعسنا والا تهام موجه الينا ، لاننا كنا متهاونين في مواجهة حزب البعث .

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب » .

ان الاعذار التي نتشبث بها قد تكون هي المسؤولة عن انتشار المنظمات الفاسدة ، كحزب البعث ، بينما لو وجدت مقابل هذه المنظمات الفاسدة منظمات اسلامية وأحزاب اسلامية وتجمعات اسلامية ، تتوجه الى الجماهير المسلمة ، وتتوجه هذه الجماهير اليها من خلال قناعتها لما استطاعت هذه التجمعات الفاسدة اختراق صفوفنا وافساد شبابنا وفتياتنا وسرقة ثرواتنا .

ان العبرة وحدها لا تكفي بل يجب أن تصاحبها فكرة ايجاد مؤسسات علمية نزيهة وواعية تغذي أبناء الامة الاسلامية بالوعي السياسي والحضاري بما يمكنها مقاومة المنظمات الفاسدة ، ويمنعها من التسلل الى شبابنا في جنح الظلام وفق هدي ومبادىء الاسلام العظيم .

هكذا انتصر المسلمون

ولا يزال الكثير متأثراً ببعض تلك الاقوال الخاطئة في تقييم الثورة الاسلامية في ايران ، ونحن لا نزال نجهل الكثير عن هذه التجربة ولا يزال الكثير في العالم الاسلامي لا يعرفون الاّ ظاهراً عن هذه الثورة الفريدة .

أما الدروس والعبر ، ومعرفة العوامل الحقيقية لنشوئها وانتصارها فلا تزال مجهولة لدى الكثير ، لذلك إنني أدعو جميع الكتاب والمفكرين والمثقفين وعلماء الدين أن يحاولوا دراسة هذه الثورة ، وعقد الندوات حولها ، و بحث جوانبها المختلفة ، وأقول لهم : يجب عليكم ان تنقلوا هذه التجربة الى مجتمعاتكم . وأدعوا أيضاً ذوي العقول أن يحاولوا فهم هذه التجربة ، وأن يحاولوا استنباط روحها ، وكذلك العوامل المحركة لها ولا يقتصروا على الظواهر الشكلية لكي تكون منهاجاً مستقبلياً لامتنا .

بالطبع ليس معنى ذلك إنني أدعو للتقليد . إنما أدعو الى إغناء تجاربهم بهذه التجربة والحديث الشريف يقول :

« أعلم الناس من جمع الناس الى علمه »

الوحدة هي من أعظم الدروس التي نستوحيها من هذه الثورة الاسلامية ، فالوحدة وتناسي الخلافات وتعبئة الطاقات عبر تركيز القوة ، والانضباط الثوري الذي آمر به الامام قبل خمس سنوات عشية إنتصار الثورة هي أهم الدروس فيها .

الوحدة ينبغي أن تسبقها عوامل مكونة لها ، لانها لا تتم إلاّ عبر مجموعة متكاملة من العوامل النفسية والاجتماعية والعقائدية ومن دونها لن تتحقق الوحدة .

فمن دون وحدة القيادة كيف يمكن توحيد الطاقات ، ومن دون وحدة المنهاج كيف يمكن توحيد المسير، ومن دون ذوبان الفوارق كيف يمكن تركيز القوة وكيف تتلاقح الافكار كل هذه العوامل تعود بالتالي الى عامل يسميه القرآن بالتقوى .

إذا وصلت الامة في تقواها الى مرحلة تسود التقوى علاقاتها الاجتماعية ورؤيتها الحضارية، فبشر هذه الامة بامكان الوحدة و بشرها أيضاً بالانتصار، أما إذا كانت التقوى مجرد علاقات بين الانسان وربه في مجال الصلاة والصيام دون أن تدخل في مجال علاقاتك ، فان العلاقات سوف تنهار، لان التقوى في العلاقات أن لا تغتاب أخاك ولا تسبه ولا تتحداه ، وعندما تشتد أزمة العلاقات تصير الوحدة أملاً لا يحلم به الواقعيون ، بل يحلم به الذين يعيشون تحت سماء الخيال .

متىٰ نتوحد ؟

ان الله سبحانه وتعالى لا يؤلف الشمل إلاّ بالايمان ، ولنقرأ هذا الاستقراء في الآيات لندرك عمق هذه الفكرة :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكُنَّ خيراً منهُنَّ » . (الحجرات/١١)

« وزنوا بالقسطاس المستقيم » (الاسراء/٣٥)

« وقولوا للناس حسناً » (البقرة/٨٣)

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن » (العنكبوت/٤٦)

« أدعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » (النحل/١٢٥)

« ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » (الحجرات/١٢)

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثمٌ » (الحجرات)

إذا بلغت الامة مستوى تطبيق شرائع الله على نفسها فانها تكون قد بلغت القمة في التقوى .

« وآذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم » (آل عمران/١٠٣)

هذا خطاب للمؤمنين في إيران بأن يذكروا تلك الايام السوداء التي مرت عليهم ، و يتذكروا نعمة الله عليهم بالتقوى والتوحد .

« فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين لكم آياته لعلكم تهتدون » .

هذه هي العبارة التي يمكن أن نستوحيها فمن دون الوحدة لا إنتصار ومن دون التقوى لا وحدة ، ومن دون أن نحقق العوامل الحقيقية له في أنفسنا لا انتصار قال تعالى :

« إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (الرعد آية ١١)

إذن لندعو أمتنا تستقبل إرادة الله فارادته رحمة ، ومن الخطأ جداً أن نغلق أبواب أنفسنا عن هذه الارادة ونظل عمياناً كالذي يغلق نوافذه عن الشمس و يلوم الشمس بأنها لا تطلع على بيته .

العالم الاسلامي لم يستطع بعد هذه التجربة الكبرى ــ مع الاسف الشديد ــ أن يفوز بدولة واحدة مثل إيران ، وهذا تساؤل ينبغي أن نطرحه على علماء الدين والجماهير المسلمة والحركات الاسلامية في كل مكان .

أشاهاتكم أقوى من شاه إيران .. أم إن شعوبكم أضعف من هذا الشعب ، أم ان الله سبحانه وتعالى وعدهم بالنصر ولم يعدكم ، أم ان سبب إنتصار هؤلاء بسبب لغتهم أو لون أجسامهم ؟ .

وأجيب عن هذا نيابة عن الجميع ، وأقول : إن عامل الوحدة وقبله عامل التقوى لم يكونا موجودين . أما الوحدة .. فأين الوحدة !؟ .

الوحدة قد تكون بين الانظمة ، والتي نرفضها سلفاً ، لان وحدة الطغاة لا تكون إلاّ

على مائدة المستضعفين من أجل التكالب على ثرواتهم .. أما أن تكون الوحدة بين الجماهير بصورة مباشرة فهذه صعبة المنال بسبب وقوف الطغاة بثقلهم أمام تحقيق هذا المطلب ولا يمكن للامة الاسلامية وجماهيرها ، أن تنبعث مرة واحدة ، وتتوحد ضمن فئات ، وتتحرك بأتجاه القضية الواحدة ..

شروط النصر الإلهي

ـ بسم الله الرحمن الرحيم ـ

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار * ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب * هدى وذكرى لأولي الألباب * فأصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبّح بحمد ربك بالعشي والأبكار * إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فأستعذ بالله إنه هو السميع البصير * لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

صدق الله العلي العظيم

(٥١ ـ ٥٧ / سورة غافر)

(١)

الانتصار.. سنة إلهية

لو سألت إنساناً عن سنة حياتية معينة تجري فصولها في مسيرة الكون ، لاجابك عنها بكل دقة وتفصيل ، وذلك بسبب تكرارها في حياته ، مما تعطيه درساً في إدراكها ووعيها وعياً تاماً ، بيد أنك لو سألت شخصاً آخر عن سنة حياتية أخرى ، تراه ينكفأ في

الجواب ، باعتبار ان هذه السنة تتطاول على مساحة من الزمن تمتد الى سنين ، وهذا مما يفرز عدم ادراك هذه السنة بشكل دقيق وواع .

ومن هذه السنن الغير مستوعبة التي لا تمر على الادراك الانساني ، سنة بعث الله للرسل ــ صلواته وسلامه عليهم ــ ، فلو كانت هذه السنة تتكرر على الاجيال البشرية ، لكان من السهل على البشر أن يتعامل معها ، و يعيها وعياً تاماً ، ولكن بسبب تفاوت المسافات الزمنية بين بعث الرسل والتي قد تصل في بعض الاحيان (٦٠٠) عاماً ــ كما هو الفرق بين رسالة عيسى (ع) و بين رسالة نبينا الاكرم محمد (ص) ، في مثل هذه الحالة يصعب على الادراك البشري وعي هذه السنة ، ولكي يتسنى له معرفة هذه السنة ، ينبغي أن يرتقي الى مستو رفيع من العلم والوعي والتفكير ، حتى يتمكن بالتالي من الوصول الى تعامل سليم مع هذه السنة ، واذا انعدم هذا المستوى من الادراك والوعي ، وقع البشر في شراك التعامل الخاطىء مع السنة ، وهذا تماماً ما حدث لكثير من الامم السابقة ، حيث أنهم رفضوا المرسلين ، وقالوا : (بدع من الرسل) أي أنه جديد عليهم ، صحيح إنها حالة جديدة عليهم ، ولكنها تسير وفق تدبير الحكيم العليم ، فكما الشمس تشرق على كوكب الارض ، تمده بالنشاط والحيوية ، كما ذلك ، تشرق شمس الرسالة على العقول البشرية حسب قوانين الهية خاصة لا يعلمها إلا هو .

ومن السنن الالهية أيضاً سنة الانتصار للرسل وللمؤمنين .. بيد أن هذه السنة لا تلقى وعياً تاماً من البشر .. وذلك بسبب وقوعها في ظروف زمنية متباعدة ، يشهدها جيل ، وتغيب عن أجيال ، وغياب هذه الحالة خاضع لشروط موضوعية ، اذا تحققت ، تحقق النصر ، وإن غابت ، غاب النصر أيضاً ، وقد أشار ربنا سبحانه وتعالى الى سنة نصر الرسل والمؤمنين ، في القرآن الحكيم ، فقال :

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا »

هذه الآية التي توحي لنا بظلال عديدة أهمها :

١ ــ حالة الانتصار تأتي من الله عزوجل ، وليس من البشر أنفسهم .

٢ ــ ان النصر لا يخص الرسل فحسب ، بل وللمؤمنين ، بدلالة « والذين آمنوا » .

٣ ــ إن النصر لا يكون في الآخرة فقط ، بل في الدنيا ، وهو بهذا يفند زعم كثير من الناس ، من أن انتصار الله للمظلومين من الطغاة يكون في يوم القيامة ، ولهذا يقول

سبحانه وتعالى (في الحياة الدنيا) .

٤ ــ يتجلى النصر بصورة واضحة في الآخرة ، و يؤكد ذلك سبحانه وتعالى ، فيقول :

« و يوم يقوم الأشهاد »

وفي هذا المقطع من الآيات الكريمة لفتة لطيفة لم ينتبه لها أغلب المفسرين ، إذ لا يقول تعالى :

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا (وعند قيام الساعة وإنما يقول :) و يوم يقوم الأشهاد »

لماذا ذلك ؟ :

رغم وجود حوالي سبعين إسماً أطلق على (يوم القيامة) ، يركز سبحانه وتعالى على قيام الاشهاد ، الذين هم الانبياء والاولياء والمؤمنون ، ليؤكد على أنهم ملوك وقيادات في يوم القيامة ، حيث تتجلى عزة الله وجبروته وملكوته على أيديهم .

وهذه الرواية تؤكد هذه الفكرة .

« في تفسير القمي عن ابن سنان عن الصادق عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : اذا سألتم الله فاسألوا لي الوسيلة ، فسألنا النبي صلى الله عليه وآله عن الوسيلة فقال : هي درجتي في الجنة وهي ألف مرقاة [ما بين المرقاة الى المرقاة حضر الفرس الجواد شهراً ـ، وهي ما بين مرقاة] جوهرة الى مرقاة زبرجد الى مرقاة لؤلؤ الى مرقاة ذهب الى مرقاة فضة ، فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين ، فهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب ، فلا يبقى يومئذ نبي ولا شهيد ولا صديق إلا قال : طوبى لمن كانت هذه درجته . فينادي المنادي و يسمع النداء جميع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين : هذه درجة محمد صلى الله عليه وآله [فقال رسول الله صلى الله عليه وآله] فأقبل يومئذ متزراً بريطة من نور علي تاج الملك [واكليل الكرامة ، وعلي بن أبي طالب عليه السلام أمامي وبيده لوائي وهو لواء محمد] مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله المفلحون هم الفائزون بالله ، فاذا مررنا بالنبيين قالوا : هذان ملكان [لم نعرفهما ولم نرهما] واذا مررنا بالملائكة قالوا : هذان نبينا مرسلان ، حتى أعلوا الدرجة وعلي يتبعني ، فاذا صرت في أعلى الدرة منها وعلي أسفل مني بيده

لوائي ، فلا يبقى يومئذ نبي ولا مؤمن إلا رفعوا رؤوسهم اليّ يقولون : طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله ! فينادي المنادي و يسمع النبيون وجميع الخلائق : هذا حبيبي محمد ، وهذا وليي علي بن أبي طالب ، طوبى لمن أحبه وويل لمن أبغضه وكذب عليه ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ياعلي فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة أحد يحبك إلا استروح الى هذا الكلام وابيض وجهه وفرح قلبه ولا يبقى أحد ممن عاداك ونصب لك حرباً أو جحد لك حقاً إلا اسود وجهه واضطربت قدماه »[1]

ومقابل حالة النصر التي يتنعم بها المؤمنون يوم القيامة ، يذوق الظالمون و بال تجاوزهم ، وتكون حالتهم على شكلين :

١ ــ يذوقون الخزي ، و يبعدون عن نصر الله ، بل حتى أعذارهم لا تجد آذاناً صاغية في يوم القيامة .. و يؤكد تعالى على ذلك فيقول :

« يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم »

٢ ــ ابعادهم عن رحمة الله ، إذ تكون اللعنة وسوء الدار من نصيبهم ، و يشير سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله :

« ولهم اللعنة ولهم سوء الدار »

ثم يعرج السياق القرآني في الآيات المتقدمة على واقع بني اسرائيل الذين انتصروا بقيادة رسول الله موسى بن عمران (ع) ، ليؤكد بواقعة تاريخية على النصرة الالهية للمؤمنين ، إذ يقول سبحانه وتعالى :

« ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب »

(٢)
لوازم الانتصار الإلهي

يتوالى السياق القرآني آنئذ ، ليصل الى تحديد شروط النصر الالهية ، الارضية التي

---

(١) تسلية الفؤاد ، ص (١٨٢) .

يرتكز عليها ، وزمن الانتصار المرتقب ، إضافة الى مستلزمات النصر الذاتية عند المؤمنين .. وهذه الشروط هي الآتي :

١ ــ الصبر :

إن جهاد المؤمنين المتواصل ، لابد أن يتوج بحقيقة الانتصار الالهي ، لان النصر آت ، ولكنه بحاجة الى صبر .. وأولئك الذين يستعجلون نصر الله ، و يريدونه على أطباق ذهبية مجهزة على أبواب بيوتهم .. إننهم لخاطئون ، لكون الله سبحانه وتعالى واعد المؤمنين بالنصر ، وأكد على ذلك بقوله :

« فاصبر إن وعد الله حق »

والصبر يكون على ثلاث أنواع :

أ ــ الصبر على مقاومة الشهوات .

ب ــ الصبر عند المَصيبة .

ج ــ الصبر على مكاره الدنيا وصعوبات الجهاد .

٢ ــ الاستغفار :

اذا استمرت المواجهة بين المؤمنين والظالمين ، وتأخر الانتصار ، فان ذلك مدعاة الى التفتيش عن موانع النصر ، إذ أن النصر كالسيل الجارف لا يصل الى بعض الاراضي بسبب السدود الموضوعة ، وهكذا فالنصر تؤخره بعض السدود .. وأهم هذه السدود ، سدود الذنوب ، فقد ينشأ تجمع إيماني يقاوم الطغاة ، ولكن خصلة واحدة معيبة ، كفيلة بأن تمنع الانتصار قرناً من الزمان يمتلأ بالجهاد .. وتكثر فيه التضحيات ، إن سدود الذنوب تمنع بركات النصر الالهي ، كون رحمة الله و بركاته لا تهبط على المذنبين ، ومقاطع دعاء كميل المروي عن الامام علي (ع) تأكيد على هذه الفكرة :

« اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم ، اللهم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم »

وهكذا .. كلما تأخر النصر .. كلما توفرت فرصة ذهبية للمؤمنين ، تمكنهم من إصلاح أنفسهم وتكميل نواقصهم ، لان هنالك بعض الصفات الذميمة التي لو انتصر

الانسان وهو يتشبث بها ، لو كان ذلك .. لكان النصر محطة لتكريس هذه الذنوب عند الانسان .. وعند من يتبعون نهجه ، فلنفترض أن انساناً يمتلك مائة خصلة حميدة ، ولكنه في نفس الوقت يمتلك الى جانبها صفة ذميمة كالتكبر .. اذا انتصر هذا الشخص وهو يحمل هذه الصفة ، فان الناس ــ آنئذ ــ سوف يخلطون عمل ــ هذا الشخص ــ الصالح بعمله السيء ، و يقولون : ان الله سبحانه وتعالى نصره على رغم وجود هذه الصفة فيه ، مما يحفزهم الى تكريس هذه الصفة في سلوكهم ومنهجهم الحياتي .

من ذلك نستنتج أن النصر ليس في صالح الانسان ، اذا كانت عنده صفة ذميمة ، و يؤكد الله سبحانه وتعالى على الاستغفار من الذنوب لنيل النصر ، فيقول :

« واستغفر لذنبك »

والجدير بالذكر ان الخطاب موجه لرسولنا الاكرم (ص) ، ولكنه لا ينطبق عليه ، كون الرسول لا ذنب له ، وإنما هذا اللفظ انسجاماً مع لغة التعامل القرآني (إياك أعني واسمعي ياجارة) وهذا مما يؤكد على أن دعوة الاستغفار موجهة لجميع الناس .

٣ ــ تسبيح الله وحمده :

إننا ــ عادة ــ ما نكرر الذكر الحكيم (سبحان ربي الاعلى و بحمده) (سبحان ربي العظيم و بحمده) ، وهذان الذكران بالذات يوحيان بفكرة لطيفة وظريفة وهي ، أن من يحمد الله سبحانه وتعالى ــ ومفهوم الحمد أساساً هو أن يعلم الانسان إذ أصابته حسنة فمن الله تعالى ، وإن داهمته سيئة فمن عند نفسه ــ هذا الحمد هو تسبيح لله ، بمعنى أن وسيلة تسبيح الله ، حمده وشكره ، وقد أكد سبحانه وتعالى على هذه الفكرة قائلاً :

« وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار »

وهنا أيضاً إشارة لطيفة ، إذ قدم خالق الاكوان « العشي » على « الابكار » ، ولم يقل كما قال في آية أخرى « بالغدو والاصال » ولعل وراء هذا التقديم والتأخير فكرة مفادها ، ان الانسان في نهاية نهار وحرف الباء في كلمة (بحمد) سببية تعني ان حمد الله يسبب تسبيحه وتقديسه : أحوج ما يكون الى تسبيح الله وحمده واستغفاره ، خاصة وان الانسان في النهار قد يعيش في غفلة عن آيات الله ، و بعكسه تماماً ، يكون الإنسان

في الليل خفيفاً ، فقبل أن يأوي الى فراشه ، تستعد روحه للقاء الله ، فتطهر روحه عبر الحمد والتسبيح .

٤ ــ الخضوع للقيادة الشرعية :

إن أصعب أمر يواجهه الانسان ، هو أن يخضع للحق ، باعتبار أن جذر انحراف الانسان هو نزوعه الى مقام الالوهية .. وخصوصاً اذا انطوى قلبه على الكبر ، لكون هذا الكبر يدفعه لحب الملك وحب الخلود .. و بالتالي النزوع الى حالة الالوهية ، مثل الطاغية فرعون ، الذي كان يقول لشعب مصر ، كما يقول تعالى :

« أنا ربكم الأعلى » (٢٤ ــ النازعات)

ونمـــرود :

« أنا أحيي وأميت » (٢٥٨ ــ البقرة)

وهكذا سائر الطغاة الذين يميلون الى نزعة التكبر بأسلوب الفرعنة والطغيان[٢] ، وهذه الفرعنة التي اذا صارت عند انسان ، تتجلى في معظم سلوكياته وحياته ، مثلاً .. حين يكون معلماً في مدرسة ابتدائية ، تراه يتفرعن على طلابه ، واذا كان رب عائلة ، يصبح ديكتاتورياً على أولاده وأهله ، إن هذه الحالات السلوكية الخاطئة نابعة من نزوع الانسان الى حالة التكبر والوصول الى مقام الالوهية .. ولذا حين أراد ابليس اغواء أبينا آدم (ع) قال له :

---

(٢) طلع علينا صدام حسين ، طاغوت العراق ، بمقولة جديدة ، بعد أن نفى نسبه برسول الله (ص) ، وذهب يبحث عن نسب له بنمرود طاغية زمانه في عهد نبي الله ابراهيم ، ولهذا أخذ يبحث بجدية عن آثار مدينة بابل التاريخية ، في منطقة الفيحاء بالحلة .. ويقيم المؤتمرات والاحتفالات هناك .. ويدافع عن تلك الحضارة بكل قوة ، على ان هذه الحضارة كانت مأوى لمجموعة من الطغاة الفاشلين الذين لم تدم حضارة الصخور المنحوتة عندهم طويلاً ، بقدر ما كانت خداعاً وتزويراً لوعي الناس بغية ظلمهم والتجبر عليهم ، كما حدث وان قتلوا مجموعة كبيرة من أتباع موسى بن عمران (ع) ، لولا ان (كورش الاول) أنقذهم من هذا الظلم .

ولعل صدام حسين بدفاعه عن حضارة بابل ، يود أن يربط نفسه بمصير كل الطغاة التاريخيين من باب تواصل التاريخ الظالم !!

« هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى »

باعتبار هذان الاغراءان لهما جذور عميقة في الانسان ، والقرآن الحكيم حين يتكلم عن مستلزمات النصر ، يؤكد على ضرورة التخلص من هذه النزعة التي تعتبر حجر عثرة أمام النصر .. ثم يشير القرآن الى أهمية الخضوع للحق ، فيقول :

« إن الذين يجادلون بآيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه »

فالذين يبحثون ــ دائماً ــ عن تحدي آيات الله ، أملاً في التخلص منها ، أو الوقوف منها موقف الاعجاز ، إنما هم يفعلون ذلك إنطلاقاً من داء الكبر الذي يعني النزوع الى مقام الربوبية ، متناسين ان الكبرياء خاص بالله ، لا ينازعه فيه أحد ، واذا تجرأ أحد على الدخول في صراع مع الله سبحانه وتعالى ، فان ــ الله ــ سوف يحطم الطرف المقابل و يأخذه أخذ عزيز مقتدر في الدنيا والآخرة .. و يؤكد هذا الامام الصادق (ع) حيث يقول :

« الكبر رداء الله ، فمن نازع الله شيئاً من ذلك أكبه الله في النار »[٣]

ثم يرشدنا القرآن الحكيم على دواء حكيم قادر على ازالة الكبر من النفوس .. ذلك هو سلاح الاستعاذة بالله ، لا سيما اذا أحاط بالانسان خطر دائم ومحيط ، بمعنى آخر اذا لم يتمكن الانسان من التخلص من داء الكبر بقواه الذاتية ، فان القرآن ينصحه بالنظر الى مخلوقات الله العظيمة ، فاذا كان الانسان ينوي ــ بكبره ــ الوصول الى مقام الربوبية ، فليحاول أن يصل ــ إن قدر ــ الى أن يصبح مثل بعض خلق الله .

فهل باستطاعة الانسان أن يأخذ تشكيلة الجبل ؟ ، وهل هو قادر على أن يخرق الارض ؟!!

بالطبع .. لن يستطيع فعل ذلك ، إذن : لماذا التكبر ؟ و يركز القرآن الحكيم على هذه الطريقة لدرء التكبر من النفس الانسانية ، فيقول :

« فاستعذ بالله انه هو السميع البصير * لخلق السماوات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

---

(٣) بحار الانوار ، جزء (٧٣) ، ص (٢١٣) .

وهل من حق الانسان أساساً أن يتكبر أمام الخلق البديع « الواسع » المتقن ؟

إن الشخص الواحد هو جزء صغير من خمسة آلاف مليون انسان فوق هذا الكوكب ، والشخص بذاته واحد من عشرات الالوف من الكائنات الحية التي تجوب أرجاء الكون ، وكل الاحياء جزء بسيط من موجودات كوكب الارض .. الذي قدرت حياته الى الآن بأربعة ملايين عام ، ولهذا فان كثيراً من الاشعار الفارسية تدعو الانسان الى التفكر في الازمان السابقة ، فحين يجلس على شاطىء نهر ، عليه أن يتوقع عدد الاشخاص الذين جلسوا على هذا الشاطىء ، وأين موقعهم من التراب الآن ؟!! واذا شاهد منظراً أثرياً ، يتوقع الاشخاص الذين شاهدوا هذا الاثر ثم ألحدتهم القبور ، وبالتالي يقيس نفسه بقياس هذه الموجودات ، و يرى هل أن الكبر عمل حسن أم مذموم ؟!!

ان الارض التي نجلس عليها ، جزء بسيط تناثر من انفجار الشمس ، و بقيت قربها ، وهي تعتبر أصغر بمليون مرة عن الشمس ، تبعد عنها حوالي (٩٣) مليون ميلاً ، والشمس بدورها واحدة من مليون شمس في هذه المجرة التي نتواجد فيها نحن ، والمجرة بدورها هي واحدة من مائة مليون مجرة موجودة في الفضاء الواسع ، حتى أن بعض العلماء حاول اكتشاف آفاق الفضاء وحدوده ، واستخدم أجهزة دقيقة هائلة القوة ، ولما عجز عن التوصل الى نتيجة معينة قال : أن هذه المجرات تخلق مجرات جديدة يومياً .. فقياساً على هذه الارض العظيمة التي نعيش عليها بجبالها .. و بحارها .. وسهولها .. ما بالك أيها الانسان تنزع نحو التكبر ؟!!

إن النظر الى هذا الخلق البديع ، مدعاة الى أن يسلم الانسان مرة الى الله تعالى .. وهذه رواية فصلها رسول الله للدلالة على عظمة خلق الكون :

قال رسولنا الاكرم (ص) لزينب العطارة التي زارته في بيته قائلة : إنما جئتك أسألك عن عظمة الله ، فقال :

سأحدثك عن بعض ذلك .

ثم قال : ان هذه الارض بمن فيها ومن عليها عند التي تحتها كحلقة في فلاة قي [القفر من الارض] وهاتان ومن فيهما ومن عليهما عند التي تحتها كحلقة في فلاة قي ، والثالثة .. حتى انتهى الى السابعة ، ثم تلى هذه الآية : « خلق سبع سماوات

ومن الارض مثلهن »(الطلاق ــ ١٢)

ومضى الرسول (ص) يبين طبقات الارض وما ورائها ، وأن الواحدة منها بالنسبة الى تاليتها كحلقة فلاة واسعة ، الى أن قال عن السماء ، والسماء الدنيا ومن فيها ومن عليها عند التي فوقها كحلقة فلاة قي ، وهذا وهاتان السماءان عند الثانية كحلقة في فلاة قي ، وهذه انتهى الى السابعة ، وهذه السبع ومن فيهن ومن عليهم عند البحر المكفوف عن أهل الارض كحلقة في فلاة قي .

ومضى النبي (ص) يبين عظمة خلق الله حيث أن بعض خلقه أعظم من بعض ، كما الحلقة الصغيرة في الصحراء المترامية الاطراف ، وهي أقرب مثل لا تساع المنظومات الشمسية والمجرات وما أشبه (٤)

(٣)
الكبر.. وموانع الانتصار

إن حالات الكبر والغرور يجب أن لا تدخل في معادلة المجاهدين أثناء صراعهم ضد الطغاة والظالمين ، ومن هذا المنطلق أدعو الاخوة المجاهدين في العراق وتونس والخليج ومصر وأفغانستان الى مجانبة الغرور مثل ما حدث للمسلمين في يوم حنين ، وكما قال القرآن الحكيم :

« ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ، فلم تغن عنكم من الله شيئاً ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين »(٢٥ ــ التوبة)

وفي يوم بدر كان المسلمون (٣١٣) شخصاً ، استخدموا جريد النخل ورمي الحجارة ، ومع ذلك هزموا أكبر قوة مسلحة في الجزيرة العربية آنئذ ، بينما في حنين كانوا (١٠٠٠٠) شخصاً مسلحين بأفضل أنواع السلاح بيد أن حالة الغرور هي التي هزمتهم .

إن المطلوب من كافة العاملين الرساليين تجاوز حالة الكبر والغرور.. وذلك لما يلي :

---

(٤) بحار الانوار ، جزء (٦٠) ، ص (٨٣) .

١ ــ يؤخر زمن الانتصار:

اذا أصاب الغرور انساناً ما ، فان غرور القوة سوف يدعوه الى مواجهة القوى الطاغوتية منفرداً ، معتقداً بضعف قدرة الله على تقريب النصر ، مبعداً لاخوانه الآخرين من خطة العمل .. وهذا التفكير خاطىء ، باعتبار ان الانسان ما دام بشراً يمشي على هذه الارض ، بحاجة الى التعاون مع الآخرين ، وأساساً خلق الله سبحانه وتعالى البشر ، بحيث يحتاج بعضهم الى بعض شاؤا أم أبوا ، أي أن العيش ضمن الناس والمجتمع لازم مهما وصل الانسان الى أي شيء .. وهكذا طبيعة الدنيا أساساً ، الحاكم يحتاج الى المحكوم ، والمحكوم يحتاج الى الحاكم ، والثورة المنتصرة بحاجة الى حركات ، والحركات الاسلامية بحاجة الى ثورة منتصرة ، وانهما مترابطان بصورة عضوية ولا يمكن فصلهما .

واذا تجاوز المجاهدون حاجز الغرور ، فانهم سوف يعرفون قيمة بعضهم و يتعاونون جميعاً لتحقيق حالة النصر .

٢ ــ يمنع من إدراك الثغرات :

لو سار الانسان في طريقه الى الانتصار بصورة سليمة ، فانه سوف يبحث ــ دوماً ــ عن ثغراته ، ليكملها و يصل الى النصر ، بينما اذا أصابته حالة الغرور والكبر ، سوف يتغاضى عن ثغراته ، مما يؤدى الى الهزيمة .

يقال أن مصارعاً قوية البنية كان في ايران ، تمكن من هزيمة كل المصارعين ، وفي ذات يوم ذهب الى الملك ، وجلس بصحبة الوزراء مع الملك ، وكان الزهو والغرور قد أخذ من المصارع مأخذه ، فصعد على مرتفع من الارض ، قائلاً : يالهي ، لقد صرعت كل من صارعني من أهل الارض ، فابعث لي ملكاً أصارعه .

ومرت الايام ، وسأل الملك عن المصارع ، فأخبره أحد الوزراء بأن المصارع طريح الفراش .. فذهب اليه الملك ، واذا بالمصارع ، تستبد به الحمى حتى لا يكاد يقدم على أي شيء ، حينها قال المصارع للملك بصوت خافت : أنظر الى موقع قدمي ، لعل شيئاً يؤذيني ؟

فكشف الملك عن رجل المصارع ، واذا بفأرة صغيرة تقضم اصبعه ، و بعدما أكلت

نصفه ، والدم ينزف من قدميه ، وهو غير قادر على تحريك رجله بحيث يطرد الفأرة .

وحينها التفت الملك الى وزيره قائلاً : كأن الله سبحانه وتعالى بعث من يصرعه .

وهكذا فان غرور الانسان ، تحجبه عن التفكير في تكميل نواقصه الاستراتيجية ، مما يوقع به الهزيمة المرة .

٣ ــ يمنع من التقدم والتطوير :

الانسان المتكبر والمغرور لا يندفع الى الامام ، بينما اذا أحس بنقص في ذاته وفي مستلزمات عمله ، فانه يندفع آنئذ لتهيئة المزيد من وسائل التقدم والتطور .

ولعل العمليات الاخيرة التي قام بها إخواننا العراقيون في منطقة شمال في مدينة (كفري) ، كانت بمثابة تطور كيفي استطاعوا فيه تجاوز حاجز التخلف ، ثم انسحبوا دون تقديم أية خسائر ، كما أن عمليات المجاهدين داخل العراق أثبتت تطوراً وكيفياً ونوعياً .. مما يعني أن مسيرة الانتصار للثورة الاسلامية في العراق تسير بخطى ثابتة وحثيثة للوصول الى النصر الالهي .

الفهرست

الفصل الأول :

من أجل الأنسان الرسالي
الرسالي .. أولا ٧
الرسالي قمة تضيء ٢٠
الرسالي بناء مبارك ٣٠
الرسالي دور متميز ٣٨

الفصل الثاني :

الحركة الرسالية فوق التحديات
رؤية حضارية ٤٧
مبادرات شجاعة ٥٦
لا استسلام ولا مراهنة ٦٥
تسابق في الخيرات ٧٢
تواصل وحوار ٨١

الفصل الثالث :

منطلقات الثورة الاسلامية ٩١
استراتيجية حكيمة ١٠٤
العلم والتقنية ١١٤
الجماهير هدف ووسيلة ١٢٤
الحوافز الخيرة ١٣٦

بين القوة والمنطق ١٤٦
ملامح المجتمع الثائر ١٥٥
الوعي الثوري ١٦٥

الفصل الرابع :

معالم الحضارة الالهية
التنمية الحضارية ١٧٣
الحضارة من أجل الانسان(١) ١٨٤
الحضارة من أجل الانسان (٢) ١٩١
الأسلام والتقدم الحضاري ٢٠٣
لكي نتحدى التخلف ٢١٥
الاسلام والسلام ٢٢٦
أزمات الحضارة المادية ٢٣٨

الفصل الخامس :

هكذا نواجه التحديات
نعم للسعي لا للتمني ٢٤٥
كيف نواجه الفتنة؟..... ٢٥٦
كيف نواجه التحديات المضاعفة؟..... ٢٦٥
عندما نجعل المأساة نصراً ٢٧٦
هكذا نبني الوحدة ٢٨٨
الجهاد دعوة الى الحياة الكريمة ٢٩٠
هكذا انتصر المسلمون ٣٠٠
شروط النصر ٣٠٤
الفهرست ٣١٧

2930

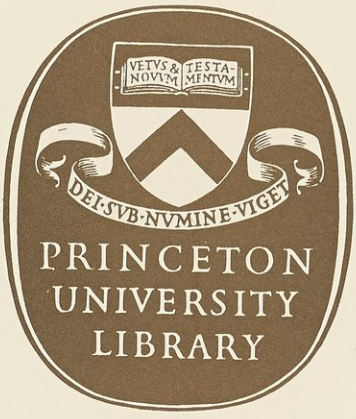

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
Jan. - Mar. 1996
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 060155601

الثورة الاسلامية ليست حلماً يتم تحقيقه بسهولة، كما انها ليست امنية تتحقق في خيال البشر كلا.. بل هي عملية صعبة بلحاظ انها تحارب على جبهتين :ـ

الاولى : جبهة التخلف

الثانية : جبهة الكيانات الفاسدة التي تراكمت على جسد الامة خلال هذه القرون المتطاولة ويمكن تجاوز هاتين القضيتين باعتماد برنامج طويل الامد، قوامه تحدي ابناء الصحوة والثورة.. ومراعاة هذا التحدي بالتطوير والابداع.. ومن ثم سقيه الماء الصبر والاستقامة حين تصل الصحوة الى اهدافها النهائية.. وهذا الكتاب الذي بين يديك ـ عزيز القارىء ـ يتناول تفصيلات البرنامج المذكور.

تصميم الغلاف : للفنان عباس عارفي